

القيمة الدلالية لحركات الإعراب بين القدماء والمحدثين

الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بطاقة الفهرسة

مصطفى ، محمد ابراهيم محمد

القيمة الدلالية لحركات الإعراب بين القدماء والمحدثين

أ.د/ محمد ابراهيم محمد مصطفى . ط١ . المنصورة :

دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ٢٠١٢م

٢٢٤ص ، ٢٤سم

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي :

دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر - القاهرة - المنصورة

القاهرة . محمول : ٠١٠٩٧٠٧٤٩٥ - المنصورة . ص.ب. : ١٦٧

e_mail:mmaggour@hotmail.com

القيمة الدلالية
لحركات الإعراب
بين القدماء والمحدثين

تأليف
دكتور/ محمد إبراهيم محمد مصطفى
أستاذ أصول اللغة المساعد بجامعة الأزهر

دار الكلمة
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين أنزل كتابه ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٥] متحدياً به بضاعة العرب من فصاحة وبلاغة إلى يوم الدين ، والصلاة والسلام على من نطق بأفصح لسان وأبلغ بيان ، خاطبه ربه بقوله : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء :١١٣] ورضى الله عن الصحابة والتابعين الذين قادوا الدنيا بالدين ونشروا لسان القرآن المبين، فكتب الله لهم العزة والشرف والتمكين.

وبعد:

فإن اللغة من أعظم الهبات وأفضل العطايا التى يعبر بها الإنسان عن رغباته ويتصل بها مع غيره ، واللغة العربية من بين تلك اللغات التى تتميز بالقرآن الكريم وبخير الناطقين محمد ﷺ ، عرف مقدارها الأولون فكانت لهم لسانًا، ولمكانتهم بنيانًا، ولدولتهم أركانًا ، ولتقدمهم عنوانًا وبرهانًا ، فبها أعربوا عن أنفسهم وأبانوا عن تفوقهم.

وسمات العربية وخصائصها عديدة وجوانبها كثيرة ومتنوعة، من هذه الخصائص، وتلك الجوانب الإعراب، وقد أقيمت حوله دراسات ومؤلفات وبحوث ومقالات تبين عن فضله وتفصح عن دوره ، فهو موضوع له أهميته وخطورته، ولا يُمل الحديث فيه، ولا يستغرب تناوله ودرسه ؛ لأن لكلٍّ وجهة هو موليها، والجداول تختلف والمصب واحد. والمجال التطبيقى يتسع للتأكيد والتوثيق ودفع الموضوع إلى ترسيخه وإرسائه، ودحض التزييف والتشكيك والإلباس، فتتغير الأفكار من سيئ إلى حسن ومن حسن إلى أحسن ، أراد الله أن يكون لى سهم

فى تلك المنظومة ؛ أعرب فيه عما يجيش فى صدرى وأعبر فيه عما يدور بخلدى تجاه تلك الخاصية ، فكان العنوان:

القيمة الدلالية لحركات الإعراب بين القدماء والمحدثين

وقسمت هذا العنوان إلى ثلاثة مصطلحات ، تناولتها بالحديث والدراسة، إيجازاً مرة ، وإطناباً أخرى حسب متطلبات المقام.

أما المصطلح الأول: فهو الدلالة ، وتحدثت فيه عن الدلالة النحوية التى هى موضوع البحث ، بعد التعريف والتفريق بين الدلالة والمعنى وأنواع الدلالات.

وأما المصطلح الثانى: فهو الحركات ، وتناولته فى عدة نقاط: النشأة، والتعريف، والمخارج، والمراتب، كما بينت وظيفة الحركة في الحرف الأول والثانى والأخير (=الإعراب).

وأما المصطلح الثالث: فهو الإعراب ، وقد أخذ قدرًا موفورًا من هذه الدراسة ، وطال الحديث فيه، وذلك لتعدد نقاط الشرح المتناولة تحته، وهى نقاط عشر، تتلخص فى: النشأة – المؤلفات فيه – معناه – علاماته – علله – هدفه – فضله – المجالس الإعرابية – الأمثلة الكاشفة للعلاقة بين الإعراب والمعنى من خلال القرآن الكريم والقراءات القرآنية والحديث النبوي الشريف والشعر، والعاشرة كانت رصداً للمعركة الحامية الوطيس بين أنصار الإعراب وأعدائه ، بين الحريصين عليه والمتخففين منه، بين وجوده وإثباته أو نفيه وإسقاطه ، فقمت بالرصد والنقد ، ومعي أدلة العلماء وبراهين الأمناء ، ومن ورائها الأدلة التى ارتأيتها، والحجج التى اقتنعت بها.

وأسأل الله أن يكون هذا العمل لوجهه خالصاً وأن يكون إسهاماً نافعاً.

د/ محمد إبراهيم مصطفى
أستاذ أصول اللغة المساعد
بجامعة الأزهر

المصطلح الأول

الدلالة

المصطلح الأول

الدلالة

تاريخها :

يرى المحدثون من اللغويين العرب ممن درس اللغة دراسة أوروبية حديثة أن الدلالة أو علم الدلالة semantique من المبتدعات الأوروبية الحديثة التى بحث بها الغربيون فى أواخر القرن التاسع عشر[١] ، أما العلماء العرب فلم يكونوا استثناء من هذه القاعدة، أما اللغويون العرب فقد ذهبوا إلى سبق البحث الدلالى غيره من البحوث اللغوية . وقد تمثلت البداية الأولى لتلك البحوث فى التفسير النبوي لبعض آى الذكر الحكيم، وامتزجت تلك البذرة الأولى للدرس الدلالى بعلمى التفسير والحديث [٢].

واتجه العلماء فى تعريف الدلالة اتجاهين:

الأول: اتجاه لا يفرق بين الدلالة والمعنى ، إذ يعُرف الدلالة به. ويمثل هذا الاتجاه د/ أحمد مختار عمر ، إذ يقول : «دراسة المعنى أو العلم الذى يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذى يتناول نظرية المعنى أو ذلك الفرع الذى يدرس الشروط الواجب توافرها فى الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى» [٣] وبييرجيرو ، إذ يقول : «إن علم الدلالة دراسة لمعنى الكلمات ... إن كلمة دلالة semantique قد اشتقت من الكلمة اليونانية semaino دل – عنى ، وهى نفسها مشتقة من sema : دال ، وقد كانت فى الأصل صفة تدل على كلمة: معنى . إن أى تغير دلالى هو تغير معنوى ، وإن القيمة الدلالية للكلمة تكمن فى معناها»[٤].

---

(١) التطور اللغوى التاريخى د. إبراهيم السامرائى ٤١/ ط٣/ دار الأندلس / ١٩٨٣م.

(٢) فى الدلالة اللغوية د. عبد الفتاح البركاوى ٩/ الجريسى / القاهرة.

(٣) علم الدلالة ١١/ ط٢/ عالم الكتب / ١٩٨٨م.

(٤) علم الدلالة بييرجيرو ١٥ ، ١٦ / ترجمة د. منذر عياشى / تقديم د. مازن الوعر / دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر / ١٩٩٢م.

الثانى: اتجاه يفرق بين الدلالة والمعنى ويمثله الدكتور الموافى الرفاعى البيلى، نظرياً وعمليًّا. أما النظرى فواضح فى قوله : «لا يفرق كثير من المتخصصين فضلا عن عوام المثقفين بين الدلالة والمعنى، ولكن الواقع أن بينهما فرقاً» (١) ، وأما العملى فيتجلى فى نفوذه من خلال التحليل اللغوى لتركيبى (دل)، و(عنى) والمعنى الاصطلاحي للدلالة ، والمعنى إلى التفريق بينهما؛ فيقول - بعد أن ساق نصوصًا من المعاجم اللغوية لتركيب (دل) : **ومن مجموع تلك النصوص تبين ما يلى** :

أـ أن لفظ الدلالة يدور حول معنى التسديد والهداية والإرشاد والكشف.

ب ـ أنها قد تكون بقصد من الدال ، وقد ينتفى هذا القصد . ويؤنس بهذا أن مشتقات الجذر (دل) وردت فى القرآن الكريم فى سبعة مواضع، تحقق القصد منها فى خمسة ، وانعدم فى اثنين :

قوله تعالى : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ [طه : ٤٠].

وقوله تعالى : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه : ١٢٠].

وقوله تعالى : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ [القصص : ١٢].

وقوله تعالى : ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ [سبأ : ٧].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ [الصف : ١٠].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان : ٤٥].

وقوله تعالى : ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١٤].

ويلاحظ تحقق القصد من الدال فى المواضع الخمسة الأولى وانعدام هذا القصد فى الموضعين الأخيرين.

---

(١) مقدمة فى علم الدلالة ٩/ ط ١ / الشروق / ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

فى الاصطلاح:

نعنى بالاصطلاح هنا اصطلاح اللغويين ، وخير ما يمثل موقفهم ما ورد عن الجاحظ [ت ٢٥٥ هـ] الذى يسوى بين الدلالة والبيان فيقول : «والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله ﷻ يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه» ثم يقول عن البيان: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير ، حتى يفضى السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله ، كائنًا ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان الدليل».

ونفهم من كلام الجاحظ ما يلى:

أ – أن الدلالة والبيان بمعنى واحد.

ب– أن البيان أو الدلالة كشف المعنى وإظهاره.

ج– ليس البيان أو الدلالة مقصورًا على دلالة اللفظ وحدها بل يشمل كل ما أفهم المعنى ، كائنًا ما كان ومن أى جنس كان.

وعلى هذا فلفظ الدلالة كما هو واضح متسع المعنى يشمل الدلالة اللغوية وغير اللغوية ولذلك وجدنا الجاحظ يحصر أنواع الدلالات فى خمسة أصناف ، فيقول : وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التى تسمى نصبة ، والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقتصر عن تلك الدلالات»[1] .

ويعلق الدكتور البركاوى على أصناف الدلالة عند الجاحظ قائلا : «أما الجهة التى تجمع بين تلك الأصناف وتجعلها جميعا داخلة فى مفهوم الدلالة (=البيان) فهى

---

(١) مقدمة في علم الدلالة ١٠ ، ١١ ، ١٢.

الكشف عن أعيان المعانى فى الجملة ثم عن حقائقها فى التفسير وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها فى السار والضار ، وعما يكون فيها لغوًا بهرجًا، وساقطًا مطرحًا، إن الجاحظ بجعله دلالة اللفظ واحدًا فقط من خمسة أصناف تقوم جميعًا بالكشف عن المعنى ، فإنما يجعل علم الدلالة اللغوى جزءًا من علم الدلالة العام الذى لم تكتشف أهميته فى العصر الحديث إلا على يد دي سوسير»[1].

ونعود إلى الدكتور الموافى حيث يخلص من التحليل اللغوى لتركيب (عني) إلى أن المعنى المحورى هو: الحبس ، ثم يتحدث عن معناه الاصطلاحى قائلاً: « على الرغم من دوران كلمة (المعنى) فى الاستعمال ، لم يضع لها قدامى اللغويين تعريفاً اصطلاحيًّا خاصًّا ، وحمادى ما قالوه: أن المعنى والتفسير والتأويل واحد، أو أن معنى القول هو دلالته ومضمونه ومفهومه وفحواه ومقتضاه ، وقد نقل الجاحظ عن بعض النقاد كلامًا قارب أن يضع به تعريفاً للمعنى ، جاء فيه: المعانى القائمة فى صدور الناس المتصورة فى أذهانهم، والمتخلجة فى نفوسهم والمتصلة بخواطرهم ، والحادثة فى فكرهم مستورة خفية .... وإنما يحيي تلك المعانى ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها.

وقد كاد هذا الكلام يكون تعريفاً للمعنى ، إذ يمكن – تأسيسًا عليه – أن يقال: إن معنى اللفظ هو ما تُصور فى الذهن من صورة للشيء. غير أن المعانى فيما نقله الجاحظ تشمل معانى المفردات (= التصورات) ومعانى الجمل (= التصديقات) ، والحديث هنا إنما هو عن معانى المفردات، لكن يبقى أن هذا الكلام عن المعنى قد أفاد – فيما بعد– فى صياغة تعريف المعنى.

وقد قدم أستاذنا الدكتور محمد حسن جبل تعريفاً للمعنى استخلصه من كلام

---

(١) في الدلالة اللغوية ٢٤ ، ٢٥ .

القدماء، فقال: معنى اللفظ هو الصورة الذهنية لمسماه من حيث وضع اللفظ بإزائها ، فصورة الشيء هي شكله الذى يحمل ملامحه المميزة له من غيره ، والذهن الذى هو محل الصورة هو قوة للنفس مُعَدَّة لاكتساب العلوم التصورية والتصديقية ، وقد يطلق على الذهن: العقل والقلب والنفس.

والمسمى هو الشيء الذى وضع له اللفظ ليدل عليه. وعبارة : (من حيث وضع اللفظ بإزائها) لها أهميتها؛ لأن للصورة الذهنية حيثيات متعددة ، ولا يطلق عليها معنى إلا من حيث وَضْعُ اللفظ مقابلا لها، وقد يطلق عليها : مفهوم ، من حيث إنها تُقصد باللفظ ، وماهية من حيث إن اللفظ المعبر عنها يقع جوابًا لقولنا : ما هو ؟ فالحيثيات متنوعة»[١] .

فالفرق بين الدلالة والمعنى واضح إلا فى الدلالة اللغوية لأنها تشترك مع المعنى فى المراد والمقصود . «ومن هنا يتبين أن الدلالة أعم من المعنى ، لاختصاص المعنى بدلالة اللفظ ، وشمول الدلالة للدلالة اللفظية وغير اللفظية .... والذى يعنينا هنا هو الدلالة اللغوية المرادفة لكلمة المعنى ، وترادفهما من حيث إن الشيء الذي وضع له اللفظ يسمى مدلولاً لدلالة اللفظ عليه ، كما يسمى معنى حيث إنه يُعنى، أى يُقصد باللفظ»[٢] .

ومستويات الدلالة : كثيرة حصرها العلماء فى المستوى الصوتى، والمستوى الصرفى، والمستوى النحوى (=التركيبى)، والمستوى المعجمى. ويهمنا من هذه المستويات هنا المستوى النحوى. وقد عرفه العلماء بأنه «مراعاة الجانب النحوى أو الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة ، ولو لم يؤد تغيير مكان الكلمات فى الجملة

---

(١) مقدمة فى علم الدلالة ١٤ ، ١٥ ، ١٦ . وينظر المعنى اللغوى د. جبل ٦٨ ، ٧٠ / ط مكتبة الآداب . وفى تعريف د. جبل والتعليق عليه ينظر: الدلالة اللغوية ٣٤.

(٢) من قضايا فقه اللسان مقدمة وبحوث فى علم الدلالة العربى د. الموافى الرفاعى البيلى ٢/ ط ٣/ ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(تغيير الوظيفة النحوية) إلى تغيير المعنى ، ما كان هناك فرق بين قولك : طارد الكلبُ القطَّ ، وطارد القطُّ الكلبَ. كذلك قد تتفق كلمات الجمل المتشابهة ولكن يكون الاختلاف فى توزيع المعلومات القديمة (الموضوع) والجديدة (المحمول) مثل : الثعلب السريع البنى كاد يقتنص الأرنب، والثعلب البنى الذى كاد يقتنص الأرنب كان سريعاً ، والثعلب السريع الذي كاد يقتنص الأرنب كان بنيًّا »[1] .

وليس معنى الاهتمام بالمستوى النحوى الإغضاء عن بقية المستويات ، فالعلاقة بينها واضحة فى كشف المعنى وتجليته ، يقول د/ البركاوى: « إن عالم الدلالة لا بد له من الاطلاع، بل والتمكن فى علوم الصرف والنحو ومعاجم اللغة ؛ نظراً لأن المعنى يشكل قاسمًا مشتركًا بين هذه العلوم . ومهمة عالِم الدلالة هو استخلاص ذلك المعنى وتحليله والكشف عنه »[2]، ويقول د/ الموافى : «إن تحديد الدلالة الصوتية والصيغة الصرفية إنما هو من أجل توظيفها فى التركيب النحوى؛ لأن استعمال الكلمة فى التركيب مبنى على وضوح دلالتها ونوع صيغتها. والدلالة المعنوية (= النحوية) قد مثل لها ابن جنى [ت ٣٩٢ هـ] بدلالة الفعل (قام) على فاعله، أى دلالة معنى الفعل على ضرورة وجود (مَن) أو (ما) يقوم بعده بوظيفة الفاعل ، إذ الفعل حدث لا بد له من محدث ، فهناك علاقة معنوية تربط الفعل بفاعله ، والحدث بمحدثه. ويسمى هذا التركيب بالعلاقات النحوية التى هى ارتباط بين أجزاء الجملة ، بحيث يتخذ كل منها موقعه بحسب قوانين التركيب فى اللغة»[3].

*****

(١) علم الدلالة ١٣ ، ١٤.

(٢) فى الدلالة اللغوية ٢٠.

(٣) مقدمة فى علم الدلالة ٣٠ ، ٣١.

المصطلح الثاني

الحــركـــات

المصطلح الثاني

الحركات

نشأة ـ تعريف ـ مخارج ـ مراتب ـ وظائف

ونتناول هذه النقاط الخمس في إيجاز:

أولا: نشأتها

نشأت الحركات -وهى أساس الإعراب الذى هو من أبرز سمات النحو- على يد أبى الأسود الدؤلى [ت ٦٩هـ]، وقيل: على يد غيره. والنصوص فى ذلك كثيرة ، وقد ذكر أبو عمرو الداني [ت٤٤٤هـ] بعضها فقال: «اختلفت الرواية لدينا فى مَن ابتدأ بنقط المصاحف من التابعين؛ فروينا أن المبتدئ بذلك كان أبا الأسود الدؤلى ، وذلك أنه أراد أن يعمل كتابًا فى العربية يُقوِّم الناس به ما فسد من كلامهم؛ إذ كان قد نشأ ذلك فى خواص الناس وعوامهم، فقال: أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولا ، فأحضر من يمسك المصحف، وأحضر صبغًا يخالف لون المداد، وقال للذى يمسك المصحف عليه: إذا فتحت فاى فاجعل نقطة فوق الحرف، وإذا كسرت فاى فاجعل نقطة تحت الحرف ، وإذا ضممت فاى فاجعل نقطة أمام الحرف ، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنّة - يعنى تنويناً - فاجعل نقطتين ، ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف. وروينا أن المبتدئ بذلك كان نصر بن عاصم الليثى [ت ٨٩هـ] وأنه الذى خمَّسها وعشَّرها. وروينا أن ابن سيرين [ت ١١٠ هـ] كان عنده مصحف نقطه يحيى بن يعمر [ت ١٢٩هـ]، وأن يحيى أول من نقطها. وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعى البصريين. وأكثر العلماء على أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلى، جعل الحركات والتنوين لا غير، وأن الخليل بن أحمد [ت ١٧٠هـ] هو الذى جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام»[1] .

---

(١) النقط لأبى عمرو الدانى ١٢٩ مع المقنع فى رسم مصاحف الأمصار/ تح. محمد الصادق قمحاوى/ مكتبة الكليات الأزهرية وصبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ١٦٠ ، ١٦١/ ط مصورة عن دار الكتب الخديوية/ سلسلة الذخائر ١٣٢ / ٢٠٠٤م.

تعليقات: في النص أمور لا بد من التعليق عليها ، والتنويه بها ، تتلخص فيما يلي:

١ – بدأ التأليف فى النحو فى القرن الأول الهجرى ، على يد أبى الأسود الدؤلى. وقد دُفع إلى ذلك من ذاته عندما وجد ابنته أرادت معنىً وعبَّرت عنه بحركة مخالفة ؛ ففي بعض الروايات: «أن ابنته قالت له يومًا: يا أبت ، ما أحسنُ السماءِ ؟ قال: أى بنية : نجومها ، قالت : إني لم أرد : أى شيء منها أحسن؟ إنما تعجبت من حسنها ، قال: إذاً فقولى: ما أحسنَ السماءَ! فحينئذ وضع كتاباً . ويقال: إن ابنته قالت له: يا أبت: ما أشدُّ الحرِّ – فى يوم شديد الحر – فقال لها: إذا كانت الصقعاء من فوقك، والرمضاء من تحتك ، قالت: إنما أردت أن الحر شديد، قال: فقولى إذاً : ما أشدَّ الحرَّ!»[1] . ولم تكن ابنته وحدها بدعًا في ذلك، وإنما سرى اللحن في كلام كثير غيرها، حتى قال أبو الأسود: « إنى أجد للحن غَمَراً كغَمر اللّحم »[2].

كما دُفع إلى ذلك – أيضًا – بإشارة من غيره . واختلف فى المشير ، فقيل : عمر ابن الخطاب رضي الله عنه [ت ٢٣هـ] يقول د/ علي النجدي ناصف : « وقد كان عمر رضي الله عنه ملهمًا حين كتب إلى أبى موسى الأشعرى [ت ٤٤هـ] فى ولايته على البصرة أن يكل إلى أبى الأسود تعليم الإعراب»[3] .

وقيل : على بن أبى طالب رضي الله عنه [ت٤٠هـ] ، حيث جاء على لسان أبى الأسود عندما سئل عمن فتح له الطريق إلى الوضع فى النحو وأرشده إليه ، فقال: « تلقيته من على بن أبى طالب – رحمه الله – وفى حديث آخر – قال: ألقى إلىّ علىٌّ أصولاً احتذيت عليها »[4] .

---

(١) أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض لأبى سعيد السيرافى ٣٥ ، ٣٦/ تح د. محمد إبراهيم البنا / ط١ / دار الاعتصام / ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

(٢) السابق : ٣٥ .

(٣) تاريخ النحو د. على النجدى ناصف ٧ / دار المعارف.

(٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ٢١/ تح. محمد أبو الفضل إبراهيم / ط٢/ دار المعارف. وقد ذكر القفطى شيئاً من تلك الأصول منطوقة ومكتوبة. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة ١/ ٤ ، ٥ / تح. محمد أبو الفضل إبراهيم / مطبعة دار الكتب ١ / المصرية / ١٣٧١هـ.

وقيل : إن أبا الأسود عمل النحو ثم عرضه على الإمام ، فقال له الإمام: «ما أحسن هذا النحو الذى أخذت فيه فسمى نحواً بذلك »[١] .

وقيل: زياد بن معاوية [ت ٥٣هـ]، يقول أبو بكر الزُّبيدي [ت٣٧٩هـ] : « أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلى ، جاء إلى زياد بالبصرة ، فقال: إنى أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيرت ألسنتهم ، أفتأذن لى أن أضع للعرب كلامًا يقيمون به كلامهم؟ قال: لا ، فجاء رجل إلى زياد ، فقال: أصلح الله الأمير! توفى أبانا وترك بنون ، فقال زياد: توفى أبانا وترك بنون !! ادع لى أبا الأسود ، فقال: ضع للناس الذى كنت نهيتك أن تضع لهم»[٢] .

وقيل : ابن عباس [ت ٦٨هـ]؛ فيحكي القِفْطى [ت ٦٤٦هـ] « أن أبا الأسود أتى ابن عباس فقال: إنى أرى ألسنة العرب قد فسدت ، فأردت أن أضع شيئاً يُقوِّمون به ألسنتهم ، قال: لعلك تريد النحو ، أما إنه حق ، واستعن بسورة يوسف»[٣] .

والراجح : أن أبا الأسود واضع أوائل النحو ، يقول الزُّبيدي : «وهو أول من أسس العربية ، ونهج سبلها، ووضع قياسها ، وذلك حين اضطرب كلام العرب ، وصار سراة الناس ووجوههم يلحنون ، فوضع باب الفاعل، والمفعول به، والمضاف، وحروف النصب والرفع والجر والجزم » [٤].

وعلى الرغم من وضوح الروايات التى تشهد لأبى الأسود بالحرص على اللغة ،

(١) الإبانة فى اللغة العربية ، سلمة بن مسلم العوتبى الصحارى١/ ٢١ تح د. عبد الكريم خليفة وآخرين/ ط١/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٢م

(٢) طبقات النحويين ٢٢.

(٣) إنباه الرواة ١/ ١٦ وينظر: ابن عباس – رضى الله عنهما – مؤسس علوم العربية د. عبد الكريم بن محمد الحسن بكار ٣٧/ ط ١ / مكتبة السوادى للتوزيع / ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٤) طبقات النحويين : ٢١.

وأنه كما يقول د/ على النجدى ناصف : « صاحب حس لغوى مرهف ، يستطيع به تمييز الأساليب بعضها من بعض، وإدراك ما يكون بينها من أوجه الخلاف والمشابهة، وما يكون لذلك من أثر فى المعنى صحة وفساداً » [(١)] . أقول : مع ذلك يُتهم بأنه أخذ النحو من السريانية ، أو تعلمه من يعقوب الرهاوى الذى كان معاصراً له ، وله كتاب فى نحو السريانية . لكن د/ ناصف يرد ذلك قائلاً: « وكلا القولين يشعر أن النحو العربى ليس عربيًّا صريحًا ، وأن أبا الأسود قد أفاده من السريانية على نحو ما ! وهو كلام يقوم – كما ترى – على مجرد الظن ، ويكثر ترداد مثله كلما ذكرت أوليات علوم العرب ، كأنما كتب عليهم من بين خلق الله أن يكونوا تلاميذ لغيرهم فى العلوم ، وهو كلام يمكن قبوله والتسليم به حين يكون له سند غير الحدس والتخمين »[(٢)] .

٢- نحو أبي الأسود مستنبط من كلام العرب، وكان موجزاً ، يقول د/ ناصف : «ما وضعه أبو الأسود من النحو مجرد ملاحظات يسيرة ، هُدى إليها بالنظر فى الأساليب واستقرائها على قدر الطاقة فى المقامات المتنوعة ، وتيسر له بفضلها أن يستنبط منها ضوابط لا تبلغ مبلغ القواعد التى تقرر الأحكام فى اطراد وشمول ، ومن يكن مثل أبى الأسود فى سلامة الفطرة ولطف الحس لا يستعصى عليه أن يهتدى إلى هذه الأوليات وزيادة . وما كان الخليفة عمر ليختاره معلمًا للإعراب إلا وهو صالح له ، وكافٍ فيه »[(٣)] . وصدى هذه الملاحظة مُدَوٍّ فى تعريف النحو؛ فقد عُرف بأنه « علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي يأتلف منها فيحتاج من أجل ذلك إلى تبيين حقيقة الكلام وتبيين أجزائه التى يأتلف منها وتبيين أحكامها»[(٤)] .

---

(١) تاريخ النحو ٩.

(٢) تاريخ النحو ١٠ ، ١١.

(٣) السابق ١١.

(٤) شرح المقرب لابن عصفور د. على محمد فاخر ٣٤/ ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٣- اللحن والخطأ من أسباب ودواعى وضع النحو فى القرن الأول الهجرى فى مدينة البصرة ، والأمثلة على ذلك واضحة .

وتلك ثلاث نقاط نوضحها في إيجاز على النحو التالي :

أولا: بدايته:

يظن كثير من الناس أن اللحن ظهر فى زمن أبى الأسود الدؤلى ، ولكنه وقع قبل ذلك فى عهد النبوة ، يروى عن النبى ﷺ أنه لحن عنده رجل فقال: «**أرشدوا أخاكم**»[1] وفى عهد أبى بكر الصديق رضي الله عنه [ت ١٣هـ] قيل: إن رجلاً قصد أبا بكر رضي الله عنه فى حاجة، فكثر لحنه .... فقال له: استر عورتك وسل حاجتك ، فبادر الرجل ثوبه ، فقال له عمر رضي الله عنه وكان حاضراً: لم يردك خليفة رسول الله ﷺ بهذا ، إنما أمرك بإصلاح لسانك [2] . وفى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه روى عنه أنه كان إذا سمع رجلاً يخطئ قبح عليه ، وإذا أصابه يلحن ضربه بالدرة[3] ثم كثر وفشا مما لفت الأنظار إلى تقعيد القواعد، ووضع المعالم.

ثانيا: مكانه:

نلاحظ فى الرواية المذكورة عبارة: (وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعى البصريين)، أى أن أوليات النحو من نقط وضبط وغيرهما كان بالبصرة ، ونتساءل: لماذا كانت البصرة؟ يجيب الباحثون ، قائلين: « وحين ننظر فى الدور الذى ساهم به كل مركز من مراكز العراق الثقافية فى هذه الحياة اللغوية ، نلاحظ أن البصرة كانت أسبق هذه المراكز إلى تدوين اللغة ووضع قواعد النحو ، فى حين كانت الكوفة أكثر اهتماماً وأوسع نشاطاً فى رواية الشعر والأخبار ، وربما كان السبب فى هذا يرجع إلى أن العناصر الأجنبية فى البصرة كانت أكثر اختلاطاً وتنوعاً؛ وذلك نظراً لموقعها الجغرافى على ساحل البحر ، الأمر الذى هيأها لتكون مرفأ للسفن التجارية القادمة

---

(١) الإبانة ١/ ١٥.

(٢) السابق .

(٣) السابق ١/ ١٤.

من مختلف بلاد العالم القديم ، وهذا يجعلها دائماً على استعداد لاستقبال أخلاط متعددة من الأجانب ، شأنها فى ذلك شأن أى مرفأ بحرى ، ومن هنا كانت الحاجة إلى تعلم اللغة العربية والنحو العربى أقوى فى البصرة منها فى الكوفة»[(١)] ، «وتوالت الهجرة إليها على تعاقب وازدياد ، حتى بلغت عدة مقاتلتها أيام كان زياد واليًا عليها ثمانين ألفًا ، وبلغت عدة عيالهم مائة وعشرين ألفًا ، وكان تمصيرها سنة ١٤ ، وولاية زياد سنة ٤٥ فكل ما بينهما نحو ثلاثين عاما »[(٢)].

ثالثا: أمثلته:

نسوق – هنا – أمثلة للحن فى الضبط الإعرابى:

١- قرأ قارئ على أعرابى قول الله تعالى : ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٣] بكسر لام (ورسوله) فتعجب الأعرابى، وقال: أَوَ برئ الله من رسوله؟! وبلغت عمر الواقعة فاستدعى الأعرابى وسأله، فقص عليه قراءة الرجل، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابى ، فقال الأعرابى : فكيف هى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ بضم لام كلمة رسوله ، فقال الأعرابى: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه[(٣)]. وقيل: الذى سمع القارئ هو أبو الأسود الدؤلى[(٤)].

٢- وقال عمر لقوم رموا فأساؤوا الرمى: بئس ما رميتم ، فقالوا : إنا قوم متعلمين ، فقال: والله لخطؤكم فى كلامكم أشد من خطئكم فى رميكم[(٥)].

---

(١) حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة د. يوسف خليفة ٢٦/ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر / القاهرة / ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

(٢) تاريخ النحو : ٥ .

(٣) تاريخ النحو ١١ ، ١٢ وأصالة الإعراب ودلالته على المعانى فى القرآن الكريم واللغة العربية د. محمد حسن حسن جبل ٣٨ / حجاج بالرياض ، وجعلها الدكتور الشاهد الصوتى الثالث لوجود الإعراب فى القرآن.

(٤) أخبار النحويين البصريين ٣٤ والإبانة ١/ ٢٢.

(٥) الإيضاح فى علل النحو لأبى القاسم الزجاجى ٩٦/ تح د. مازن المبارك / ط٥ / دار النفائس / ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٣- الحركات أصوات. وقد تجلى ذلك فى حركة فم وشفتى أبي الأسود ، وهى إشارة ذكية اعترف بها دارسو الأصوات فيما بعد ، يقول د. غالب: « اختلف اللغويون العرب فى تسمية هذه الطائفة من الأصوات اللغوية التى اصطلح عليها بالإنكليزية بـ vowels اختلافاً كبيراً، ولو تتبعنا الأمر تتبعاً تاريخيًّا لوجدنا أن أول إشارة إلى تسمية هذه الأصوات قد جاءتنا منسوبة إلى أبى الأسود الدؤلى .... وقد شاع هذا المصطلح فيما بعد فى العلوم اللغوية العربية للدلالة على أصوات المد القصيرة Shore vowels فحسب »[1].

وقد لاحظ د/ الموافى على نص أبى الأسود ملاحظات جديرة بالذكر هنا ، يقول: «ولنا على هذا النص أربع ملاحظات:

الأولى: أن تسمية أبى الأسود لهذه الرموز بالحركات لم تكن لوقوفه على خصائصها وطبيعتها الصوتية، وإنما للحركات الحسية التى تصدر من الفم أو الشفتين عند نطقها.

الثانية: أن تسميته إياها بالحركات هى أقدم تسمية لها – فيما نعلم – وما زالت مستعملة فى الدراسات الصوتية حتى الآن.

الثالثة: أن أبا الأسود اهتم فى ضبط المصحف بوضع علامات للحركات القصار ، ولم يكن من همه إثبات الحركات الطوال فى الكلمات التى رسمت فى القرآن بدونها .

الرابعة: نعتقد أن الضبط كان خاصًّا ببعض حروف الكلمة دون سائرها ، وذلك لسببين:

الأول: أن الذى حمل أبا الأسود على ابتكار هذا الضبط إنما هو تسرب اللحن إلى الألسنة، بل إلى قراءة القرآن فيما تروى بعض الروايات ، واللحن عند الإطلاق

(١) فى الأصوات اللغوية دراسة فى أصوات المد العربية د. غالب فضل المطلبى ١٥ ، ١٦ / منشورات وزارة الثقافة والإعلام / العراق / ١٩٨٤.

ينصرف إلى الزيغ عن الإعراب وهو خاص بالحرف الأخير.

الثانى: أن فى نقط حروف الكلمة كلها ما يشوه خط المصحف ، وهو ما لم يقصده أبو الأسود بالطبع، يقول السجستانى [ت ٢٥٥ هـ] : «وإنما النقط على الإيجاز؛ لأنهم لو تتبعوا كما ينبغى أن ينقط عليه فنقطوه لفسد المصحف»(١).

ثانيا: تعريفها وأنواعها

يدور تركيب (حرك) فى اللغة على القلقلة والاضطراب، وهو ضد السكون ، يقول ابن فارس [ت ٣٩٥ هـ]: «الحاء والراء والكاف أصلٌ واحد، فالحركة ضدُّ السكون. ومن الباب الحارِكانِ، وهما ملتقى الكتِفَين، لأنَّهما لا يزالان يتحرَّكان. وكذلك الحراكيك، وهي الحراقِفُ، واحدتها حَرْكَكَة»(٢). وجاء فى المعجم الوسيط: «الحركة: كيفية عارضة للصوت وهى الضم والفتح والكسر، ويقابلها السكون »(٣) .

وما قررته اللغة يتفق وما ذهب إليه العلماء من تعريف للحركة، ومن تعليل تسميتها، فقد عرفوها بقولهم: «الحركة صوت يحدث عند إرسال النفس .... وهو الصوت الذى يحصل التلفظ به بعد التلفظ بالحرف»(٤)، ويقول ابن جنى [ت ٣٩٢هـ] معللاً: «وإنما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات لأنها تقلق الحرف الذى تقترن به ، وتجتذبه نحو الحروف التى هى أبعاضها ، فالفتحة تجتذب الحرف نحو الألف ، والكسرة تجتذبه نحو الياء ، والضمة تجتذبه نحو الواو»(٥) . وفى نص

---

(١) الحركات العربية فى ضوء علم اللغة الحديث د. الموافى الرفاعى البيلى ٣٦ ، ٦٤ ، ٦٥ / ط١ / التركى / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) مقاييس اللغة ٢/ ٤٥ [حرك] تح / عبد السلام هارون / ط١/ دار الجيل / بيروت / ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٣) المعجم الوسيط ١/ ١٧٥ [حرك] / ط٣/ مجمع اللغة العربية ٠/ ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م.

(٤) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد الرازى ١/ ٥٤/ ط٣/ دار الفكر/ بيروت / لبنان/ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٠، تح/ مصطفى السقا وآخرين/ ط١/ مصطفى البابى الحلبى/ ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م.

ابن جنى فوق تعليل تسمية الحركة بالحركة إشارة إلى أن الحركات القصار أبعاض وأصول للحركات الطوال ، وهذا ما قرره صراحة فى قوله: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهى: الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهى: الفتحة والكسر والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيم»[١] . وفى قوله: «ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه، وذلك نحو فتحة عين (عَمَر) ، فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت: عامَر، وكذلك كسرة عين (عِنَب) إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة وذلك قولك: عينب، وكذلك ضمة عين (عُمَر) لو أشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنة وذلك قولك: عومر، فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما تنشأت عنها ولا كانت تابعة لها»[٢] .

فالحركات القصار – على ما فُهم من كلام ابن جنى – أصل للحركات الطوال. وهذا أحد مذاهب ثلاثة فيها ، وأما الآخران فهما: الحركات الطوال أصل للحركات القصار ، أو كل واحد منهما أصل[٣] . والمهم أن هناك فرقاً بين الحركات القصيرة والطويلة يكمن فى الكمية [بمقدار حركتين قصيرتين]، وفى الكيفية [يبدو فى اختلاف طفيف فى وضع اللسان] »[٤] .

ثالثا: مخارجها

يعتبر قول أبى الأسود : (إذا فتحت فاي ....) أول إشارة تاريخية لمخارج

---

(١) السابق ١/ ١٩.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠.

(٣) ينظر فى ذلك صبح الأعشى ٣/ ١٦٣ ، ١٦٤.

(٤) الحركات العربية ٣٠.

الحركات؛ فالألف [الفتحة] شاخصة، والواو [الضمة] دائرة، والياء [الكسرة] متسفلة ، فاللسان والشفتان لهما دور فى إخراج هذه الأصوات ، وهما العاملان اللذان يؤثران فى تكوين أصوات اللين ، يقول د. جبل: «الذى يؤثر فى تكوين أصوات اللين عاملان:

أ- ارتفاع اللسان، ونقطة الارتفاع ومداه. وللارتفاع منطقتان: أقصى اللسان، ومنطقة وسط مقدمه، وهى المنطقة التى تلى المنطقة الأولى فى الاتجاه إلى خارج الفم.

ب- هيئة الشفتين عند نطق كل حركة من حيث استدارتهما أو انفراجهما أو اتخاذهما وضعاً محايداً»(١) .

وعقد د/ كمال بشر عنوانًا للحركات المعيارية، وآخر للحركات العربية ، ويمكن أن نوجز ما قال فى العنوانين(٢) - من حيث مخارج الحركات العربية - فيما يلى:

(١) الكسرة العربية أقرب ما تكون إلى الحركة المعيارية رقم ١ [i] ، يقول : «هى الصوت الذى يرتفع مقدم اللسان حال النطق به تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ممكن ، مع بقاء هذا الصوت حركة ، أى بحيث إذا ارتفع اللسان أكثر من ذلك ضاق المجرى إلى درجة ينتج عنها حفيف مسموع وتكون النتيجة إصدار صوت آخر هو الياء ، وتكون الشفتان حال النطق بهذه الحركة منفرجتين ». أو هى مثلها تقريباً مع وجود فرقين اثنين :

الأول : مقدم اللسان مع الكسرة العربية أقل ارتفاعا منه مع المعيارية فالكسرة العربية إذن حركة ضيقة ولكن بدرجة أقل من المعيارية.

الثانى : أن أعلى نقطة فى هذا الجزء من اللسان تنحو نحو الخلف قليلاً ، أو بعبارة أخرى: إن أعلى نقطة فى مقدم اللسان حين النطق بالعربية تكون خلف أعلى نقطة فى

---

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية/ ١٦١، ١٦٤/ ط٢/ دار الصحابة / طنطا/ ٢٠٠٠م.

(٢) علم اللغة العام: الأصوات العربية ١٣٩ وما بعدها ، ١٤٦ وما بعدها / مكتبة الشباب / ١٩٩٠م.

هذا الجزء من اللسان حال النطق بالحركة المعيارية رقم١ . فالكسرة العربية إذن حركة أمامية ولكن ليس بالدرجة التى توصف بها هذه الحركة المعيارية.

(٢) الفتحة العربية أقرب ما تكون إلى الحركتين رقم ٤ ، ٥ [A ، E] ، يقول : « هى الصوت الذى ينخفض مؤخر اللسان حال النطق به إلى أقصى حد ممكن مع رجوع هذا الجزء من اللسان إلى الخلف قدر الطاقة. ومع بقاء الصوت حركة أى بحيث إذا تأخر اللسان أبعد من ذلك كانت النتيجة هى ظهور صوت آخر ، هو نوع من الراء موجود فى بعض اللغات الأجنبية وتكون الشفتان فى نطق هذا الصوت غير مضمومتين» أو هى بينهما حيث جزء اللسان ، فأعلى نقطة فى اللسان حال النطق بالفتحة العربية هى وسطه، ولكنها مع ذلك ليست حركة مركزية أو وسطى فاللسان مع الفتحة العربية يكاد يكون مستويًا فى قاع الفم مع ارتفاع خفيف فى وسطه ، فهى إذن حركة متسعة ، ولكن لا تبلغ فى ذلك مبلغ الحركتين.

١- الضمة العربية أقرب ما تكون من الحركة المعيارية رقم ٨ [u] «الجزء الخلفى من اللسان يرتفع تدريجيًّا تجاه الحنك الأقصى بنسب متفاوتة بحيث يصل إلى درجة من الارتفاع تسمح بمرور الهواء من غير أن يحدث أى حفيف مسموع ، إذ لو ارتفع مؤخر اللسان أكثر من ذلك كانت النتيجة خروج صوت الواو » . أو هى مثلها مع فرقين، **الأول**: أن الجزء الخلفى من اللسان حيث النطق بالضمة العربية يكون أقل ارتفاعاً منه مع المعيارية ٨ فالضمة حركة ضيقة ولكن ليس بالدرجة التى تصل إليها المعيارية . **الثانى** : أن أعلى نقطة فى هذا الجزء الخلفى من اللسان تنحو نحو الأمام قليلاً ، أو بعبارة أخرى: إن أعلى نقطة فى الجزء الخلفى من اللسان مع الحركة العربية الضمة تكون أمام أعلى نقطة فى هذا الجزء نفسه حال النطق بالمعيارية ٨ [U] ومع ذلك فالضمة العربية حركة خلفية ولكنها لا تبلغ مبلغ المعيارية».

رابعا: مراتبها

الضم أثقل الحركات يليه الكسر يليه الفتح ، هذا ما قرره العلماء ، منهم الرازى

[ت ٦٠٤هـ] حيث قال: «أثقل الحركات الضمة؛ لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين ، ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرفى الشفة. أما الكسرة فإنه يكفى فى تحصيلها العضلة الواحدة الجارية» ، ويصفها فى موضع آخر قائلاً : «ومن أراد التلفظ بالكسرة فإنه لا بد له من فتح الفم فتحاً قويًا. والفتح القوى لا يحصل إلا بانجرار اللحى الأسفل وانخفاضه، فلا جرم يسمى ذلك جرًّا وخفضًا وكسرًا ؛ لأن انجرار القوى يوجب الكسر ثم الفتحة يكفى فيها عمل ضعيف لتلك العضلة »، ويقول فى موطن آخر: «ومن أراد التلفظ بالفتحة فإنه لابد له من فتح الفم بحيث تنتصب الشفة العليا عند ذلك الفتح – وكما دلت هذه المعالم التشريحية على ما ذكرناه فالتجربة تظهره أيضاً. واعلم أن الحال فيما ذكرناه يختلف بحسب أمزجة البلدان ، فإن أهل أذربيجان يغلب على جميع ألفاظهم إشمام الضمة وكثير من البلاد يغلب على لغتهم إشمام الكسرة» (١) .

فى نص الرازى ملاحظتان:

الأولى: الشفتان لهما دور كبير فى إخراج الحركات الثلاث وفى الثقل والخفة . ونقول بعد معرفتنا بمخارجها: إن للسان دوراً فى الإخراج والثقل والخفة؛ فالضمة هى أثقل الحركات نظراً لاستدارة الشفتين معها ولضيق مجرى هوائها بين مؤخر اللسان والحنك الأفقى ، والكسرة ثقيلة لانفراج الشفتين، وارتفاع مقدم اللسان إلى الحنك الأعلى، وضيق مجرى الهواء . ولا شك أن ارتفاع مؤخر اللسان أثقل من ارتفاع المقدمة . والفتحة أخف؛ نظراً لاتساع مخرجها بين اللسان والحنك الأعلى ، حيث يكاد يكون اللسان راقداً فى قاع الفم فالهواء يمر من بينهما حرًّا طليقًا.

الثانية: حديث الرازى عن ثقل وخفة الحركات حديث عام يدخل الأبنية والإعراب، وأشار بعض العلماء إلى الأخير فقال: «إن المرفوعات قليلة بالنسبة إلى

---

(١) مفاتيح الغيب ١/ ٥٤ ، ٥٥.

المنصوبات إذ هى الفاعل، والمبتدأ، والخبر، وما ألحق بها من نائب الفاعل، واسم كان، وخبر إن. بخلاف المنصوبات فإنها أكثر من عشرة. فجعل الأثقل للأقل ؛ لقلة دورانه ، والأخف للأكثر؛ ليسهل ويعتدل الكلام بتخفيف ما يكثر وتثقيل ما يقل. ولما كانت المجرورات أكثر من المرفوعات وأقل من المنصوبات أعطيت الحركة الوسطى فى الثقل والخفة»[(١)].

خامسا: وظائفها

تقوم الحركات بنشاط كبير فى الكلمات؛ إذ تحول الكلمة من موت إلى حياة ، ومن سبات إلى يقظة ، كما تعمل على الربط بين الكلمة وأختها . ويمكن تلخيص هذه الوظائف[(٢)] فى النقاط التالية:

١ـ الربط: تقوم الحركات بالربط بين:

أ- الصوامت (= الحروف) : ومعنى هذا أن الحركات من الناحية الفسيولوجية بما فيها من حرية انطلاق دون إعاقة فى المجرى تمكن من ربط الصوامت أثناء التكلم؛ حيث إن هذه الصوامت لا يمكن النطق بها دون حركات.

ب- الكلمات: وهو ما يسمى بالوظيفة النحوية ، وتقوم الحركات فى الدرس النحوى بوظيفة جليلة تتمثل فى الصلة بين الكلمات فى الجملة ، أى أنها تميز بين المواقع النحوية للكلمات بحيث يترتب على تغيرها تغير هذه المواقع.

٢- الإيضاح: توضح الحركات -بما لها من خاصية قوة إسماع – الصوامت، وخاصة الضعيفة منها، فتوضح الصوامت أثناء النطق ، وبخاصة تلك الصوامت التى تكون درجة إسماعها جد ضعيفة كالصوامت الوقفية المهموسة كالتاء

---

(١) الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى ١/ ١٩٣ ، ١٩٤ / ط١ / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) مستخلصة من كتاب: الحركات العربية ٣٨ وما بعدها. و ينظر: فى الأصوات اللغوية، د.غالب ٢٤٧ وما بعدها.

والكاف . ومن هنا تجيء الأهمية الوظيفية للحركات فى الدراسة المقطعية ، حيث تشكل الحركات فى العربية قمم المقاطع دائما ، أى أنها أصوات مقطعية syllabic sounds وذلك لما فيها من قوة إسماع تفوق غيرها من الأصوات ، فهى وإن كان لا يبدأ بها المقطع فهى بلا شك مركز المقطع العربى ، حتى لتبدو من خلالها صلات معينة بين الكمية وبين النبر والتنغيم ، ومن ثم تعتبر حروف العلة من العناصر الضرورية فى بناء نظامى النبر فى الصرف والتنغيم فى النحو.

٣- التفريق: وتأتى الأهمية الوظيفية للحركات أيضا من استقلالها فى توجيه الدلالة، فجذر الكلمة وهو مكون من أصوات صامتة يحتوى بالقوة على معانى مشتقاتها . إذا دخلت عليه الحركات أخرجت هذه المعانى من حيز القوة إلى حيز الفعل ، أى أنها تقوم بالتفريق بين الصيغ المختلفة للمادة الواحدة ، وهذا ما كان اللغويون العرب يعبرون عنه بالاشتقاق الصغير أو الأصغر.

أمثلة ونماذج:

الواقع اللغوى فيه كثير من الأمثلة الشاهدة على الوظيفة النشطة للحركات ، فهناك من الكلمات ما نطق فيه الحرف الأول بصورتين فأكثر مع اتحاد الحرف الثانى ، وهناك ما نطق فيه الحرف الثانى بصورتين فأكثر مع اتحاد الحرف الأول، وهناك ما نطق فيه الحرف الثالث (= حرف الإعراب) مع اتحاد الحرف الأول والثانى .

وتعاقب الصورتين فأكثر على الحرف الواحد له فائدة ، إما لفظية وهى تنوع وتعدد الأساليب وهذا من باب اللهجات فيكون المعنى فى هذه الصور متحداً ومجال هذا هو كتب اللهجات ، وإما معنوية وهى تعدد المعانى والدلالات ومجال هذه الفائدة واسع ومجالها كتب اللغة والمعاجم وهى التى تهمنا فى مقامنا هذا ، ونضرب لها أمثلة لندلل على ما نقول.

١- **مثال ما اختلف أوله:** سَداد: بفتح السين وكسرها، فقد نقلت لنا كتب التراجم مجلسًا لغويًّا حول هذا اللفظ من ناحية ضبط حركة أوله واختلاف المعنى تبعاً لهذا الضبط، يقول أبو بكر الزبيدي : « حدثنا عوف بن أبى جميلة الأعرابى ، قال: حدثنا الحسن بن على [ت ٥٠هـ] قال: قال رسول الله ﷺ : «**أيما رجل تزوج امرأة لدينها وجمالها كان فى ذلك سِدَادٌ من عَوَز** » قال: وكان [يعنى المأمون ت ٢١٨ هـ] متكئاً فاستوى جالسا، ثم قال: يا نضر [بن شميل ت ٢٠٣هـ] كيف قال هُشيم [بن بشير ت ١٨٣هـ]: سَداد، ولم يقل: سِداد ، وما الفرق بينهما ؟ قال: قلت يا أمير المؤمنين: السَّداد القصد فى الدين والسبيل، والسِّداد: بالكسر من الثغر والثلمة، وكل ما سددت به شيئاً فهو سِداد، قال: وتعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم: قال الشاعر [عبد الله بن عمر العرجى ت ١٢٠هـ] : [الوافر]

أَضاعوني وَأَيَّ فَتًى أَضاعوا ... ليومِ كَريهَةٍ وَسِدادُ ثَغرِ
كَأَنّي لَم أَكُن فيهِم وَسِيطاً ... وَلم تك نِسبَتي في آل عَمرِو

قال: قبح الله اللحن »[١].

٢- مثال ما اختلف ثانيه: كلمة (واتخذوا) من قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة :١٢٥] ذكرت لنا كتب القراءات أن الخاء من (واتخذوا) فيها الفتح والكسر باختلاف معنى؛ فنافع [ت ١٩٦هـ] ، وابن عامر [ت ١١٨ هـ] بفتح الخاء على الخبر عطفًا على ما قبله ، وإما على مجموع (وإذ جعلنا) فتضمر (إذ) ، وإما على نفس (جعلنا) فلا إضمار، ووافقهم الحسن [ت ١١٠هـ]. والباقون بكسرها على الأمر. والمأمور بذلك

(١) طبقات النحويين ٥٧.

قيل: إبراهيم وذريته، وقيل نبينا ﷺ وأمته ، وعليهما فيكون معمولاً لقول محذوف ، أى وقال لإبراهيم على الأول ، وقلنا: اتخذوا على الثانى»(١) .

٣- **مثال ما اختلف ثالثه:** وهو محل الإعراب: (ختنك) برفع النون ونصبها، حكت لنا كتب اللغة مجلسًا لغويًّا حول هذا اللفظ: « قال الوليد بن عبد الملك [ت ٩٦هـ] لبعض بنى عمه: من خَتَنَك؟ قال: عَذرنى غلام من الحى ، فقال عمر بن عبد العزيز [ت ١٠١هـ]: إن أمير المؤمنين يقول لك: من ختنُك؟ فاستحيا الوليد وأقام فى منزله أربعين يومًا يصلح لسانه ولا يخرج للناس »(٢).

فحركات أوائل الكلمات وأوسطها تقوم بنفس الدور التى تقوم به حركات الإعراب من التفريق بين المعانى ، يقول الشيخ محمد أحمد عرفه: « أما الحركات الأخرى التى ليست حركات إعراب ، وهى التى تكون فى أوائل الكلمات أو فى أوسطها ، فليست أقل شأناً فى العربية من حركات الإعراب، فإنها أداة للتفريق بين المعانى المختلفة ، فهى تفرق بين اسم الفاعل والمفعول فى مثل: مكرِم ومكرَم ، وبين فعل المعلوم وفعل المجهول فى مثل: كَتب وكُتب ، وبين الفعل والمصدر فى مثل: عَلِم وعِلْم ، وبين الوصف والمصدر فى مثل: فَرِح وفَرَح ، حَسَن وحُسْن ، وبين المفرد والجمع فى مثل: أَسِد وأُسْد ، وبين الفعل والفعل فى مثل: قَدَم وقَدِم ، وبين معان أخرى كثيرة يتبينها الناظر فى مفردات اللغة العربية بسهولة وبكثرة عظيمتين. من هذا نرى عناية اللغة العربية بالحركات على اختلاف أنواعها وحرصها على الدقة فيها حرصًا شديدًا»(٣) .

*****

---

(١) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأمانى والمسرات فى علوم القراءات ، للبنا الدمياطى ١/ ٤١٧ تح د. شعبان محمد إسماعيل / ط١/ عالم الكتب / بيروت/ ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

(٢) الإبانة ١/ ١٨.

(٣) النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ، محمد أحمد عرفه ١٢٤ ، ١٢٥ / مطبعة السعادة / مصر.

المصطلح الثالث

الإعراب

المصطلح الثالث
الإعراب

نتناول هذا المصطلح في عدة نقاط:

أولا: نشأته:

نشأ الإعراب منذ أن نشأت اللغات، ففي أبجديات اللغات الهندية الأوربية رموز للأصوات الصائتة ، وكذلك فى اللغات السامية حركات غير أنها تمتاز عنها فى اللغات الهندية الأوربية ، بقيامها بالتفريق بين المعانى التي تعبر عنها الأصوات الصامتة(١). ويقول المستشرق برجشتراسر: «والإعراب سامي الأصل، تشترك فيه اللغة الأكادية ، وفي بعضه الحبشية ، ونجد آثارًا منه في غيرهما أيضا »(٢) . ومكانة العربية من بين اللغات السامية تكمن فى قربها من اللغة الأم ، يقول الباحثون: إن اللغة العربية أقرب اللغات السامية إلى اللغة التي يفترض أنها أم اللغات السامية، فيقول: إسرائيل ولفنسون [ت ١٩٨٠م] في كتابه: تاريخ اللغات السامية ص١٦٢: «إن القبائل التي قطنت الجزيرة العربية ، احتفظت بلغتها السامية الأصلية ولم يطرأ على لغة هذه القبائل شيء كبير من التغيير والتبديل، إذ كانت هذه الأقوام بعيدة التأثر بالأمم الأخرى(٣) . لذا فإن اللغة العربية ساق الدوحة السامية التي تفرعت إلى البقاع المحيطة بالجزيرة العربية »(٤). ولذا احتفظت العربية بالإعراب، يقول د. وافي: «تمتاز اللغة العربية في شيءون التنظيم syntaxe بتلك القواعد الدقيقة التي اشتهرت باسم قواعد الإعراب والتي يتمثل معظمها في أصوات مد قصيرة

---

(١) ينظر : بين العربية ولهجاتها والعبرية، د. محمد بحر عبد المجيد : ١، ٢/ ١٩٧٧م.

(٢) التطور النحوي ٧٥/ القاهرة/ ١٩٢٩م.

(٣) إلى هنا نهاية كلام ولفنسون. ولفظه مختلف عن الأصل. ينظر: تاريخ اللغات السامية ١٦٢ ، دار القلم/ بيروت/ لبنان.

(٤) بين العربية ولهجاتها والعبرية،٢.

تلحق أواخر الكلمات لتدل على وظيفة الكلمة في العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة، وهذا النظام لا يوجد له نظير في أية أخت من أخواتها الساميات، اللهم إلا بعض آثار ضئيلة بدائية في العبرية والآرامية والحبشية »[١] ، ويقول يوهان فك : «لقد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها اللغات السامية، باستثناء البابلية القديمة قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي»[٢] .

فاللغات لم تخل من ظاهرة الإعراب، والعربية من أبرز اللغات التي احتفظت بها، وقد وجدناه في الشعر الجاهلي يقول د.جبل: «يثبت وجود الإعراب وأصالته في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام ثبوتًا قطعيًّا يقينيًّا لا تهزه أية شائبة شك، وبثبوت وجود الإعراب في الشعر الجاهلي يثبت وجوده في العربية قبل أقدم شعر جاهلي وصل إلينا بمئات السنين، لأن الظواهر اللغوية لا تولد كاملة ولا تنتشر فجأة، وإنما تستغرق قرونًا وقرونًا لكي تصل إلى مثل ما كانت عليه ظاهرة الإعراب»[٣] . كما يوجد الإعراب بالقرآن الكريم ، يقول د/ جبل: «لدينا شواهد كثيرة لتحقق وجود الإعراب في القرآن منذ نزوله وجودًا صوتيًّا، أي شواهد تثبت نطق الصحابة ألفاظ القرآن وعباراته معربة إعرابًا متطابقًا مع ما كشفته الدراسات النحوية فيما بعد، كما أن هناك شواهد تثبت وجود الإعراب في القرآن من أول الأمر وجودًا خطيًّا، وهذا وذاك يضافان إلى صدور توجيهات كثيرة في ذلك العصر الأول بإعراب القرآن، أي قراءته مستوفيًا الضبط الإعرابي وعدم التهاون في ذلك»[٤] .

---

(١) فقه اللغة، د.علي عبد الواحد وافي ٢١٠/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

(٢) العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ١٥/ ترجمة د.رمضان عبد التواب/ مكتبة الخانجي/ مصر ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٣) أصالة الإعراب ٨٤ .

(٤) السابق٣٢، وسنضرب أمثلة لظاهرة الإعراب من القرآن والقراءات فيما بعد.

وما سقناه يشهد أن أبا الأسود الدؤلي لم يخترع الحركات ولم يتعلمها من غيره، بل هو رصد الواقع اللغوي في القرآن الكريم والشعر العربي، يقول د. علي النجدي : « وما صنعه أبو الأسود من النحو مجرد ملاحظات يسيرة هدى إليها بالنظر في الأساليب واستقرائها على قدر الطاقة في المقامات المتنوعة، وتيسر له بفضلها أن يستنبط منها ضوابط لا تبلغ مبلغ القواعد التي تقرر الأحكام في اطراد وشمول» [١] .

ثانيًا: المؤلفات فيه :

جاءتنا الأخبار بالتأليف في النحو. والإعراب لا شك أنه جزء منه لأنه أبرز سماته وأدق خصائصه . وإليك جانبًا من تلك الأخبار:

١ – صحيفة وأوراق للإمام علي [ت٤٠هـ] :

يقول القفطي : «قال أبو الأسود الدؤلي – رحمه الله : دخلت على أمير المؤمنين علي عليه السلام فرأيته مطرقًا مفكرًا ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟فقال: سمعت ببلدكم لحنًا، فأردت أن أضع كتابًا في أصول العربية ، فقلت : إن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية ، ثم أتيته بعد أيام فألقى إلي صحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، الكلام كله اسم وفعل وحرف؛ فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ، ثم قال : تتبعه وزد فيه ما وقع لك . واعلم أن الأشياء ثلاثة : ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر . وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر . فجمعت أشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك : حروف النصب ، فذكرت منها : (إنّ وأنّ وليت ولعل وكأنّ) ، ولم أذكر (لكنّ) ، فقال : لم تركتها؟ فقلت : لم أحسبها منها ، فقال : بل هي منها فزدها فيها.

---

(١) تاريخ النحو ١١.

هذا هو الأشهر من أمر النحو ... ورأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءاً فيه أبواب من النحو يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي » (١).

٢ - أوراق أبي الأسود الدؤلي :

ذكر ابن النديم [ت٣٨٠هـ] تحت عنوان : (سبب يدل على أن أول من وضع في النحو كلاما أبو الأسود الدؤلي) كلاما قال فيه : «قال محمد بن إسحاق: كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين، ويعرف بابن أبي بعرة ، جمَّاعة للكتب، له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة، تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة ... » ، «ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته، هي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين، ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود -رحمة الله عليه- بخط يحيى بن يعمر، وتحت هذا الخط بخط عتيق: هذا خط علان النحوي، وتحته: هذا خط النضر بن شميل»(٢).

٣- الجامع والمُكْمِل:

هما كتابان لعيسى بن عمر [١٤٩ هـ] جاء ذكرهما فى بيتين أنشدهما الخليل بن أحمد ، قال: [الكامل]

بَطَلَ النَحوُ جَميعاً كلُّه ... غَيرَ ما أَحْدثَ عيسى بنُ عُمَر
ذاكَ إِكمالٌ وَهَذا جامِعٌ ... فَهُما لِلناسِ شَمسٌ وَقَمَر

يقول ابن النديم : « وقد فقد الناس هذين الكتابين مذ المدة الطويلة ، ولم تقع إلى أحد علمناه ، ولا خبَّر أحد أنه رآهما » (٣).

---

(١) إنباه الرواة ١/ ٤ ، ٥ .

(٢) الفهرست ١/ ٤١٠/ تح د. محمد عوني عبد الرءوف، د.إيمان السعيد جلال، الهيئة العامة لقصور الثقافة/ القاهرة/ سلسلة الذخائر/ ٢٠٠٦م.

(٣) الفهرست ١/ ٤٢، وينظر : الإبانة في اللغة العربية ١/ ٢٢، وأخبار النحويين البصريين ٤٩.

٤-كتاب العربية:

لأبي عمرو بن العلاء [ت١٥٤هـ] ، وقد أبان عن منهجه فيه حينما أجاب على من سأله: «أخبرني عما وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب ، وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر ، وأسمى ما خالفني لغات» [(١)].

٥- كتاب سيبويه [ت١٨٠ هـ]:

يصفه أحد الباحثين بقوله : «أعظم كتاب في النحو وأبقاه على الأيام ... ، لم يسم سيبويه كتابه ولا جعل له مقدمة ولا خاتمة. ولعله كان على نية العود إليه لبعض الأمر، لكن عائقًا حال دون ما كان ينويه، على أن القدماء سموه عنه ؛ إذ أطلقوا عليه اسم الكتاب غير موصوف بوصف ولا معين بإضافة ، فكان إذا ذكر لفظ الكتاب مجردًا فهو كتاب سيبويه كأنما هو وحده الكتاب على الحقيقة، وما سواه فكتاب على المجاز. وسيبويه لا يقرر في الكتاب قواعد، ولا يشترط للأحكام شروطًا ولا يلتزم تعريف المصطلحات ولا ترديدها بلفظ واحد ، وإنما الكتاب فيض غزير من الأساليب والمفردات. وبعض الأساليب مأثور ، وبعضه محدث، يعرضها سيبويه ليدرسها ويحللها، ثم يقضي قضاءه فيها صحة أو خطأ ، حسنًا وقبحًا وكثرة أو قلة ، وهكذا وهو في أثناء ذلك يعرض صنوفاً من سماعه، وكثيرًا من آراء شيوخه، ولا سيما الخليل فينقدها، أو يعلق عليها أو يجعل منها تمامًا للمسألة التي يدرسها أو تأييدًا لها. وكذلك يزجي كثيرًا من لغات العرب وفيها من الشواهد المتنوعة بعضها آيات من القرآن الكريم وعدتها٣٧٣ ولا يفوته أن يذكر قراءاتها عند الحاجة إليها، وبعضها الآخر من الشعر وعدتها: ٨٧١، ومن الرجز وعدتها: ١٩٠، ولا يفوته أن يصحح نسبة الشواهد التي يرى أنها منسوبة إلى غير

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٣٩.

أصحابها. تلك عدة شواهد سيبويه بحسب إحصائي لها أنها وبعض شواهده من الشعر والرجز غير منسوب إلى قائليه، لكن العلماء يثقون بشواهده كلها، ويتقبلونها عنه بقبول حسن. وله شواهد من الأحاديث النبوية ، لكنه لا يذكرها بما يدل على أنها أحاديث ... . ويغلب على عبارة الكتاب التلاحم والانسياب ... ولا يكتفي سيبويه بواقع النصوص في استنباط الأحكام ولكنه يلجأ أحيانًا إلى فرض الفروض ثم يشرع لها إكمالاً لصور عقلية تتمثل في ذهنه، أو تداركًا لما فات النصوص أن تلم به، كذلك لا يقتصر على مسائل النحو والصرف بل يزيد عليهما مباحث قيمة رآها موصولة الأسباب بهما، ونقلها العلماء من بعده إلى علوم أخرى. وتحدث سيبويه في باب الإدغام حديثًا بارعًا عن حروف الهجاء وعددها أصولاً وفروعًا، وعن مخارجها وأنواعها من مجهور ومهموس وشديد ورخو ... وبعد: فلا تعرف العربية كتابًا حفل به الناس ، وأفادوا منه على تعاقب الأجيال ككتاب سيبويه»[(١)].

٦- النحو بعد سيبويه:

فتق (الكتاب) أذهان العلماء ولفت الأنظار إليه، فقد قامت حوله دراسات ، وأقيمت من أجله بحوث ومقالات، يقول د. علي النجدي ناصف: «فقد ألفوا عنه كتبا وأداروا حوله دراسات لا تحصى كثرة ؛ ألفوا في شرحه، والتعليق عليه والتمهيد له، وترتيب مسائله، وحل مشكلاته وتوضيح غريبه، وشرح شواهده وتجريد أحكامه، واختصروه ، واختلفوا فيه ما بين متعصب عليه ومتعصب له، وانتصر لهؤلاء أنصار ومؤيدون ، ومنهم من انقطع له حتى حفظه أو أتقن فهمه وتخصص فيه»[(٢)].

٧- كتب النحو والإعراب في العصر الحديث:

لم يخل العصر الحديث من التأليف النحوي والإعرابي سواء أكانت كتباً أم

(١) تاريخ النحو ١٨ وما بعدها.

(٢) تاريخ النحو ٢٢، ٢٣ .

بحوثا ؛ مؤيدة أو معارضة ، مثبتة أو نافية، ميسرة أو ملغية . منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- كتاب (إحياء النحو) أ. إبراهيم مصطفى.

ب- كتاب (النحو والنحاة) بين الأزهر والجامعة أ. محمد أحمد عرفه.

ج- الفصل الثالث: من كتاب (من أسرار اللغة) د. إبراهيم أنيس، وهو (قصة الإعراب).

د- رابعا: قواعد التنظيم في اللغة العربية (الإعراب واختلاف الآراء في صدده) بحث في كتاب (فقه اللغة) د. علي عبد الواحد وافي.

هـ- ظاهرة الإعراب في كتاب (دراسات في فقه اللغة) د. صبحي الصالح.

و- قضية الإعراب في كتاب (فصول في فقه العربية) رمضان عبد التواب.

ز- قضية الإعراب في كتاب (علم اللغة بين القديم والحديث) د. عبد الغفار حامد هلال.

ح- المبحث الأول من قضية الإعراب في كتاب (مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية) د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي.

ط- كتاب (أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية) ، د. محمد حسن حسن جبل.

ي- قضية الإعراب في كتاب (مستويات التحليل اللغوي دراسة نظرية وتطبيقية في سورة الفاتحة) د. عبد المنعم عبد الله حسن.

ك- كتاب (لتحيا اللغة العربية: يسقط سيبويه) ، شريف الشوباشي.

وسنعرض في بحثنا هذا إن شاء الله لما جاء في هذه الكتب والبحوث وغيرها من آراء ؛ مؤيدة أو معارضة ، ونناقشها مناقشة علمية جادة.

ثالثًا: معناه

نتناول هنا معنى الإعراب من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي والعلاقة بينهما:

١- المعنى اللغوي:

جعل ابن فارس لتركيب (عرب) ثلاثة أصول فقال: «العين والراء والباء أصول ثلاثة، **أحدها**: الإبانة والإفصاح، **والثاني**: النشاط وطيب النفس، **والثالث**: فساد في جسم أو عضو. فالأول قولهم: أعرب الرجل عن نفسه، إذا بيَّن وأوضح، وقال رسول الله ﷺ: « **الثيب يعرب عنها لسانها والبكر تستأمر في نفسها** » ، وجاء في الحديث: «**يستحب حين يعرب الصبي أن يقول : لا إله إلا الله سبع مرات**» أي حين يبين عن نفسه ... والأصل الآخر: المرأة العروب: الضحاكة الطيبة النفس، وهن العُرُب، قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة: ٣٦، ٣٧]، والأصل الثالث قولهم : عَرِبت معدته: إذا فسدت ، تَعْرَب عَرَبًا، ويقال من ذلك: امرأة عَروب: أي فاسدة» [١].

ولسنا مع ابن فارس في تعدد الأصول للجذر الواحد، لأنه يمكن أن نجعل الأصل الأول: وهو الإبانة والإفصاح هو المعنى المحوري للتركيب، وأن يعود الأصلان الآخران إليه، فالمرأة العروب بضحكها وطيب نفسها أبانت وأفصحت عما بداخلها من سرور وفرح، أو عن فسادها، والمعدة إذا عربت أعلنت عن فسادها وتغير طبيعتها، وهذا الذي ذهبنا إليه ذهب إليه الزجاجي [ت٣٣٧هـ] فقال: «والإعراب أصله البيان»[٢]. وقال الأزهري [ت٣٧٠هـ] «الإعراب والتعريب معناهما واحد وهو الإبانة»[٣]. والعوتبي [ت. في النصف الأول من القرن الخامس

---

(١) مقاييس اللغة ٤/ ٢٩٩ [عرب].

(٢) الإيضاح في علل النحو ٩١ .

(٣) تهذيب اللغة ٢/ ٣٦٢ (عرب) / تح أ. محمد على النجار/ الدار المصرية للتأليف والترجمة.

الهجري] ، فقال: «الإعراب هو البيان»[١] .

ومع قناعتنا بهذا المعنى المحوري، إلا أننا أشد اقتناعا بالمعنى المحوري الذي ذكره د.الموافي بقوله: « مادة (عرب) تدل في أصلها على التحرك والانتقال من مكان لآخر، وبذلك – في نظرنا – سمي العرب عربا، وبذلك – أيضا – ، سميت الإبانة عما في النفس إعرابا»[٢].

٢- المعنى الاصطلاحي:

أول ظهور لمصطلح الإعراب كان على لسان رسول الله ﷺ فقد روي عنه أبو هريرة [ت٥٧هـ] «**أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه**» [٣] ، وعن ابن مسعود [ت٣٢هـ] «أعربوا القرآن فإنه عربي» [٤]. كما روي عنه : «أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن» [٥]، وفي رواية أخرى: «أعربوا في كلامكم تعربوا في كتاب الله» [٦].

ثم ظهر على لسان عمر رضي الله عنه في قوله : (تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه) [٧]. وعرفه العلماء فقيل: « الإعراب: هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدًا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شَرْجًا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه» [٨]. وقيل: «الإعراب هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه

---

(١) الإبانة ١/ ١٢.

(٢) الحركات العربية ٤٣،٤٢ .

(٣) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية لأبي حاتم بن حمدان الرازي ١/ ١١// عارضه: حسين بن فيض الله الهمداني/ ط٢/ القاهرة ١٩٥٧م.

(٤) السابق والإبانة ١/ ١١ دون نسبة إلى ابن مسعود.

(٥) من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ٢٠٢/ ط٧، الأنجلو المصرية/ ١٩٨٥م.

(٦) الإعراب سمة العربية الفصحى، د. محمد إبراهيم البنا، ٢٦/ مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، عدد ١٩/ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٧) الزينة ١/ ١١٧ وإعراب القرآن للنحاس ١/ ١٦٦/ تح د.زهير غازي زاهد/ ط٣/ مكتبة النهضة/ ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

(٨) الخصائص لابن جنى / ٣٥ تح. محمد على النجار ط٢/ دار الكتب المصرية/ ١٩١٣م ، واللسان ٤/ ٢٨٦٥ [عرب] دار المعارف.

يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيِّز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجب من استفهام ، ولا صدر من مصدر ، ولا نعت من تأكيد» [1].

٣- العلاقة بين المعنيين:

بالنظر في المعنيين السابقين نجد العلاقة واضحة بينهما فالإعراب: انتقال أغراض المتكلم إلى الظهور والوضوح من بعد خفاء وإبهام ، ولذلك وجدنا الدكتور الموافي قد لاحظ هذه العلاقة عن طريق تعليل التسمية فقال: «سميت الإبانة عما في النفس إعرابًا، وسمي تغيير المواقع النحوية إعرابًا، لأن في ذلك نقلاً لما في نفس المتكلم من علاقات نحوية بين كلمات الجملة إلى ذهن السامع » [2].

رابعًا: علاماته

إذا تحدثنا عن علامات الإعراب لا يمكن إغفال دور سيبويه أول من أرسى قواعد النحو والإعراب تنظيمًا وتقنينًا، فقد وضع تحت باب: (مجاري أواخر الكلم من العربية) علامات الإعراب والبناء، ويهمنا هنا حديثه عن علامات الإعراب، فقال: «وهي تجرى على ثمانية مجار: على النصب والجر والرفع والجزم والفتح والضم والكسر والوقف، وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم ، والجزم والوقف . وإنما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله (ضرب) من هذه الأربعة كما يحدث فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه ، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء ولا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك ، وفيه من العوامل التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف

---

(١) الصاحبي لابن فارس ٧٦/ تح. السيد محمد صقر/ مطبعة عيسى البابي الحلبي/ القاهرة.

(٢) الحركات العربية ٤٣.

الإعراب فالرفع والجر والنصب والجزم لحروف الإعراب . وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة، وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع، الهمزة والتاء والياء والنون، وذلك قولك: أفعل أنا ، وتفعل أنت أو هي ، ويفعل هو ، ونفعل نحن . والنصب في الأسماء: رأيت زيداً، والجر: مررت بزيد، والرفع: هذا زيد، وليس في الأسماء جزم لتمكنها وللحاق التنوين، فإذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة . والنصب في المضارع من الأفعال: لن يفعل، والرفع: سيفعل ، والجزم: لم يفعل، وليس في الأفعال المضارعة جر، كما أنه ليس في الأسماء جزم، لأن المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين، وليس ذلك في هذه الأفعال . وإنما ضارعت أسماء الفاعلين أنك تقول: إن عبد الله ليفعل فيوافق قولك لفاعل، حتى كأنك قلت: إن زيدًا الفاعل فيما تريد من المعنى ، وتلحقه هذه اللام كما لحقت الاسم، ولا تلحق (فَعَل) اللام، ونقول: سيفعل ذلك، وسوف يفعل ذلك فتلحقها هذين الحرفين لمعنى، كما تلحق الألف واللام الأسماء للمعرفة ... واعلم أنك إذا ثنيت الواحد لحقته زيادتان: الأولى منهما: حرف المد واللين وهو حرف الإعراب غير متحرك ولا منون ، يكون في الرفع: ألفا، ولم يكن واواً ليفصل بين التثنية والجمع الذي على حد التثنية ، ويكون في الجر: ياء مفتوحًا ما قبلها، ولم يكسر ليفصل بين التثنية والجمع الذي على حد التثنية ، ويكون في النصب كذلك، ولم يجعلوا النصب ألفًا ليكون مثله في الجمع، وكان مع ذا أن يكون تابعا لما الجر منه أولى، لأن الجر للاسم لا يجاوزه، والرفع قد ينتقل إلى الفعل فكان هذا أغلب وأقوى . وتكون الزيادة الثانية نونًا كأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين وهي النون وحركتها الكسر، وذلك قولك: هما الرجلان، ورأيت الرجلَين ومررت بالرجلَين . وإذا جمعت على حد التثنية لحقها زائدتان: الأولى منهما: حرف المد واللين، والثانية: نون ، وحال الأولى في السكون وترك

التنوين أنها حرف الإعراب، حال الأولى في التثنية إلا أنها واو مضموم ما قبلها في الرفع وفي الجر والنصب ياء مكسور ما قبلها ونونها مفتوحة، فرقوا بينها وبين نون الاثنين، كما أن حرف اللين الذي هو حرف الإعراب مختلف فيهما، وذلك قولك: المسلمون ورأيت المسلِمين ومررت بالمسلِمين، ومن ثم جعلوا تاء الجمع في الجر والنصب مكسورة لأنهم جعلوا التاء التي هي حرف الإعراب كالواو والياء، والتنوين بمنزلة النون لأنها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير فأجروها مجراها. واعلم أن التثنية إذا لحقت الأفعال علامة للفاعلين لحقتها ألف ونون ولم تكن الألف حرف الإعراب لأنك لم ترد أن تثني يفعل هذا البناء، فتضم إليه يفعل آخر، ولكنك إنما ألحقته هذا علامة للفاعلين ولم تكن منونة، ولا يلزمها الحركة لأنه يدركها الجزم والسكون، فتكون الأولى حرف الإعراب، والثانية كالتنوين، فكلما كانت حالها في الواحد غير حال الاسم، وفي التثنية لم تكن بمنزلته، فجعلوا إعرابه في الرفع ثبات النون لتكون له في التثنية علامة للرفع، كما كان في الواحد إذا منع حرف الإعراب، وجعلوا النون مكسورة كحالها في الاسم ولم يجعلوها حرف الإعراب إذا كانت متحركة لا تثبت في الجزم ، ولم يكونوا ليحذفوا الألف لأنها علامة الإضمار، والتثنية في قول من قال: أكلوني البراغيث، وبمنزلة التاء في قلت وقالت ، فأثبتوها في الرفع وحذفوها في الجزم، كما حذفوا الحركة في الواحد ووافق النصب الجزم في الحذف، كما وافق النصب الجزم في الأسماء لأن الجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء، والأسماء ليس لها في الجزم نصيب، كما أنه ليس للفعل في الجر نصيب، وذلك قولك: هما يفعلان، ولم يفعلا، ولن يفعلا، وكذلك إذا لحقت الأفعال علامة للجمع لحقتها زائدتان: إلا أن الأولى واو مضموم ما قبلها لئلا يكون الجمع كالتثنية، ونونها مفتوحة بمنزلتها في الأسماء، كما فعلت ذلك في التثنية لأنهما وقعتا في التثنية والجمع كالتثنية، ونونها مفتوحة بمنزلتها في الأسماء، كما فعلت

ذلك في التثنية لأنهما وقعتا في التثنية والجمع هنا كما أنهما في الأسماء كذلك، وهو قولك: هم يفعلون ولم يفعلوا ولن يفعلوا، وكذلك إذا ألحقت التأنيث في المخاطبة، إلا أن الأولى ياء وتفتح النون لأن الزيادة التي قبلها بمنزلة الزيادة التي في الجمع وهي تكون في الأسماء في الجر والنصب، وذلك قولك: أنت تفعلين ولم تفعلي ولن تفعلي...وإذا أردت جمع المؤنث في الفعل المضارع ألحقت للعلامة نونًا، وكانت علامة الإضمار والجمع فيمن قال: أكلوني البراغيث وأسكنت ما أسكنت ما كان في الواحد حرف الإعراب، كما فعلت ذلك في (فَعَل) حين قلت: فعلت وفعلن فأسكن هذا ههنا وبنى على هذه العلامة كما أسكن (فَعَل) لأنه فِعْل ، وهو متحرك كما أنه متحرك . فليس هذا بأبعد فيها، إذا كانت هي و(فَعَل) شيئًا واحدًا ، مِن (يَفْعَل) إذ جاز لهم فيها الإعراب حين ضارعت الأسماء، وليست باسم ، وذلك قولك: هن يفعلن ولن يفعلن ولم يفعلن، وتفتحها لأنها نون جمع ولا تحذف لأنها علامة إضمار وجمع في قول من قال: أكلوني البراغيث ، فالنون هنا في يفعلن بمنزلتها في فعلن، وفُعل بلام (يَفْعل) ما فُعل بلام (فَعَل) لما ذكرت لك ، ولأنها قد تبنى مع ذلك على الفتحة فى قولك : هل تفعلن. وألزموا لام(فَعَل) السكون وبنوها على العلامة وحذفوا الحركة لما زادوا لأنها في الواحد ليست في آخرها حرف إعراب لما ذكرت لك » [(١)].

ملاحظات : في نص سيبويه عدة ملاحظات لابد من تسجيلها ، والتنويه بها والإشارة إليها نوجزها فيما يلي:

١) **ألقاب الإعراب أربعة**: الرفع والجر والنصب والجزم ، ولكل لقب من هذه الألقاب علاماته الخاصة به [(٢)].

---

(١) الكتاب لسيبويه ١/ ١٣: ٢٠/ تح. عبد السلام محمد هارون/ ط٣ / الخانجي/ القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
(٢) ينظر : شرح المقرب ٥٤.

٢) الإعراب تغير والبناء ثبوت: هذا الفرق وجدناه واضحًا في كلام سيبويه، لكن أحد الباحثين يجعلها تحت معنى هو الإبانة، حيث يقول: «وانتقل بنا النحاة إلى أحاديث تتصل بأنواع الإعراب والبناء، وأسباب البناء ، وأيهما الأصل في الأسماء والأفعال، الإعراب أو البناء؟ وأصبح مصطلح البناء مقابلاً لمصطلح الإعراب ، ولا علاقة لغويا تسيغ هذه المقابلة ... . فما عده النحاة حركة بناء لا يفترق في الحقيقة عن حركة الإعراب، من حيث الوظيفة التي حددناها للإعراب، وهي الإبانة والوضوح ، وكذلك نطق الصوت مجردًا من الحركة وهو ما عدوه سكونًا أو جزمًا أو وقفًا يتحقق به الغرض أيضًا ، فكل العلامات التي وصفوها لمختلف الكلم هي بيان لها وإن كان منها ما هو متغير، وما هو ملازم لوضع واحد لا يفارقه ... . وإذا وجدنا مصطلح البناء مقابلاً لمصطلح الإعراب في كتب النحو فذلك راجع إلى تخصيص في الدلالة، حين وجد النحاة أبنية في العربية ملازمة طريقة واحدة وأبنية أخرى يتغير آخرها بحسب موقعها من التركيب ، فميزوا هذا الصنف الثاني بمصطلح الإعراب، فإذا عدنا إلى الدلالة المعجمية للإعراب والبناء وجدناهما غير متقابلين» [(١)].

٣) علامات الإعراب مستنبطة من كلام العرب واستعمالاتها: فنراه يعزو إليهم كثيرًا، من مثل قوله: «لم يجمعوا ... قولهم .... لم يسكنوا ... فلم يسكنوها كما لم يسكنوا من الأسماء ... حركوه لأنهم قد يقولون ... فيجرونه ... جعلوا »، ومثل هذا كثير مما يدل على أن النحو والإعراب مبنيان على مذاهب العرب، هذا صنيع سيبويه وصنيع غيره من العلماء يقول المبرد [ت٢٨٦هـ] : «وإنما صح قول الفراء [ت٢٠٧هـ] ؛ لأنه عمل العربية والنحو على كلام العرب»[(٢)].

---

(١) الإعراب سمة العربية الفصحى، ٢٢-٢٤-٢٥.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ، ١٣١.

٤) ظواهر صوتية: في نص سيبويه ظواهر صوتية يمكن استنباطها وإيجازها فيما يلي:

أ- **العلاقة بين الصوامت والصوائت:** كلام سيبويه يشتمل على جذور لغوية تشكلت بصيغ صرفية قد كونت جملاً تعبيرية لها معانٍ ودلالات بفضل العلامات الإعرابية والجذور والإعراب هما جناحا المعنى ، يقول د/ جبل: «الكلام الذي نستعمله للتعبير عما في نفوسنا له شطران أساسيان لا يتم أداؤه بوظيفته على ما ينبغي إلا بهما، **الشطر الأول:** هو المفردات اللغوية التي تتكون منها العبارات والجمل ... ، **والشطر الثاني:** هو العلاقات التي تربط بين تلك المفردات أي بين معانيها عندما تركب في جمل وهذه العلاقات حصيلتها هي ما يسمى بالمعنى التركيبي ...والوسيلة الأساسية للدلالة على ذلك المعنى التركيبي هي: الضبط الإعرابي »[1].

ب- **المخالفة الصوتية:** ويمكن تلمسه من نص سيبويه في أمرين:

الأول: جمع المؤنث السالم في حالة نصبه بالكسرة بسبب: «إن بقاء الفتحة بعد الألف في جمع المؤنث يكون مجموعة من الحركات المتماثلة ولذا تقلب الفتحة كسرة تجنبًا للنطق بهذه المجموعة الحركية المتماثلة وفقًا لقانون المخالفة الصوتية »[2].

الثاني: المثنى وجمع المذكر السالم في حالتي النصب والجر بالياء المفتوح ما قبلها والمكسور ما بعدها في المثنى، والمكسور ما قبلها والمفتوح ما بعدها في الجمع، «والسبب في ذلك يتعلق بالياء (علامة الإعراب)، فلما كانت ساكنة في المثنى حالت دون تجمع حركي متماثل ... ولذا كسرت ، ولكن لما كانت ممدودة بعد كسر في جمع

---

(١) أصالة الإعراب ، ١٢٣-١٢٤.

(٢) مستويات التحليل اللغوي ودراسة نظرية وتطبيقية في سورة الفاتحة د.عبد المنعم عبد الله حسن : ١٦٦/ ط١/ مطبعة السعادة / ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

المذكر السالم تكونت مجموعة من الحركات ذات طابع متحد ففتحت النون تجنبًا للنطق بهذه المجموعة المتماثلة وفقا لقانون المخالفة »[١].

ج- **الدراسة المقطعية**: المقاطع لها أهميتها للتفريق بين المعاني فبها فُرِّق بين مسلمين مثنى وجمعا «وفي ضوء الدراسة المقطعية نستطيع أن نتبين الفرق بينهما هكذا: إذا قلت: مررت بمسلمين (مثنى) وبمسلمين (جمع) فإن كلمة (مُسلمَين) في المثال الأول تتكون مقطعيًّا من:

مُسْـ [ص + ح+ ص] لـ [ص+ح] ميْـ [ص+ ح + ص] نِ [ص+ح]

أي من : متوسط مغلق + قصير مفتوح + متوسط مغلق+ قصير مفتوح .

وكلمة (مُسْلِمِين) في المثال الآخر تتكون مقطعيًّا من:

مُسْـ [ص+ ح +ص] لِ [ص+ح] مِيـ [ص+ح ح] نَ [ص+ح]

أي من: متوسط مغلق + قصير مفتوح + متوسط مفتوح + قصير مفتوح

وهذا بالطبع في الوصل لا الوقف حتى تتضح حركة النون التي هي موضع حديثنا، فالاختلاف في المقطع قبل الأخير، فهو في المثنى: متوسط مغلق وفي الجمع المذكر السالم : متوسط مفتوح »[٢].

د- **النبر والتنغيم**: يقول د/ عبد المنعم : « أما في ضوء دراسة النبر فكلا المقطعين موضع للنبر، لأنه في الأول من النوع الثالث وفي الثاني من النوع الثاني »[٣].

تعقيب:

اللغة مستويات متعاونة في خدمة المعنى والدلالة: «وهكذا يمتد عطاء المستوى

---

(١) مستويات التحليل اللغوي١٦٧.

(٢) السابق ١٦٧- ١٦٨.

(٣) مستويات التحليل اللغوي ١٦٨.

الصوتي إلى المستوى النحوي مما يدلك على أن هذه المستويات التحليلية متشابكة متداخلة يخدم بعضها بعضًا في تآزر وتعاون حتى تعطي في النهاية صورة صادقة للغة »[(١)].

خامسًا: علله

عند الحديث عن علل النحو (= الإعراب) لا بد من تسجيل أول إشارة إلى تلك العلل التي جاءت عن الخليل ، فيحكى الزجاجى [ت٣٣٧هـ] عن بعض شيوخه « أن الخليل بن أحمد -رحمه الله- سُئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها . وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه. فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست . وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارًا محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هكذا لعلة كذا وكذا ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك ، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة ذلك . فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها »[(٢)].

في نص الخليل نقاط مهمة:

الأولى: الإعراب أصيل في كلام العرب ، تكلمت به على سجيتها وطبيعتها.

---

(١) السابق .

(٢) الإيضاح في علل النحو ٦٥-٦٦، والاقتراح في أصول النحو وجدله للسيوطي١١٢ ، ١١٣ المكتبة التوفيقية.

الثانية: العلل مستنبطة متلمسة من الواقع اللغوي وليست مخترعة، فللخليل أن يستنبط ما شاء ولغيره أن يستنبط ما شاء، لأنه مجال واسع، ومن ثم وجدنا الحسين ابن هبة الله الدينورى المعروف بالجليس[(١)] يقسم علل النحويين إلى صنفين: «علة تطرد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم ، وعلة تظهر حكمتهم وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم، وهم للأولى أكثر استعمالاً وأشد تداولاً، وهي واسعة الشعب إلا أن مدار المشهور منها على أربعة وعشرين نوعًا، وهي : علة سماع ، وعلة تشبيه، وعلة استغناء ، وعلة استثقال ، وعلة فرق ، وعلة توكيد ، وعلة تعويض ، وعلة نظير، وعلة نقيض ، وعلة حمل على المعنى ، وعلة مشاكله ، وعلة معادلة ، وعلة قرب ومجاورة ، وعلة وجوب ، وعلة جواز ، وعلة تغليب ، وعلة اختصار ، وعلة تخفيف ، وعلة دلالة حال ، وعلة أصل ، وعلة تحليل ، وعلة إشعار ، وعلة تضاد ، وعلة أولى »[(٢)]. ثم بعد شرح وضرب الأمثلة لكل نوع ، قال السيوطي [ت٩١١هـ]: « وأما الصنف الثاني فلم يتعرض له الجليس ولا بيَّنه، وقد بيَّنه ابن السراج [ت ٣١٦هـ] في الأصول فقال: اعتلالات النحويين ضربان: ضرب منها هو المؤدي إلى كلام العرب كقولنا: كل فاعل مرفوع وكل مفعول منصوب، وضرب يسمى علة العلة مثل أن يقولوا: لِمَ صار الفاعل مرفوعًا والمفعول منصوبًا؟ »[(٣)]. ووجدنا الزجاجي يجعل العلل على ثلاثة أضرب تعليمية وقياسية وجدلية «التعليمية هي التي يتوصل بها إلى كلام العرب، لأنا لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلامها منها لفظًا ، وإنما سمعنا بعضًا فقسنا عليه نظيره، مثال ذلك: أنا لما سمعنا: قام زيد فهو قائم، وركب فهو راكب، عرفنا اسم الفاعل،

---

(١) ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ١/ ٥٤١ تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم / ط٢/ دار الفكر / ١٣٩٩ – ١٩٩٩ . ولم يذكر وفاته.

(٢) الاقتراح ٩٨.

(٣) السابق ١٠١، ١٠٢.

فقلنا: ذهب فهو ذاهب...فأما العلة القياسية فأن يقال لمن قال: نصبت زيدًا بإن في قوله: إن زيداً قائم، ولم وجب أن تنصب (إن) الاسم؟ فالجواب في ذلك أن يقول: لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول، فحملت عليه فأعملت أعماله لما ضارعته، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظا، والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظًا، فهي تشبه من الأفعال ما قدم مفعول على فاعله، نحو: ضرب أخاك محمدٌ، وما أشبه ذلك، وأما العلة الجدلية النظرية: كل ما يعتل به في باب (إن) بعد هذا ... ، وعلى هذه الأوجه الثلاثة مدار علل النحو »[1].

الثالثة: فتح باب وجهات النظر المختلفة في التعليل، فهذا واضح من قوله : « فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها »، ولا شك أن هذه الوجهات منها القوي ومنها ما هو دون ذلك، ورصد ذلك ابن جنى فقال: «اعلم أن علل النحويين – أعنى بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين – أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين ، وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس»[2]. ثم ساق دليلا على إعمال الفكر في قضية العلل عن أحد العلماء فقال: « قال أبو إسحاق [الزجاج ت٣١٠هـ] في رفع الفاعل ونصب المفعول : إنما فعل ذلك للفرق بينهما، ثم سأل نفسه فقال: **فإن قيل**: فهلا عكست الحال فكانت فرقًا أيضًا؟ قيل: الذي فعلوه أحزم، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة، فرفع الفاعل لقلته، ونصب المفعول لكثرته وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون »[3].

(١) الإيضاح ٦٤ ، ٦٥، ٦٦ والاقتراح ١١١، ١١٢.
(٢) الخصائص ١/ ٤٨.
(٣) السابق ١/ ٤٩.

سادسًا: هدفه

سبق أن ذكرنا أن للحركات وظائف وأهدافًا، منها الربط بين الصوامت وبين الكلمات والأخير هو دور الإعراب[(١)]. ونزيد الأمر هنا وضوحًا بكثرة الفوائد والأهداف للحركات الإعرابية منها:

١- **إزالة الإبهام والإغلاق**، يقول ابن جنى: «ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدًا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجًا واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبه»[(٢)].

٢- **الوقوف على أغراض المتكلمين**، يقول ابن فارس تحت باب: (الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل والفهم من السامع): « فأما الإعراب فبه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلاً لو قال: ما أحسن زيد، غير معرب، أو: ضرب عمرو زيد، لم يوقف على مراده، فإذا قال: ما أحسنَ زيداً، وما أحسنُ زيد، أو: ما أحسَن زيدٌ، أبان الإعراب عن المعنى الذي أراده، وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني»[(٣)].

وتظهر هذه الفائدة جلية في التقديم والتأخير، حيث فرق عبد القاهر الجرجاني [ت٤٧١هـ] بين مثالين هما: قتل الخارجيَّ زيد، وقتل زيد رجلاً، فقدم المفعول في المثال الأول: « لأنه أي المخبر يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى، ولا في تسميته لهم فائدة، فيعنيهم ذكره ويهمهم أمره ويتصل بمسرتهم معرفته، ويعلم هذا المخبر من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه هو معرفة: متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد وأن يبلغهم أنهم قد كفوا بقتله شره

---

(١) ينظر ص ٢١ .
(٢) الخصائص ١/ ٣٥
(٣) الصاحبي ٣٠٩.

وتخلصوا منه. وقدم الفاعل في المثال الثاني مع وجود الترتيب الطبيعي في الجملة: لأنه ليس في أذهان الناس أن يقع القتل من هذا الشخص وأمثاله فاستحق من أجل فعلته هذه الاهتمام به والعناية به ، ومجال هذا تقديم ذكره في العبارة وإن وافق التقديم أصل ترتيب الكلام كما أشرنا فهذا جيد بالغ » (١).

٣- سعة التصرف في الكلام: يعمل الإعراب على سعة الكلام والتصرف فيه، ويعطي أنماطًا متعددة من الأساليب دون الوقوف على نمط واحد، ومن مظاهره: التقديم والتأخير، يقول ابن جنى: «فإن كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير، نحو: أكل يحيى كمثرى، لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت، وكذلك: ضربت هذا هذه، وكلم هذه هذا » (٢).

وسعة التصرف بالتقديم والتأخير لا تخص نوعًا من الكلام بل هي شاملة جميع الأساليب، يقول عبد القاهر: «واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيدًا فائدة معنوية في بعض الكلام وغير مفيد هذه الفائدة في بعض آخر، وأن يعلل تارة بالعناية وهي فائدة معنوية مقبولة، ويعلل تارة أخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب وإجازة لهما، ورخصته حتى يتسع لهما مجال الحركة في ترتيب الكلمات رعاية للإيقاع أو القافية أو الفاصلة أو السجع وحتى تطرد لهذا الشاعر قوافيه ولذاك الكاتب سجعه، ذاك لأن من البعيد المستبعد في الذهن أن يكون في جملة النظم ما يدل على الفائدة تارة ولا يدل عليها تارة أخرى» (٣).
وكذلك من مظاهره: التابع والمتبوع، يقول ابن جنى: «وكذلك إن ألحقت الكلام ضربًا من الإتباع جاز لك التصرف لما تعقب من البيان، نحو ضرب يحيى نفسه

(١) مبحث التقديم في كتاب دلائل الإعجاز، د. محمد السعدي فرهود ٨/ ط١/ دار الطباعة المحمدية/ القاهرة/ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
(٢) الخصائص١/ ٣٥ .
(٣) مبحث في التقديم ١١ .

بشرى، أو كلم بشرى العاقل مُعَلَّى، أو كلم هذا وزيدًا يحيى، ومن أجاز: قام وزيد عمرو، لم يجز ذلك في نحو: كلم هذا وزيد يحيى، وهو يريد كلم هذا يحيى وزيد، كما يجيز : ضرب زيدًا وعمرو جعفر »[1].

٤- **فهم النموذج الأعلى من الكلام القرآني والنبوي والعربي**، يقول الزجاجي : « الفائدة فيه الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابًا غير مبدل، ولا مغير، وتقويم كتاب الله ﷻ، الذي هو أصل الدين والدنيا المعتمد، ومعرفة أخبار النبي ﷺ وإقامة معانيها على الحقيقة، لأنه لا تفهم معانيهم على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب»[2].

٥- **إلحاق غير العربي بالعرب في الفصاحة نطقًا وفهمًا**، يقول ابن جنى في معرض تعريف النحو: « هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم ، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها »[3]. ويصدق ابن جنى في هذه الفائدة لما رأيناه من المستشرقين الذين تعلموا العربية وقدموا أعمالاً جليلة.

٦- **تتمة المعنى وتوفيته**: الإعراب (= المعنى التركيبي) أحد شطري المعنى ، والشطر الآخر هو المعنى اللغوي المستمد من أصوات المادة، وهذا مستفاد من كلام الدكتور/ جبل: «ومن هذا المعنى التركيبي يعود نثار المفردات لغوًا قد يهبط عن لغة الإشارة، بل لعله دون التركيب ، وتفقد المفردات أهم قيمة لوجودها »[4].

٧- **معرفة الأحكام الفقهية**: كثيرًا ما تستنبط الأحكام الفقهية من تغيير الحركات

---

(١) الخصائص ١/ ٣٥ .

(٢) الإيضاح ٩٥.

(٣) الخصائص١/ ٣٤

(٤) أصالة الإعراب ١٢٥ وينظر ص ٣٧ من نفس المبحث.

الإعرابية ، ونستأنس لذلك بمثالين:

الأول: دار نقاش طويل بين العلماء في فرضية وسنية العمرة، فقال فريق بوجوبها ، وذهب آخر إلى سنيتها، وكل له وجهته ودليله، وجاءت القراءة القرآنية بوجهين من الضبط لتقر كل فريق على ما هو عليه ، قال تعالى : ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ، فقد ضبطت (العمرة) في إحدى القراءتين بالنصب وفي القراءة الأخرى بالرفع، ورصد ذلك القرطبي [ت٦٧١هـ] فقال: « قرأ الشعبي [ت١٠٣هـ] ، وأبو حيوة [ت٢٠٣هـ] برفع التاء في (العمرة) وهي تدل على عدم الوجوب، وقرأ الجماعة (العمرة) بنصب التاء، وهي تدل على الوجوب » [(١)].

الثاني : اختلف العلماء في قريش يوم فتح مكة هل يرتد منهم أحد؟ أو لا؟ ومن يرتد فما حكمه؟ حكمان مستنبطان من حركتي إعراب ؛ ففي الحديث الذي رواه الإمام مسلم [ت٢٦١هـ] بسنده عن عبد الله بن مطيع عن أبيه قال : سمعت النبي ﷺ يقول يوم فتح مكة : «**لا يُقتلُ قرشي صبراً بعد اليوم إلى يوم القيامة**»[(٢)].

يذكر ابن قتيبة [ت٢٧٦] إعرابين في (لا يقتل) ويوجههما قائلاً: «فمن رواه جزمًا أوجب ظاهر الكلام للقرشي ألا يُقتل إن ارتد، ولا يُقتص منه إن قتل، ومن رواه رفعًا: انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش: أنه لا يرتد منها أحد عن الإسلام فيستحق القتل، أفما ترى الإعراب كيف فرق بين هذين المعنيين» [(٣)]. ويقول د. البركاوي: « يشير ابن قتيبة هنا إلى أثر المعنى النحوي الذي دلت عليه العلامة الإعرابية وهو هنا من معاني الجمل، الخبر في حالة الرفع والنهي وفي حالة الجزم في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/ ٨٥١/ ط ١ / دار الغد العربى / ١٩٩٠م – ١٤١٠ هـ.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٣٤ باب فتح مكة / ط١/ دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان/ ١٣٤٩هـ- ١٩٣٠م، وسنن الدارمي ٢/ ٢٦٠ حديث رقم ٢٣٨٦، ٢٣٨٧ / تح. فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العليمي / ط١/ دار الريان/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٥/ شرح: السيد أحمد صقر/ ط٢/ دار التراث/ ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

الأحكام الفقهية، وهذا باب واسع تناولته كتب أصول الفقه »[١]. ويقول في موطن آخر: «إن المعاني المشار إليها في الحديث من قبيل معاني الجمل لأن النهي من قبيل الإنشاء والنفي من قبيل الخبر »[٢].

٨- **معرفة الوقف والابتداء**: يؤدي اختلاف الحركة الإعرابية إلى ما يجوز اتصاله، بما قبله، وما يجوز الوقف عليه، وإليك بعض الشواهد على ذلك:

أ- ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [البقرة:٢٢١].

يقول أبو حيان [ت ٧٥٤هـ]: «وقرأ الجمهور (والمغفرة) بالخفض عطفًا على (الجنة) والمعنى: أنه تعالى يدعو إلى المغفرة أى: إلى سبب المغفرة، وهى: التوبة والتزام الطاعات، وتقدم ـ هنا ـ (الجنة) على (المغفرة) وتأخر عنها فى قوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران:١٣٣] وفى قوله: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [الحديد:٢١] والأصل فيه تقدم (المغفرة) على (الجنة) لأن دخول (الجنة) متسبب عن حصول (المغفرة)، ففى تلك الآيتين جاء على هذا الأصل، وأما هنا فتقدم ذكر (الجنة) على (المغفرة) لتحسن المقابلة، فإن قبله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ فجاء: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ وليبدأ بما تتشوق إليه النفس حين ذكر دعاء الله فأتى بالإشراف للإشراف ثم أتبع بالمغفرة على سبيل التتمة فى الإحسان وتهيئة سبب دخول الجنة. وقرأ الحسن (والمغفرة) بالرفع على الابتداء، والخبر قوله: (بإذنه) أى والمغفرة حاصلة بتيسيره وتسويفه ... . وعلى قراءة الجمهور يكون (بإذنه) متعلقًا بقوله (يدعو) »[٣].

---

(١) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ٢٠٠.

(٢) محاضرات في مصادر علوم العربية د. عبد الفتاح البركاوي، ١٤/ ط١/ القاهرة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ١٦٦/ ط٢/ دار الفكر ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.

ب- ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: ٤].

يقول القرطبى [ت ٦٧١هـ] : «وقراءة العامة (حمالة) بالرفع على أن يكون خبراً (وامرأته) مبتدأ ، ويكون (فى جيدها حبل من مسد) جملة فى موضع الحال من المضمر فى (حمالة) ، أو خبراً ثانياً ، أو يكون (حمالة الحطب) نعتاً لامرأته ، والخبر (فى جيدها حبل من مسد) فيوقف على هذا على (ذات لهب) ويوقف على (وامرأته) ، وتكون (حمالة الحطب) خبر ابتداء محذوف ، وقرأ عاصم [ت١٢٨هـ] (حمالة الحطب) ، بالنصب على الذم ، كأنها اشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص ، كقوله تعالى : ﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ »[1].

[الأحزاب : ٦١]

سابعًا: فضله

من خلال الوظائف والغايات والفوائد والأهداف التي شرع الإعراب من أجلها يتبين لنا أهميته وفضله ومكانته في اللغة العربية، فهو خصيصة من أوضح خصائصها، وسمة من أبرز سماتها، وهذا ما قرره العلماء: فابن قتيبة يقول: «ولها الإعراب الذي جعله الله وشيًا لكلامها ، وحلية لنظامها، وفارقًا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين، كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب »[2].
وابن فارس يقول: « من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب الإعراب »[3].
والدكتور على وافي يقول: «تمتاز اللغة العربية في شيءون التنظيم syntaxe بتلك القواعد الدقيقة التي اشتهرت باسم قواعد الإعراب »[4]، والدكتور عبد المنعم

(١) الجامع ١٠/ ٧٥٨٥.
(٢) تأويل مشكل القرآن ١٤.
(٣) الصاحبي ٧٦.
(٤) فقه اللغة ٢١٠.

يقول بعد أن ساق عدة أدلة على وجود الإعراب في العربية: «بهذه الأدلة وغيرها يتجلى للدارس أهمية الإعراب فى العربية وأنه حقيقة ثابتة ... الإعراب مظهر من مظاهر رقي اللغة العربية، ومعلم من المعالم التي تؤكد دقتها ومرونتها وشاهد يثبت أنها لغة الفكر والحضارة »[١]. والدكتور البنا يقول: «الإعراب معلم اللغة الفصحى الأول، وهو سر عناية نحاتنا الأول به، فقد أدركوا أن هيكل الفصحى يقوم بقيامه وأنه يأخذ سمتًا من البيان والعذوبة والجمال تفتقده الأداءات الأخرى التي تخلت عن هذا المنهج الإعرابي »[٢].

مخالفة سنة الإعراب:

وإن تعجب فعجب مجيء تلك الشواهد القرآنية والشعرية المخالفة لسنة الإعراب ظاهرًا، من مثل:

- قراءة إبراهيم العتكي [ت٣٢٣هـ]، ورؤبة [ت١٤٥هـ]، وسفيان بن عيينة (الحمد لله) [الفاتحة:٢]، بنصب الدال وكسر اللام[٣].

- وقراءة إبراهيم بن أبي عبلة [ت١٥١هـ] (الحمدُ للهُ)، برفعهما[٤].

- وقراءة زيد بن علي، والحسن البصري، والحسن بن أبي الحسن [ت١١٠هـ] (الحمدِ للهِ) بكسرهما[٥].

- وقراءة أبي جعفر[ت١٣٠هـ]،وسليمان بن مهران [ت١٤٨هـ] (للملائكةُ اسجدوا) [البقرة: ٣٤، والأعراف: ١١، والإسراء: ٦١، والكهف: ٥٠، وطه: ١١٦]

---

(١) مستويات التحليل١٦٢، ١٦٣.

(٢) الإعراب سمة العربية الفصحى ٣٥.

(٣) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جنى ١/ ٣٧/ تح. علي النجدي ناصف وآخرين/ القاهرة ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م والبحر المحيط لأبي حيان ١/ ١٨.

(٤) السابقان.

(٥) السابقان، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١/ ٦٦ تح. عبد السلام عبد الشافي محمد/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/ ط ١/ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

بضم التاء[١].

- وقراءة أبي عمرو (بارِئْكم) [البقرة : ٥٤]، و(يأمرْكم) [البقرة : ٦٧، ٩٣، ١٦٩، ٢٦٨، وآل عمران : ٨٠، والنساء : ٥٨]، المتصل بضمير جمع المخاطب، و(تأمرْهم) [الطور : ٣٢]، و(يأمرْهم) [الأعراف : ١٥٧] مخاطب أو غائب متصل بضمير غائب، و(ينصرْكم) [آل عمران: ١٦٠ الموضع الثاني، والتوبة:١٤،ومحمد:٧، والملك:٢٠] مطلقًا، و(يشعرْكم) [الأنعام : ١٠٩]، حيث وقع ذلك مرفوعًا، بإسكان الهمز والراء كما ورد عنه وعن أصحابه منصوصًا، وعليه أكثر المؤلفين[٢].

- وقراءة قنبل [ت٢٩١هـ]: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ [يوسف: ٩٠]، بإثبات الياء في (يتقي) وصلا ووقفا[٣].

- وقراءة نافع، وابن عامر، وأبي بكر [شعبة ت١٩٣هـ]، وحمزة [ت١٥٦هـ]، والكسائي [ت١٨٩هـ]، وأبي جعفر [ت١٣٠هـ]، ويعقوب [ت٢٠٥هـ]،وخلف [ت٢٢٩هـ]، والشنبوذي، والحسن: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣] بتشديد (إن)، و(هذان) بالألف وتخفيف النون[٤].

- ومن الشعر قول قيس بن زهير بن جذيمة العبسي: [جاهلي. الوافر].

أَلَمْ يَأْتيكَ وَالأَنباءُ تَنمي ... بِما لاقَت لَبونُ بَني زِيادِ[٥]

---

(١) البحر ١/ ١٥٢ . وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات للبنا الدمياطي ١/ ٣٨٧ تح. شعبان محمد إسماعيل/ ط١/ عالم الكتب، / ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٢) الإتحاف ١/ ٣٩١ .

(٣) البحر ٥/ ٣٤٣ . والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٢٩٧/ صححه وراجعه / على محمد الضباع/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان . والإتحاف ٢/ ١٥٣ .

(٤) الإتحاف ٢/ ٢٤٨، ٢٤٩ .

(٥) الكتاب وحاشيته ١/ ٣٢، ٣/ ٣١٦، والخصائص ١/ ٣٣٣والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الأنباري ١/ ٣٠/ المكتبة العصرية/ صيدا، بيروت/ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ١/ ١٠٨ برقم ١٥٤/ ٣٨٧/ تح. محمد محيي الدين عبد الحميد/ مطبعة المدني وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١/ ١٠٣، ٢/ ٤٤ المكتبة الأزهرية.

هذا غيض من فيض، فالأمثلة كثيرة والشواهد عديدة، نكتفي فيها بما ذكرنا للتدليل به على ما لم يذكر.

موقف العلماء:

صدرت من بعض العلماء أحكام ضد هذه الشواهد ولنستمع إليهم: فعن القراءات الثلاث المخالفة لقراءة الجمهور، يقول الزجاج: «فأما القرآن فلا يقرأ فيه (الحمدُ) إلا بالرفع لأن السنة تتبع في القرآن، ولا يلتفت فيه إلى غير الرواية الصحيحة التي قرأ بها القراء المشهورون بالضبط والثقة ...، وقد روى عن قوم من العرب (الحمدَ لله) و(الحمدِ لله)، وهذه لغة من لا يلتفت إليه ولا يتشاغل بالرواية عنه وإنما تشاغلنا نحن برواية هذا الحرف لنحذر الناس من أن يستعملوه، أو يظن جاهل أنه يجوز في كتاب الله ﷻ أو في كلامٍ، ولم يأت لهذا نظير في كلام العرب، ولا وجه له» (١). ويقول ابن جنى: «وكلاهما الثانية والثالثة: شاذ في القياس والاستعمال» (٢). وقيل: «لا خير فيها» (٣). أي الثالثة.

وعن قراءة رفع (الملائكة) يقول الزجاج: «وأبو جعفر من جلة أهل المدينة وأهل الثبت في القراءة إلا أنه غلط في هذا الحرف» (٤). ويقول أبو على الفارسي [ت٣٧٧هـ]: «هذا خطأ» (٥)، ويقول ابن جنى: «وهذا ضعيف عندنا جدًّا» (٦)، ويقول الزمخشرى [ت٥٣٨هـ]: «ولا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٥، ٤٦ / تح. د.عبد الجليل عبده شلبي/ ط١/ عالم الكتب/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م وينظر إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٠.

(٢) المحتسب ١/ ٣٧

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ١/ ٢٢٥ / شرح: محمد أحمد جاد المولى وآخرين/ ط٣/ دار التراث/ القاهرة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/ ١١١/ ١١٢.

(٥) البحر ١/ ١٥٢.

(٦) المحتسب ١/ ٧١.

الإتباع إلا في لغة ضعيفة»[١].

وعن قراءة (بارئكم) وأخواته بالإسكان، يقول المبرد [ت٢٨٦هـ] فيما حكاه عنه أبو حيان : «ومنع المبرد التسكين في حركة الإعراب، وزعم أن قراءة أبي عمرو لحن» [٢].

وعن قراءة (يتقى) بالياء يقول أبو علي الفارسي [ت٣٧٧هـ] : «هذا مما لا يحمل عليه، لأنه إنما يجيء في الشعر لا في الكلام» [٣].

وعن قراءة (إن هذان) بالتشديد والرفع يقول بعضهم: «هو لحن» [٤].

وعن الشعر، يقول بعض العلماء: «ضرورة» [٥]، ولذلك وُجِّه بأحد وجهين [٦]:

١- أنها لام الفعل وأن الشاعر اكتفى بحذف الحركة كما يفعل مع الفعل الصحيح الآخر، فيكون (يأتي) مجزومًا وعلامة جزمه السكون.

٢- أن الشاعر جزم (يأتي) بحذف حرف العلة كما يصنع جمهرة العرب، إلا أنه اضطر لإقامة الوزن فأشبع كسرة التاء فتولدت عنها ياء، فهذه الياء ياء الإشباع وليست ياء الكلمة.

التفسير العلمي لهذه المخالفات:

هذه المخالفات عُزيت إلى قبائل عربية أُخذت عنها قواعد الإعراب ، ونزل بلغتها القرآن الكريم، يقول ابن عباس [ت ٦٨هـ] : «إن الله تعالى أنزل هذا القرآن

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/ ٥١/ ط١/ المطبعة البهية ١٣٤٣هـ.

(٢) البحر ١/ ٢٠٦

(٣) السابق٥/ ٣٤٣

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٣/ تح. أ. محمد على النجار/ دار السرور/ بيروت/ لبنان.

(٥) مغني اللبيب ١/ ١٠٨، وحاشية الصبان ١/ ١٠٣، واللسان ١/ ٢٢ [أتى] / تح. عبد الله على الكبير وآخرين/ دار المعارف.

(٦) الانتصاف من الإنصاف ، محمد محي الدين عبد الحميد ١/ ٣٠ هامشي على الإنصاف.

بلغة كل حي من أحياء العرب، وهذه اللفظة: (إن هذان لساحران) بلغة بلحارث بن كعب خاصة لأنهم يجعلون التثنية بالألف في كل وجه ، لا يقلبونها لنصب ولا لخفض» (١) .

وما سقناه من أمثلة عزاه العلماء إلى أصحابه، فقد عزيت قراءة (الحمد لله) بالنصب إلى قيس والحارث بن سامة(٢) ، وبالرفع إلى بعض بني ربيعة(٣) ، وبالكسر إلى تميم(٤) ، وبعض غطفان(٥) . وتقول د. يسريه : «أما نسبة النحاس [ت٣٣٨هـ] لتميم الكسر فعلى إتباع الدال لكسرة اللام، كأنهم طلبوا تخفيف اللفظ، فالخروج من الكسر إلى الكسر أخف عليهم من الخروج من الضم إلى الكسر، وهي قراءة الحسن البصري [ت١١٠هـ] ، ورؤبة (٦) .

وعزيت قراءة (للملائكة اسجدوا) بالرفع إلى أزد شنوءة ، يقول أبو حيان [ت٧٥٠هـ]: «وإذا كان ذلك في لغة ضعيفة – وقد نقل أنها لغة أزد شنوءة – ، فلا ينبغي أن يخطأ القارئ بها . ولا يغلط القارئ بها أبو جعفر [ت١٣٠هـ] وهو أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضًا عن عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة، وهو شيخ نافع بن أبي نعيم [ت ١٦٩هـ] أحد القراء السبعة، وقد علل ضم التاء لشبهها بألف الوصل، ووجه الشبه أن الهمزة تسقط في الدرج لكونها ليست بأصل، والتاء في (الملائكة) تسقط أيضا لأنها ليست بأصل، ألا تراهم قالوا:

---

(١) الحجة في القراءات السبع للإمام ابن خالويه ٢٤٢/ تح. د.عبد العال سالم مكرم/ ط٦، مؤسسة الرسالة/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٦٩.

(٣) السابق .

(٤)السابق ١/ ١٧٠ .

(٥) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ١/ ١٧٢. تح/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين/ ط١/ دار الكتب العلمية/ بيروت / لبنان ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٦) القواعد النحوية على اللغة التميمية د. يسريه محمد إبراهيم حسن٤٧/ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

الملائك، وقيل ضمت ؛ لأن العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقلها[١].

وعزيت قراءة (بارئكم) وأخواته بالإسكان إلى بنى أسد وتميم وبعض نجد[٢]، يقول ابن جنى: «أهل الحجاز يقولون : (يعلِّمهم) و(يلعنهم) مثقلة، ولغة تميم (يعلمْهم) و(يلعنْهم)» ويعلل للغة تميم قائلا: «وعلته توالى الحركات مع الضمات فيثقل ذلك عليهم، فيخففون بإسكان حركة الإعراب، وعليه قراءة أبي عمرو: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة : ٥٤] فيمن رواه بسكون الهمزة، وحكى أبو زيد [ت ٢١٥ هـ]: ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠] بسكون اللام وأنشدنا أبو على لجرير [ت ١١٠هـ] [البسيط] :

سيروا بَني العَمِّ فَالأَهوازُ مَنزِلُكُم وَنَهرُ تِيرَى فَلا تَعرِفْكُمُ العَرَبُ

يريد:(تعرفُكم) [٣] . وحكى في قراءة (يتقى) بالياء لغة وإن لم تعز، يقول أبو حيان بعد أن خرج القراءة على وجوه:

١- مجزوم بحذف الياء التي هي لام الكلمة وهذه الياء إشباع.

٢- جزمه بحذف الحركة على لغة من يقول: لم يرمِ زيد، وقد حكوا ذلك لغة.

٣- مرفوع و(من) موصول بمعنى الذي، وعطف عليه مجزوم وهو (يصبر) وذلك على التوهم، كأنه توهم أن (من) شرطية و(يتقي) مجزوم ، وقيل: (ويصبر) مرفوع عطفا على مرفوع وسكنت الراء لا للجزم بل لتوالي الحركات]. ويقول أبو حيان : « والأحسن من هذه الأقوال أن يكون (يتقي) مجزومًا على لغة، وإن كانت قليلة» [٤].

وعزيت قراءة (إن هذان) – بالإضافة إلى كنانة في نص ابن عباس السابق – إلى

---

(١) البحر المحيط ١/ ١٥٢.

(٢) الإتحاف ١/ ٣٩١ .

(٣) المحتسب ١/ ١٠٩، ١١٠

(٤) البحر المحيط ٥/ ٣٤٢، ٣٤٣.

بني الحارث وخيثم وزبيد وبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة[١] . وأوصلها الدكتور/ المهدي [ت ١٤٢٥ هـ] إلى عشر قبائل بإضافة : طيء وعكل[٢] . وأطال العلماء الكلام في هذه الآية فوجهوها بوجوه، أحسنها ما قاله النحاس [ت٣٣٨هـ]: «والقول الثاني، وقال أبو زيد [ت٢١٥هـ]، والكسائي ، والأخفش [ت٢١٥هـ]، والفراء هذا على لغة بني الحارث بن كعب، قال الفراء يقولون: رأيت الزيدان، ومررت بالزيدان ، وأنشد: للمتلمس جرير بن عبد العزى ت٤٣ق هـ: من [الطويل]

فَأَطْرَقَ إِطْراقَ الشُّجاعِ وَلَو مَساغاً لِنابَاه الشُّجاعُ لَصَمَّما

وحكى أبو الخطاب أن هذه لغة بني كنانة . وهذا من أحسن ما حملت عليه الآية إذ كانت هذه اللغة معروفة، وقد حكاها من يرتضي علمه وصدق أمانته، منهم أبو زيد الأنصاري ، وهو الذي يقول: إذا قال سيبويه: حدثني من أثق به فإنما يعنيني.

وأبو الخطاب الأخفش وهو رئيس من رؤساء أهل اللغة، روى عنه سيبويه وغيره[٣]».

وأجمل ما قيل في تخريج البيت ما قاله ابن الأنباري [ت٥٧٧هـ] : «أراد : ألم يأتك ، فأشبع الكسرة فنشأت الياء، وإشباع الحركات حتى تنشأ عنها هذه الحروف كثير في كلامهم»[٤]. فلغات العرب ولهجاتهم فيها الإعراب الذي يتخلى عنه، – أحيانا– وكلاهما من سننها، توجا بالقرآن والشعر، ولا مانع من التعليل لهذا التخلي

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، في القراءات السبع لأبي شامة ٥٩١/ تح. إبراهيم عطوة عوض، مصطفى البابي الحلبي والبحر ٦/ ٢٥٥.

(٢) ما خالف ظاهر القواعد النحوية في القرآن الكريم رد شبهات ودحض مفتريات، د.المهدي إبراهيم عبد العال ٢/ ٢٨٠/ مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، عدد ١٧/ ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

(٣) إعراب القرآن ٣/ ٤٥، ٤٦.

(٤) الإنصاف ١/ ٣٠

كما علل للإعراب، لبيان المعنى والدلالة ، وهذا ما نلمسه من كلام أبي على الفارسي : « كذلك تكون حركة الإعراب لما كانت مرادة وإن حذفت لم يمتنع حذفها، وكان حذفها بمنزلة إثباتها في الجواز، كما كانت الحركة فيما ذكرنا كذلك. فإن قلت: إن حركات الإعراب تدل على المعنى، فإن حذفت اختلت الدلالة عليه. وقيل: وحركات البناء أيضا قد تدل على المعنى وقد حذفت ، ألا ترى أن تحريك العين بالكسر نحو: ضُرِبَ يدل على معنى، وقد جاز إسكانها؟ فكذلك يجوز إسكان حركة الإعراب، وكذلك الكسر في مثل: حَذِر، والضمة في نحو: حَذُر»[١].

ثامنًا: مجالس إعرابية

كما عقدت مجالس لغوية لأهل اللغة للتنافس بينهم في وفرة المحفوظ ومعرفة المعاني، منها مثلا: المجلس الذي جمع بين أبى على الفارسي ، وابن خالويه [ت ٣٧٠هـ] ويحكيه أبو علي قائلا: «إنه كان بمجلس سيف الدولة الحمداني [ت ٣٥٦هـ] بحلب ، وبحضرته جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسمًا واحدًا وهو السيف، فقال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال له أبو على: هذه صفات ، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم و الصفة» [٢] .

وكما عقدت للشعراء مجالس يتباهون فيها بأجود ما جادت به قرائحهم من مثل ما ذكرته كتب النقد الأدبي : «وفي مجلس عبد الملك بن مروان [ت٨٦هـ] حضر جرير [ت ١١٠هـ] والفرزدق [ت ١١٠ هـ] والأخطل [ت٩٠ هـ [فطلب الخليفة إلى كل منهم أن يفخر فخراً لا ينقضه غيره، فبدأ الفرزدق يقول:

[الوافر]

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع ٢/ ٦٨ / تح. على النجدي ناصف ود. عبد الفتاح شلبي، الهيئة العامة للكتاب/ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٢) الصاحبي ١١٤.

أنـا القَطْـرانُ والـشُّعَراءُ جَـرْبي   وفي القطـرانِ للجـربي شِـفاءُ

فقال الأخطل:

فـإنْ تَـكُ زِقَّ زامِلـةٍ فإنِّـي   أنـا الطـاعونُ ليـسَ لـه دَواءُ

فقال جـرير:

أنـا المـوتُ الـذي آتي عَلـيكُمْ   فَلـيسَ لهـا رب منّـي نَجـاءُ

فأعلن الخليفة فوزه وأجازه، لأن الموت يأتي على كل شيء [(١)].

أقول : كما حدث ما سبق عُقدت أيضا مجالس للنحاة يتفاخر بعضهم على بعض في فهم معنى ودلالة مسألة من المسائل النحوية . وقد ذكرت كتب التراجم والنحو طرَفاً من تلك المجالس، منها ما ذكره أبو علي القالي [ت٣٥٦هـ] : قال «وحدثنا أبو حاتم السجستانى [ت ٢٤٨هـ] قال: سمعت الأصمعي [ت٢١٦هـ] يقول : جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك تجيزه ؟ قال: وما هو؟ قال: بلغني أنك تجيز : ليس الطيبُ إلا المسكُ، بالرفع، فقال أبو عمرو : نمت يا أبا عمر وأدلج الناس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، وليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع، ثم قال أبو عمرو: قم يا يحيى يعني اليزيدي [ت٢٠٢ هـ] وأنت يا خلف يعني خلفًا الأحمر [ت١٨٠هـ [فاذهبا إلى أبي المهدي فإنه لا يرفع، واذهبا إلى المنتجع ولقناه النصب فإنه لا ينصب، قال: فذهبا فأتيا أبا المهدي وإذا هو يصلي وكان به عارض وإذا هو يقول: أخسأناه عني، ثم قضى صلاته والتفت إلينا وقال: ما خطبكما؟ قلنا: جئناك نسألك عن شيء، قال: هاتيا، فقلنا: كيف تقول: ليس الطيب إلا المسك؟ فقال: أتأمراني بالكذب على كبرة سني، فأين الجادي؟ وأين كذا؟ وأين بنة الإبل الصادرة؟ فقال له

---

(١) اتجاهات النقد الأدبي العربي، د. محمد السعدي فرهود ٦٩/ ط٢/ دار الطباعة المحمدية / ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

خلف الأحمر: ليس الشرابُ إلا العسلُ، فقال: فما يصنع سودان هجر؟ مالهم شراب غير هذا التمر، فقال اليزيدي: فلما رأيت ذلك منه قلت له: ليس ملاك الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها، فقال: هذا كلام لا دخل فيه، ليس ملاكُ الأمر إلا طاعةَ الله، فقال: اليزيدي: ليس ملاكُ الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها، فقال: ليس هذا لحنى ولا لحن قومي، فكتبنا ما سمعناه منه، ثم أتينا المنتجع فأتينا رجلا يعقل، فقال له خلف: ليس الطيبُ إلا المسكَ، فلقَّنَّاه النصب وجهدنا فيه، فلم ينصب وأبى إلا الرفع، فأتينا أبا عمرو فأخبرناه وعنده عيسى بن عمر لم يبرح، فأخرج عيسى بن عمر خاتمه من يده وقال: ولك الخاتم بهذا والله فقت الناس» [(١)].

في النص نسبة الرفع لتميم، والنصب للحجازيين، ولم يشر أحد إلى دلالة الأسلوبين، وفي رأيي أن الرفع من باب القصر لتوفر شروط القصر فيه: «معنى القصر: الأصل فيه أن يجرى في الاستثناء المفرغ (الناقص) لأن النفي فيه يتوجه على مستثنى منه مقدر، ولابد أن يكون هذا المستثنى منه عاما ليتأتى منه الإخراج، ولابد أيضا أن يكون جنسا قريبا للمستثنى ولابد أن يكون مناسبا للمستثنى في وصفه الإعرابي، بحيث لو قدر موجوداً لجرى عليه نفس الحكم الإعرابي الذي هو للمستثنى. فإذا توجه النفي إلى هذا المستثنى منه بشروطه السالفة الذكر، ثم أخرجنا منه بواسطة أداة الاستثناء واحدا من أفراده، كان هذا الواحد هو المخصوص بقصر الحكم عليه، أو بعبارة أخرى: كان هذا الواحد هو المقصور عليه، ومن هنا كان طريق النفي والاستثناء يشعر بإفادة القصر بعد وجود إلا» [(٢)].

وفي ضوء هذا يكون الأسلوب التميمي معناه: حصر الطيب على المسك، ومثله في القرآن الكريم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا

---

(١) ذيل الأمالي والنوادر ١/ ٣٩/ ط٢/ دار الكتب المصرية/ القاهرة/ ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م.

(٢) بلاغة القصر، دراسة نقدية تحليلية، د. عبد العزيز أبو سريع يس٣٣/ ط١/ مطبعة السعادة/ ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠].

وأما الأسلوب الحجازي ففقد شرطا من شروط القصر وهو المتابعة الإعرابية، لعمل ليس النصب في الخبر بعد دلالة النفي وهذا العمل أحدث تغيراً وتطورا في الجملة، هذا ما صرح به علماء اللغة المحدثون ، يقول فندريس : «وقد رأينا أن ترتيب الكلمات في كل اللغات يتجه نحو الاستقرار إما بفرض النحو عليها ترتيبا لا يتغير وإما بأن تكون العادة قد جرت باتخاذ ترتيب بعينه في جميع الجمل التي من نوع واحد، وهذا لا يمنع من أن يكون للانفعالية وسائل عدة للظهور في تكوين الجملة، فتارة نرانا نقذف قبل الجملة بكلمة أو بقسم من جملة مع استئنافه بعد ذلك بواسطة عنصر صرفي ، أداة كانت أو ضميراً ، وتارة ندفع به إلى نهاية الجملة منعزلا عن السياق مع الإعلان عنه مقدما في بنية الجملة. وأخيرا قد يكون ذلك بفصم ارتباط الجملة بغتة وجعل نصفها التالي يسير على خطة جديدة لا صلة بينها وبين النصف الأول» [1].

ويعلل للصيغة التميمية الدكتور ضاحي بالارتياح النفسي ، فيقول: « إن نطق الكلام على وتيرة واحدة تستريح إليه النفس، وتأنس إليه الأذن، فهو أشبه بقوا في الشعر، والإنسان في مراحل حياته الأولى يميل إلى الرتابة في نطقه ثم ينتقل منها إلى التغيير» [2].

تاسعًا: أمثلته وشواهده

والآن جاء الدور على التطبيق العملي لوظيفة الإعراب، حيث إن المجال التطبيقي لأي عمل يوثقه ، ويؤكده . وظاهرة الإعراب من أجل أعمال العربية، نطقت به العرب واستعملته على سجيتها وطبيعتها كما ذكرنا من قبل ، وإن القرآن

---

(١) اللغة :ج فندريس ١٩٦، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص/ القاهرة/ ١٩٥٠م.

(٢) لغة تميم دراسة تاريخية وصفية ٥١٠/ القاهرة / ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

وقراءاته لخير شاهد على هذه الظاهرة لأنهما من قبل الله سبحانه وتعالى الذي أنزله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩] وانطلاقا من قول الرسول ﷺ: «**أنا أفصح العرب**» [(١)] وجوانب الفصاحة في كلامه شاملة جامعة، نخص منها الجانب الإعرابي الذي يتجلى دوره في إرساء المعاني وترسيخ الدلالات، والشعر شاهد قوى أيضا لأنه ديوان العرب وبضاعتهم التي بزوا فيه غيرهم.

أولا: القرآن الكريم:

يتجلى ارتباط المعنى بالإعراب في القرآن الكريم، وقد بذل العلماء جهودا كبيرة في استكناه هذه المعاني والدلالات، وهذا بحر واسع سأقتصر فيه على سورة الفاتحة والربع الأول من سورة البقرة:

١) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم [(٢)]:

أ- (**أعوذ**): السبب في تقديم الفعل، فضلا عن دلالته على التجدد والحدوث أننا مأمورون بإظهاره عند التلاوة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨] وهذا الأسلوب وإن كان فصيحا فالأفصح منه تأخر الفعل، يقول الرازي [ت٦٠٤هـ]: «فرق بين أن يقال: (أعوذ بالله) وبين أن يقال (بالله أعوذ) فإن الأول لا يفيد الحصر والثانى يفيده، فلهذا ورد الأمر بالأول دون الثاني مع أنا بينا أن الثاني أكمل».

وفي رأيي أن الأول أكمل؛ للقيمة الدلالية في البدء به، وهذا ما صرح به الرازي نفسه في قوله « (أعوذ بالله) عروج من الخلق إلى الخالق ومن الممكن إلى الواجب، وهذا هو الطريق المتعين في أول الأمر لأن في أول الأمر لا طريق إلى معرفته إلا بأن

---

(١) كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس، للعجلوني[ت١١٦٢هـ] ١/ ٢٣٢/ تح/ أحمد القلاش / الرسالة/ بيروت ١٤٠٥هـ.

(٢) ملخصة من: مفاتيح الغيب ١/ ٩٧، ١٠٢، ١٠٣.

يستدل باحتياج الخلق على وجود الحق الغني القادر ، فقوله: (أعوذ بالله) ، إشارة إلى الحاجة التامة، فإنه لولا الاحتياج لما كان في الاستعاذة فائدة، فقول العبد (أعوذ) إقرار على نفسه بالفقر والحاجة ، وقوله (أعوذ بالله) اعتراف بعجز النفس وبقدرة الرب ، وهذا يدل على أنه لا وسيلة إلى القرب من حضرة الله إلا بالعجز والانكسار».

- ولفظه لفظ الخبر ومعناه الدعاء والتقدير: اللهم أعذني، ألا ترى ، أنه قال: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٦] كقوله (أستغفر الله) أي اللهم اغفر لي.

- وهو فعل مضارع يصلح للحال والاستقبال، فهل هو حقيقة فيهما؟ والحق أنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال، ويدل على أن العبد مستعيذ في الحال وفي كل المستقبل.

ب- **(بالله)** الباء هنا إما للاستعانة وإما للإلصاق [عند البصريين] أو للآلة [عند الكوفيين] والتقدير، أتخلص من حظ نفسي ومن أعدائي مستعينًا ومفضيًا أمري إلى من بيده أمري وقوله (بالله) إشارة إلى الغنى التام للحق ، وإقرار بأمرين: أحدهما أن الحق قادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ، والثاني: أن غيره غير موصوف بهذه الصفات فلا دافع للحالات إلا هو ، ولا معطي للخيرات إلا هو.

٢) ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ١].

أ- **(بسم الله)**: معنى الباء فيها هنا للاستعانة، أي أبدأ مستعينا ، وللملابسة وقدر الجار والمجرور متعلق إما بفعل، وإما باسم مقدمان عليه تقديرهما: ابدأ – ابتدأت- ابتدأ – ابتدائي[(١)]. وتقدير المتعلق مقدما على المعمول أقل دلالة من

---

(١) ينظر ذلك في: إعراب القرآن المنسوب للزجاج ١/ ١٢ تح. إبراهيم الإبياري/ ط٢/ دار الكتاب المصري/ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ١٦٦ والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ١/ ٣ تح. على محمد البجاوي/ دار الجيل/ بيروت.

تأخيره عنه، لما يفوت من القيمة الدلالية لتقديم المعمول.

وعن معنى الباء وسر تقديم المعمول (باسم) يقول أحد العلماء: «والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها، كما أنها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال، وتسمية كل فاعل عند مباشرة الأفعال، ومعناها الاستعانة أو الملابسة تبركا، أي باسم الله أقرأ، أو أتلو، وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد إلى تخصيص، كما في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] وتقدير: أبدأ، لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية فحل بما هو المقصود، أعني شمول البركة للكل، وإدعاء أن فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ، والمعنى معا، وفي تقدير: أقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء، فإن مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله، إذ لم يقل في الحديث الكريم: كل أمر ذي بال لم يقل فيه أو لم يضمر فيه أبدأ] [(١)].

ب- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: قدر العلماء فيها عدة أوجه[(٢)]:

١- المتابعة للموصوف في الحكم الإعرابي.

٢- القطع عنه إما بالنصب أو بالرفع وكلاهما يأتيان للمدح، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة: ١٧٧] [(٣)].

٣) ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

يلاحظ في هذه الآية تقديم المفعولين على الفعلين، ودلالته واضحة في الاهتمام والاختصاص، يقول الزمخشري [ت٥٣٨هـ]: «وتقديم المفعول لقصد الاختصاص، والمعنى، نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة» [(٤)]. ويقول

---

(١) تفسير العلامة أبي السعود ١/ ٩ دار العصور للطباعة والنشر/ مصر/ ١٤٣٧هـ-١٩٢٨م.

(٢) يراجع إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٦٧، ١٦٨ والتبيان ١/ ٤.

(٣) يراجع: ما خالف ظاهر القواعد النحوية ٣٠٧، وفيه: والموفون بعهدهم: في رفعها قولان: الأجود: أن يكون مرفوعا على المدح أي مقطوعا مما قبله ... و(الصابرين) في نصبها وجهان: أجودهما المدح.

(٤) الكشاف١/ ٨.

أبو السعود [ت٩٨٢] : «وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة ولإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب» (١)، وما ذكرناه نلمسه في مقالة ابن عباس: «معناه : نعبدك ولا نعبد غيرك» (٢).

٤) ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] .

الأصل في (هدى) أن يتعدى إلى المفعول الثاني بأحد حرفي الجر: إلى أو اللام ، ويتعدى بنفسه على جهة الاتساع (٣) . ولم يذكر العلماء القيمة الدلالية لتعديته هنا بنفسه. وفي رأيي أن المقام مقام دعاء وابتهال ورجاء يقصد من وراءه الوصول إلى الهدف بسرعة، وذكر (إلى) يحول بينهم وبين هذا القصد، ولذلك وجدنا بعض العلماء يعربون (الصراط) مفعولا ثانيا(٤)، دون الحديث عن الأصالة أو الاتساع.

٥) ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧]

أ- (صراط): بدل من الأول، وهو بدل الشيء من الشيء وهما بمعنى واحد، وكلاهما معرفة(٥)، وفائدته: التأكيد والتنصيص عن أن طريق الذين أنعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم والاستقامة، والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم إلا إليه(٦).

ب- (الذين) مضاف إليه، واختلف العلماء في المعنيين بالإضافة إلى أقوال منها ، ما ذكره ابن عطية [ت٥٤٦هـ] : «الصراط المستقيم : طريق محمد ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهذا أقوى في المعنى لأن تسمية أشخاصهم طريقا تجوز». (٧)

---

(١) تفسير أبي السعود١/ ١٩

(٢) السابق .

(٣) ينظر البحر ١/ ٢٥ ، واللباب ١/ ٢٠٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٤ . والمحرر الوجيز ١/ ٧٥/ . والتبيان ١/ ٨.

(٥) التبيان ١/ ٨.

(٦) تفسير أبي السعود ١/ ٢١ .

(٧) المحرر الوجيز ١/ ٧٥.

وعلى كلام ابن عطية يكون المضاف إليه (الذين) معرفة. ويجوز أن تكون نكرة ، يقول أبو السعود : «وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا بأعيانهم، فيكون بمعنى النكرة كذى اللام إذا أريد به الجنس في ضمن الأفراد بعينه ، وهو المسمى بالمعهود الذهني»[(١)].

ج- (**ولا الضالين**): اختلف العلماء في زيادة (لا) ، وأصالتها ، ومن ثم تقدير المعنى، فالزيادة لتوكيد النفي، والتقدير: لا مغضوبا عليهم ولا الضالين، وعلى أصالتها: تكون بمعنى: غير وذلك لدخول حرف الجر عليها، والتقدير: غير المغضوب عليهم وغير الضالين، وأجاب البصريون عن هذا بأن (لا) دخلت للمعنى فتخطاها العامل كما يتخطى الألف واللام[(٢)].

٦) ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة : ١].

قد يدخلها الإعراب وقد لا يدخلها، يدخلها إذا كانت أسماء للسور أو للقرآن، ولا يدخلها إذا كانت مسرودة على نمط التعديد ليوقف عليها وقف التمام. وقد أعربها النحاة على وجوه[(٣)]:

أ- الجر على القسم، وحرف القسم محذوف وبقى عمله لأنه مراد، كقوله: الله لتفعلن.

ب- النصب ، على وجهين: الأول هو تقدير حذف القسم، كما تقول: الله لأفعلن، والناصب: فعل محذوف تقديره: التزمت الله، أي اليمين به. الثاني: هو مفعول به تقديره : اتل ألم.

ج- الرفع على أنه مبتدأ وما بعده خبره، أو العكس.

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٢١ .

(٢) يراجع في ذلك: إعراب القرآن المنسوب للزجاج ١١/ ١٠٦ ، والتبيان ١/ ١٠.

(٣) التبيان ١/ ١٤ وما بعدها واللباب ١/ ٢٥١ وما بعدها.

والنفس ترتاح إلى القسم، فالله سبحانه وتعالى يقسم بهذه الحروف على علو القرآن واستقامته وعدم اعوجاجه، ولا غرو في ذلك لأن الله أقسم بالقرآن في أكثر من مرة، وكما أقسم به أقسم بحروفه.

٧) ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].

أ- (ذلك) بمعنى هذا، وموضعه الرفع على وجوه [(١)]:

١- أنه خبر و(ألم) مبتدأ.

٢- (ذلك) مبتدأ ثاني و(الكتاب) خبره والجملة خبر (ألم).

وفائدة (ذلك) يوضحها العلماء «ما فيها من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف» [(٢)]. ويقول آخر: وحسن وضع ذلك في مكان هذا لأنه أشير به إلى الخبر عما تضمنه قوله (ألم) من المعاني بعد تقصى الخبر عنه بـ (آلم) فصار القرب الخبر عنه من تقصيه كالحاضر المشار إليه فأخبر عنه بذلك لانقضائه ومصيرا الخبر عنه كالخبر عن الغائب [(٣)].

ب- (الكتاب) في موضع رفع من وجوه[(٤)]:

١- عطف بيان على [ذلك] أو صفة له أو بدل منه.

٢- خبر للمبتدأ ذلك.

ج- (لا ريب) في موضع نصب على الحال للكتاب.

والمعنى أن هذا الكتاب حق ، أو غير ذي شك.

و(لا ريب) مبنية عند الأكثرين وعلة ذلك تضمنه معنى من، واحتيج لهذا

---

(١) يراجع التبيان ١/ ١٥، واللباب ١/ ٢٦٠.

(٢) تفسير أبي السعود ٢٧٨ .

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١/ ٧٥ دار الريان / ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٤) التبيان ١/ ١٤ ، ١٥ واللباب١/ ٢٦٠.

التقدير لتدل (لا) على نفي الجنس، فينفي جنس الشك تماما، ومثاله عند العرب: لا رجل في الدار، فتنفي الواحد وما زاد عليه، أما إذا رفعت ونونت: تنفي الواحد ولم تنف ما زاد عليه[١].

د- (فيه): فيه وجهان[٢]:

١- هو في موضع خبر لا، ويتعلق بمحذوف تقديره : لا ريب كائن فيه ، فتقف حينئذ على (فيه).

٢- أن (لا ريب) آخر الكلام وخبره محذوف للعلم به ، ثم تستأنف : (فيه هدى) فيكون (فيه) خبر (هدى) وإن شئت كان (هدى) فاعلا مرفوعا بفيه، ويتعلق (في) على الوجهين بفعل محذوف.

والوجه الأول: (الوقف على فيه) أحسن ؛ لأن معناه أنه أبلغ في الوضوح إلى حيث لا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه [٣].

هـ- (هدى) في إعرابه وجهان [٤]:

١- الرفع: على أنه مبتدأ ، أو فاعل ، وإما أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي هو هدى وإما أن يكون خبرا لذلك بعد خبر.

٢- النصب: على الحال من الهاء في (فيه) على تقدير: أحققه هاديا، ومعنى (الهدى) الدلالة الموصلة إلى البغية[٥].

و- (للمتقين) فيه وجهان:

١- الرفع: على أنه جار ومجرور متعلق بـ (هدى) [٦].

---

(١) التبيان ١/ ١٥ واللباب١/ ٢٦٥ ، وتفسير أبي السعود ١/ ٢٨، ٢٩.
(٢) التبيان ١/ ١٥
(٣) اللباب ١/ ٢٦٩، ٢٧٠.
(٤) التبيان ١/ ١٦.
(٥) تفسير البيضاوي ٧ .
(٦) اللباب ١/ ٢٧١.

٢- النصب: على أنه صفة لـ(هدى) فيتعلق بمحذوف.

والأحسن في هذه الآية من الوجوه المتقدمة كلها أن تكون كل جملة مستقلة بنفسها.

٨) ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

أ- (الذين) وفيه وجوه إعرابية (١):

١- الرفع، من وجهين: أنه خبر مبتدأ محذوف على معنى القطع، والثاني: أنه مبتدأ.

٢- النصب: على القطع.

٣- الجر: من ثلاثة أوجه أظهرها أنه نعت لـ (المتقين)، والثاني: أنه بدل، والثالث: عطف بيان.

وأحسن هذه الوجوه الجر على النعت، والصفة جاءت للمدح.

ب- (الذين يؤمنون) فيها أوجه إعرابية(٢):

١- الجر: على أنها صفة (للمتقين).

٢- النصب: على إضمار: أعنى أو على المدح (للمتقين).

٣- الرفع: على إضمارهم: أو مبدأ وخبره (أولئك على هدى من ربهم).

وأحسن الوجوه الأول لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به، وتبعيته له.

ج- **(ومما رزقناهم ينفقون)**، (مما) جار ومجرور ومتعلق بـ (ينفقون)، وينفقون معطوف على الصلة قبله، و(ما) المجرورة تحتمل ثلاثة أوجه: (٣)

---

(١) يراجع: التبيان ١/ ١٦، ١٧ والبحر ١/ ٣٩، ٤٠ واللباب ١/ ٢٧٩، ٢٨٠.

(٢) يراجع: التبيان ١/ ١٦، ١٧، وتفسير أبي السعود ١/ ٣٥.

(٣) يراجع التبيان ١/ ١٨، ١٩ واللباب ١/ ٢٩١.

١ - (ما) صله بمعنى الذي، و(رزقنا) يتعدى لمفعولين حذف الثاني منهما، تقديره: رزقناهموه ، أو : رزقناهم إياه. وعلى كل واحد من هذين التقديرين إشكال، لأن تقديره متصلا يلزم منه اتصال الضمير مع اتحاد الرتبة، وهو واجب الانفصال، وتقديره، منفصلا لا يمنع حذفه.

٢- (ما) نكرة موصوفة بمعنى: شيء ، أي: ومن مال رزقناهم، فتكون: (رزقناهم) في موضع جر صفة لـ (ما) وفيها إشكال كالوجه الأول.

٣- (ما) مصدرية، ويكون المصدر واقعا موقع المفعول أي: مرزوقا. ومنع هذا الوجه أبو البقاء.

- وفائدة تقديم المفعول: الاهتمام به والمحافظة على رؤوس **الأي**، وإدخال من التبعيضية عليه لمنع المكلف من الإسراف المنهى عنه، ويحتمل أن يراد به: الإنفاق بين جميع المعاون التي أتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة(١).

- فائدة «جعل صلات (الذين) أفعالا مضارعة، وعدم جعله اسم فاعل : أن المضارع فيما ذكر البيانيون مشعر بالتجدد والحدوث بخلاف اسم الفاعل الذي يشعر بالثبوت، والأمدح في صفة المتقين تجدد الأوصاف، وقدم المنفق منه على الفعل اعتناء بما خول الله به العبد ، وإشعاراً بأن المخرج هو بعض ما أعطى العبد، ولتناسب الفواصل» (٢).

٩) ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:٤].

أ- (بما أنزل إليك): (ما) اسم موصول بمعنى الذي، ولا يجوز أن تكون نكرة موصوفة لأنه لا عموم فيها، ولا يكمل الإيمان إلا أن يكون بجميع ما أنزل على

---

(١) تفسير البيضاوي ٩ وينظر تفسير أبي السعود ١/ ٣٨ واللباب ١/ ٢٩٤

(٢) البحر ١/ ٤١.

النبي ﷺ[(١)].

ب- (بالآخرة) الباء متعلقة بـ (يوقنون) و(الآخرة) صفة ، والموصوف محذوف صرح به أحيانا، وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ ﴾ [القصص: ٨٣] ، وقال تعالى : ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ [العنكبوت:٢٠] ، وحذف هنا للعلم به. وعن تعلق الجار والمجرور بـ (يوقنون) يقول أبو حيان :«وكان الإيقان هو الذي خص بالآخرة لكثرة غرائب متعلقات الآخرة وما أعد فيها من الثواب والعقاب السرمدين، وتفصيل أنواع التنعيم والتعذيب، ونشأة أصحابها على خلاف النشأة الدنيوية ورؤية الله تعالى، فالآخرة أغرب في الإيمان بالغيب من الكتاب المنزل، فلذلك خص بلفظ الإيقان ولأن المنزل على رسول الله ﷺ مشاهد أو كالمشاهد ، والآخرة غيب صرف، فيناسب تعليق اليقين بما كان غيبا صرفا» [(٢)].

وفائدة تقديم: المعمول (بالآخرة) على عاملة الإشعار بالاهتمام بالمحكوم به وتنبيها على صحته ، وتعريضًا بما في اعتقاد أهل الكتابين من الخلل[(٣)].

ج- (هم يوقنون) : (هم) مبتدأ ذكر على جهة التوكيد، ولو قال (بالآخرة يوقنون) لصح المعنى والإعراب، ووجه التوكيد في (هم) تحقيق عود الضمير إلى المذكورين لا إلى غيرهم ، (يوقنون) خبر[(٤)]. وعلة مجيء الجملة اسمية: أن وصفهم بالإيقان بالآخرة أوقع من وصفهم بالإنفاق من الرزق، فناسب التأكيد بمجيء الجملة الاسمية[(٥)].

---

(١) التبيان ١/ ١٩ واللباب ١/ ٢٩٥.

(٢) البحر ١/ ٤٢.

(٣) البحر ١/ ٤٢ ، وتفسير أبي السعود ١/ ٣٩ واللباب ١/ ٣٠٠.

(٤) التبيان ١/ ١٩.

(٥) اللباب ١/ ٣٠٠ ، والبحر ١/ ٤٢

١٠) ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

أ- (أولئك) في رفعه أوجه:

١- هو خبر (الذين) مبتدأ.

٢- بدل أو عطف بيان ويكون الخبر : (على هدى).

٣- مبتدأ و (على هدى) الخبر.

ويختار أحد العلماء وصل (الذين يؤمنون بالغيب) بـ (للمتقين) ويرفض مبدأ إعرابها مبتدأ على الاستئناف لاعتبار اتصال الكلام بعضه ببعض فيقول: «لا نختار الوجه الأول لانفلاته مما قبله والذهاب به مذهب الاستئناف ، مع وضوح اتصاله بما قبله وتعلقه به أي فائدة في ذلك» [(١)].

ويقول: «ولا نختار ما اختاره الزمخشري من كون هذه الجملة في موضع خبر عن (الذين يؤمنون) وإعراب (الذين) مبتدأ والذهاب به مذهب الاستئناف، لأن تعلقه بما قبله في غاية الوضوح» [(٢)].

ويقول البيضاوي [ت٦٩١هـ] : «والاستئناف لا محل له، فكأنه نتيجة الأحكام المتقدمة، أو جواب سائل قال: ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى؟ ... فإن اسم الإشارة ها هنا كإعادة الموصوف بصفاته المذكورة، وهو أبلغ من أن يستأنف بإعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتفي وتلخيصها فإن ترتيب الحكم على الوصف إيذانا بأنه الموجب له» [(٣)].

وعن دلالتها يتحدث أبو السعود : [ت٩٨٢هـ] قائلا: «وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز، منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة، وما فيه من

---

(١) البحر ١/ ٤٣.

(٢) النهر الماد ، هامش على البحر ، ١/ ٤٠.

(٣) تفسير البيضاوي / ٩.

معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل» [(١)].

ب- (على هدى) : أما عن إعرابها ففي رفعها وجهان:

١- فهي إما خبر عن (الذين يؤمنون بالغيب).

٢- خبر عن (أولئك) وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره: ثابتون أو مستقرون. وعن دلالتها يقول العلماء: «فإن قيل أصل (على) الاستعلاء، والهدى لا يستعلى عليه، فكيف يصبح معناها ها هنا؟ قيل الاستعلاء حاصل لأن منزلتهم علت باتباع الهدى، ويجوز أن يكون لما كانت أفعالهم كلها على مقتضى الهدى كان تصرفهم بالهدى كتصرف الراكب بما يركبه» [(٢)].

فائدة تنكير (هدى) ، «ما فيه من الإبهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه، كأنه قيل: على أي هدى؟ هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره» [(٣)].

ج- (من ربهم) في موضع جر صفة لـ (هدى) ويتعلق الجار والمجرور بمحذوف تقديره: هدى كائن، وفي الجار والمجرور ضمير يعود على (الهدى) [(٤)].

ودلالتها واضحة في قول أبو السعود: « (من ربهم) متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها، أي: على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع أنواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف إليهم وتشريفهم ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه» [(٥)].

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٤٠.

(٢) التبيان ١/ ٢٠، وينظر تفسير البيضاوي ٩، والبحر ١/ ٤٣، وتفسير أبي السعود ١/ ٤٠.

(٣) تفسير أبي السعود ١/ ٤٠ ، واللباب ١/ ٣٠٣.

(٤) التبيان ١/ ٢٠ واللباب ١/ ٣٠٣.

(٥) تفسير أبي السعود ١/ ٤٠ .

د- ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[البقرة:٥].

ليست الواو مقحمة ولا مزيدة ولكنها للعطف، ولو كان الخبر الثاني في معنى الأول لم يدخل العاطف لأن الشيء لا يعطف على نفسه، مثال: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ ، بعد قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾[الأعراف: ١٧٩]. جاء بغير عاطف لاتفاق الخبرين[(١)]. فائدة العطف – هذا – أن الخبرين مغايران:

– (أولئك) كررت تنبيها على أنهم كما ثبت لهم الآثرة بالهدى ثبت لهم بالفلاح [(٢)].

– (هم) وللعلماء فيها حديث طويل نوجزه فيما يلي:

١ – **تسميته**: دار خلاف بين الكوفيين والبصريين في تسميته: «ذهب الكوفيون إلى أن ما يصل بين النعت والخبر يسمى عمادا، وله موضع من الإعراب، وذهب بعضهم إلى أن حكمه حكم ما قبله، وذهب بعضهم إلى أن حكمه حكم ما بعده، وذهب البصريون إلى أنه يسمى فصلاً، لأنه يفصل بين النعت والخبر» [(٣)].

٢ – **فائدته**: «محل تأكيد ورفع توهم من يتشكك في المسند إليه الخبر أو ينازع فيه، أو من يتوهم التشريك فيه» [(٤)]. ويقول د/ الموافي: «الضمير (هو) يسمى ضمير الفصل؛ لأنه فصل بين الخبر والتابع فرفع اللبس وأزال الإبهام . ولهذا الضمير فائدة لفظية هي الإعلام من أول الأمر أن ما بعده خبر لا تابع، ومن هنا أسماه البصريون ضمير الفصل ، وأكثر الكوفيين يسمونه عمادا لاعتماد معنى الكلام عليه. وله كذلك فائدة معنوية تتمثل في توكيد الاسم السابق بالحصر وذلك حين يكون ما بعده غير

---

(١) البحر ١/ ٤٣ ، واللباب ١/ ٣٠٣.
(٢) اللباب ١/ ٣٠٣.
(٣) الإنصاف ٢/ ٧٠٦.
(٤) السابق .

محتمل اللبس نحو قوله : ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] وقوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المائدة: ١١٧] ، وقوله: ﴿وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [القصص:٥٨] ، ومن هنا أسماه بعض الكوفيين دعامة لأنه يدعم الكلام، أي يقويه ويؤكده»[(١)].

٣- **إعرابه**: يحتمل (هم) أن يكون فصلا أو بدلا، فيكون (المفلحون) خبرًا عن (أولئك) أو المبتدأ : المفلحون: وخبره الجملة من قوله (هم المفلحون) [(٢)].

٤- **لهجته**: أثبت العلماء لضمير الفصل شواهد كثيرة من القرآن والقراءات والشعر والنثر، وعزو ذلك إلى قبيلة تميم أنهم يرفعون ما بعده على أنه خبر[(٣)].

١١) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] .

أ- (سواء) فيها وجوه[(٤)]:

١- مبتدأ و(أنذرتهم) وما بعده خبر، والتقدير : سواء عليهم الإنذار وعدمه.

٢- خبر مقدم، وأنذرتهم مبتدأ مؤخر، والتقدير الإنذار وعدمه سواء والجملة في الحالين خبر (إن) ، و(لا يؤمنون) لا موضع له على هذا.

٣- (سواء) خبر (إن) وما بعده معمول به، والتقدير: استوى عندهم الإنذار وعدمه.

٤- (سواء عليهم) وما بعده معترض بين (إن) وخبرها (لا يؤمنون).

- الوجه أن يكون (سواء عليهم) خبر قدم على (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) وقدم

---

(١) خصائص لهجتي تميم وقريش ٢٣٦ ، ٢٣٧ / ط١/ مطبعة السعادة / ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

(٢) البحر ١/ ٤٣ ، ٤٤ ، واللباب ١/ ٣٠٣.

(٣) ينظر الكتاب ٢/ ١٠٤ ، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ومغني اللبيب ٤٩٦ والبحر ١/ ٢٣ ، ٤٨٨ ، ٢٥٩، ٨/ ٢٧ ، ٢٦٧ وخصائص لهجتي تميم وقريش ٢٣٦ وما بعدها.

(٤) تفسير أبي السعود ١/ ٤٣، والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للجمل١/ ٢٥. / دار الفكر / ١٤١٥ – ١٩٩٤ . والتبيان ١/ ٢١.

عليه اعتناء بشأنه، ويقول ابن عطية: «(سواء عليهم) معناه: معتدل عندهم»[(١)].

١٢) ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

[البقرة: ٧].

أ- (ولهم عذاب عظيم):

- **إعرابها:** «مبتدأ وخبر، أو فاعل عمل فيه الجار على ما ذكرنا قبل، وفي (عظيم) ضمير يرجع على (عذاب) لأنه صفته»[(٢)].

- **ودلالتها:** «وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة، و(العذاب) كالنكال بناء ... والعظيم، نقيض الحقير، ... ووصف العذاب به ؛ لتأكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك، والمعنى: أن على أبصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات، ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا تدرك غايته»[(٣)].

١٣) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨].

أ- **(ومن الناس):** الواو عاطفة تقتضي المغايرة ، «الواو - هنا دخلت للعطف على قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ وذلك أن هذه الآيات استوعبت أقسام الناس، فالآيات الأول تضمنت المخلصين في الإيمان وقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة:٦] تضمن ذكر من أظهر الكفر وأبطنه، وهذه الآيات تضمنت ذكر من أظهر الإيمان وأبطن الكفر، فمن هنا دخلت الواو لتبين أن المذكورين في تتمة الكلام الأول و(من) هنا للتبعيض»[(٤)]. (من الناس) خبر مقدم و «من يقول» مبتدأ مؤخر.

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٨٧.
(٢) التبيان ١/ ٢٣ واللباب ١/ ٣٢٥.
(٣) تفسير أبي السعود ١/ ٤٦، ٤٧.
(٤) التبيان ١/ ٢٤.

ب- (من يقول) : (من) هنا نكره موصوفة ، يقول أبو حيان: «نكرة موصوفة مرفوعة بالابتداء ، والخبر: الجار والمجرور المتقدم الذكر، و(يقول) صفة»[(١)].

ويختلف معه أبو السعود فيقول: « من: في قوله: (من يقول) : موصولة أو موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى: وبعض الناس أو: وبعض من الناس الذي يقول، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾ [التوبة: ٦١] ، وفريق يقول : كقوله تعالى : ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب: ٢٣] على أن يكون مناط الإفادة. والمقصود بالأصالة اتصافهم بها في خير الصلة أو الصفة، وما يتعلق به من الصفات جميعا لكونهم ذوات أولئك المذكورين، وأما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع في موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى لأن كونهم من الناس الجنس مطلقا، وكذا مدار الجواب عنه بأن الفائدة هو التنبيه على أن الصفات المذكورة تنافي الإنسانية فحق من يتصف بها أن لا يعلم كونه من الناس فيخبره به ويتعجب منه، وأيا ما كان فالفائدة ظاهرة بل لأن خبرية الظرف تستدعي أن يكون اتصاف هؤلاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة آية عنوانا للموضوع ... ومناط الإفادة من أولئك المذكورين»[(٢)].

ج- ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٨] فيها أوجه[(٣)]:

١- (ما) حجازية ، فترفع الاسم (هم) وتنصب الخبر (بمؤمنين) والباء زائدة توكيدا.

٢- (ما) تميمية: فلا تعمل ويكون (هم) مبتدأ بمؤمنين جار ومجرور في محل رفع خبر.

---

(١) البحر ١/ ٥٤.

(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٤٧ ، ٤٨، واللباب ١/ ٢٣٧ ، ٣٢٨.

(٣) ينظر التبيان ١/ ٢٥ ، والبحر ١/ ٥٥ واللباب ١/ ٣٣١.

المختار في (ما) أن تكون حجازية لأنـه لما سقطت الباء صرح بالنصب في قولـه تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ [المجادلة:٢].

ودلالة هذا التركيب يذكره العلماء[1]: «رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه، و(ما) حجازية فإن جواز دخول الباء في خبرها لتأكيد النفي اتفاقي بخلاف التميمية، وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بإفادة انتفاء الإيمان عنهم في جميع الأزمنة لا في الماضي فقط، كما تفيده الفعلية، ولا يتوهمن أن الجملة الإسمية الإيجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فإنها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا»، ويقول آخر: «عدل عن ذلك (الجملة الفعلية) ليفيد أن الإيمان منتف عنهم في جميع الأوقات».

١٤) ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ٩].

أ- (يخادعون الله) فيها وجوه من الإعراب والمعاني[2]:

١- لا موضع لها من الإعراب، وفيها وجهان: الأول: مستأنفة والمعنى يكمن في كونه إجابة : كأن قائلا يقول: لم يتظاهرون بالإيمان وليسوا مؤمنين؟ فقيل (يخادعون الله). الثاني: بدل من (يقول آمنا) والمعنى: يكون ذلك بيانا لأن قولهم آمنا وليسوا بمؤمنين في الحقيقة مخادعة، فيكون بدل فعل من فعل لأنه في معناه.

٢- أن لها موضعًا من الإعراب: وهي في محل نصب حال، واختلف في صاحب الحال:

الأول: قيل هو الضمير المستكن في (بمؤمنين) ، يقول: والتقدير: يقول آمنا مخادعين.

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٤٨ واللباب ١/ ٣٣٢.

(٢) ينظر ذلك في التبيان ١/ ٢٥ ، والبحر ١/ ٥٥، ٥٦ ، وتفسير أبي السعود ١/ ٤٨، ٤٩ ، واللباب ١/ ٣٣٥ وما بعدها.

الثاني: وقيل الضمير المستكن في (بمؤمنين) ، يقول : والتقدير: وما هم بمؤمنين في حال خداعهم.

ويخطئ أبو حيان الوجه الثاني بناء على: «أن (ما) دخلت على الجملة فنفت نسبة الإيمان إليهم ، فإذا قيدت تلك النسبة بحال تسلط النفي على تلك الحال وهو القيد فنفته».

الثالث: الضمير في (آمنا). وهذا الوجه غير جائز، لعدم استقامة المعنى معه، لأن (آمنا) محكى عنهم بيقول: فلو كان (يخادعون) حالا من الضمير في (آمنا) لكانت أيضا . وهذا محال لوجهين : **أحدهما**: أنهم معا قالوا: آمنا وخادعنا. **والثاني**: أنه أخبر عنهم بقوله (يخادعون) ولو كان منهم لكان: نخادع بالنون. وفي الكلام حذف تقديره: يخادعون نبي الله ، وقيل هو على ظاهره من غير حذف.

٣- في موضع جر على الصفة للمؤمنين . وهذا الوجه غير جائز لعدم استقامة المعنى معه: لأن ذلك يوجب نفي خداعهم، والمعنى على إثبات الخداع.

ب- (إلا أنفسهم) في موضع نصب بأنه مفعول، وليس نصبه على الاستثناء لأن الفعل لم يستوف مفعوله قبل إلا، وقيل منصوب بنزع الخافض، والتقدير: إلا عن أنفسهم، فجائز في الكلام، خدعت زيد نفسه، ومعناه: عن نفسه[(١)] .

١٥) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١] .

أ- (وإذا قيل) الواو عاطفة، عطفت ما بعدها على (من) وقد سبق أن (من) إما أن تكون اسما موصولا وعلى ذلك تكون (إذا) لا محل لها من الإعراب، ويقول أبو السعود: «ولا بأس بتخلل البيان أو الاستئناف وما يتعلق بهما بين أجزاء الصلة فإن ذلك ليس توسيطا بالأجنبي، وإما أن تكون نكرة موصوفة فحينئذ لا محل لها من الإعراب ، والمعنى: ومن الناس من إذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من

---

(١) تنظر في التبيان ١/ ٢٥ والبحر ١/ ٥٥ ، ٥٦ وتفسير أبي السعود ١/ ٤٨، ٤٩ واللباب ١/ ٣٣٥ وما بعدها.

الإفساد في الأرض ، قالوا إراءة للناهين: إن ذلك غير صادر عنهم مع أن مقصوهم الأصلي: إنكار كون ذلك فسادا أو ادعاء كونه إصلاحًا محضًا»[١].

(وإذا) في موضع نصب على الظرف والعامل فيها جوابها، وهو قوله (قالوا) وقال قوم العامل فيها: «قيل، وهو خطأ: لأنه في موضوع جر بإضافة إذا إليه والمضاف إليه لا يعمل في المضاف»[٢].

ب- (إنما) ويتحدث عنها عبد القاهر الجرجاني : «اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة. تفسير ذلك أنك تقول للرجل: إنما هو أخوك وإنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب»[٣]. ويوضح دلالتها في الآية أحد العلماء فيقول: «أي مقصورون على الإصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة من الإفساد والفساد مشيرين بكلمة (إنما) إلى أن ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي أن يرتاب فيه، وإما كلام مستأنف سبق لتعديد شنائعهم، وأما عطفه على يكذبون بمعنى ولهم عذاب أليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الإفساد: إنما نحن مصلحون»[٤].

١٦) ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢] .

أ- (هم) في إعرابها وجوه[٥]:

١- (هم): مبتدأ و(المفسدون) خبره، والجملة خبر (إن).

٢- (هم) في موضع نصب توكيدا لاسم (إن).

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٥٢.

(٢) التبيان ١/ ٢٧.

(٣) دلائل الإعجاز ٢٥٤/ صححه الشيخ محمد عبده/ السيد محمد رشيد رضا/ ط٢/ مطبعة المنار/ مصر/ ١٣٣١هـ.

(٤) تفسير أبي السعود ١/ ٥٢.

(٥) التبيان ١/ ٢٩.

٣- (هم) فضلة لا موضع لها ، لأن الخبر هنا معرفة.

ومعنى الآية: ينادي بذلك نداء جليا فإنه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية أبلغ ردّ، وأدلُّه على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدي إلى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرف من التأكيد (ألا) المنبهة على تحقق ما بعدها فإن الهمزة الإنكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الإثبات قطعًا، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]، ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة إلا مصدرة بما يتلقى به القسم ، وأختها التي هي (أما) من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح و(إن) المقررة للنسبة . وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل لرد ما في قصر أنفسهم على الإصلاح من التعريض بالمؤمنين، ثم استدرك بقوله: (ولكن لا يشعرون)، للإيذان بأن كونهم مفسدين من الأمور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه [(١)].

١٧) ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [البقرة: ١٣] .

(كما) : في الكاف و(ما) وجوه إعرابية ودلالية[(٢)]:

الكاف في محل نصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف ، أي: آمنوا إيمانًا مماثلاً لإيمانهم و(ما) ، مصدرية أو كافة كما في (إنما) فإنها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة، وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين، أي حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم، ... والمعنى: آمنوا إيمانًا مقرونًا بالإخلاص متمحضًا عن شوائب النفاق مماثلاً لإيمانهم، (قالوا) مقابلين للأمر بالمعروف بالإنكار للمنكر، واصفين للمراجيح الرزان بضد أوصافهم الحسان، (أنؤمن كما آمن السفهاء).

١٨) ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤] .

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٥٣.

(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٥٣ .

أ- (إنا معكم) : (إن) وأسمها (معكم) قائم مقام الخبر، أي كائنون معكم، والجملة في محل نصب مقول القول.

- فائدة الجملة الاسمية (إنما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لأن مدعاهم عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من التأكيد للإنباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لإنكار الشياطين معاملتهم مع المؤمنين)[١].

ب- (إنما نحن مستهزئون) وفيها أوجه إعرابية[٢]:

١- الاستئناف مبنى على سؤال ناشيء من إدعاء المعية، وكأنه قيل لهم عند قولهم: (إنا معكم): فما بالكم توافقون المؤمنين في الإتيان بكلمة الإيمان؟ فقالوا: إنما نحن مستهزئون بهم، فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده... أو تأكيد لما قبله فإن المستهزئ بالشيء مصر على خلافه.

٢- بدل منه، لأنه من حقر الإسلام فقد عظم الكفر.

ويعلق أحد الباحثين على الآية قائلا: «بل إن قولهم: إنما نحن مستهزئون أقل تقريرا أو أقل تثبيتا من قولهم: نحن مستهزئون التي لا تحتوي على أي قيد أو تأكيد، ... بينما يأتي التعبير الآخر: (إنما نحن مستهزئون) ليوحي بتوقع معارضة أو مخالفة» [٣].

١٩) ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥].

(يعمهون): في محل نصب على الحال إما من الضمير في (يمدهم) أو من: الضمير في (طغيانهم)، وجاءت الحال من المضاف إليه لأن المضاف مصدر[٤]

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٥٦، اللباب ١/ ٣٦١.

(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٥٦.

(٣) النحو والدلالة، د. عبد الحليم محمد عبد الحليم، ٤٧٥، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة/ العدد ١٩/ الجزء الثاني ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٤) الفتوحات الإلهية ١/ ٣٥.

والمعنى : يمهلهم ويطيل لهم في الأعمار مترددين متحيرين، أو يمهلهم في الطغيان مترددين أيضا متحيرين قال النسفي [ت٥٣٧هـ] : « حال: أي يتحيرون ، ويترددون »[١].

٢٠) ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة : ١٧].

أ- (**مثلهم كمثل**): مبتدأ وخبر، والكاف يجوز أن تكون حرف جر فيتعلق بمحذوف ، ويجوز أن يكون اسما بمعنى: مثل، فلا يتعلق بشيء[٢].

والوجه: «أن المثل: هنا بمعنى القصة، والتقدير، صفتهم وقصتهم كقصة المستوقد، فليست زائدة على هذا التأويل»[٣]، ويفسره الصاوي بقوله : «وإنما فسروه بالصفة ولم يفسروه بالمثل بمعنى: الشبه لئلا يلزم عليه زيادة الكاف، والأصل عدم الزيادة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر: (مثل) ، التقدير: صفتهم كائنة مثل صفة الذي استوقد نارا، ويصح في هذه الكاف أن تكون اسما، وهي نفسها هي الخبر، وإنما جر بها لأنها على صورة الحرف، وأن تكون حرفا متعلقة بمحذوف، وعلى كل معناها: مثل» [٤]، وقال ابن كثير [ت٧٧٤هـ[: «والتشبيه ها هنا في غاية الصحة لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولا: نورا ثم بنفاقهم ثانيا، أبطلوا ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين»[٥]، ويقول النسفي: «وقد استعير المثل للحال أو الصفة، أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارًا» [٦].

---

(١) تفسير النسفي ١/ ٢٢ دار إحياء الكتب العربية.
(٢) التبيان ١/ ٣٢ ، واللباب ١/ ٣٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٥٨.
(٣) الفتوحات ١/ ٣٦.
(٤) حاشية الصاوى على الجلالين ١/ ١٢ ، دار إحياء الكتب العربية.
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٣ ، مكتبة شباب الأزهر ١٤٠٠ – ١٩٨٠م.
(٦) تفسير النسفى ١/ ٢٣.

ب- (فلما): الفاء في (فلما) للتعقيب،وهي عاطفة جملة الشرط على جملة الصلة[(١)]، و(لما) ها هنا اسم، وهي ظرف زمان كذا في كل موقع وقع بعدها الماضي، وكان لها جواب، والعامل فيها جوابها مثل: إذا[(٢)].

- جواب (فلما) قال بعضهم: هو: (ذهب) والمعنى في الوقت الذي أضاءت لهم النار ذهب الله بنورهم، وقال بعضهم: هو محذوف تقديره: خمدت.

- والمعنى فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النار[(٣)].

- (أضاءت) قيل : متعد ، وقيل : لازم ، وقالوا : هو أكثر وأشهر ، فإذا كان متعديًا كانت الهمزة فيه للنقل ؛ إذ يقال : ضاء المكان .

كما قال العباس بن عبد المطلب في النبي ﷺ : [المنسرح]

وَأَنتَ لَمَّا وُلِدتَ أَشرَقَتِ الْـ (م) ـأَرضُ وَضاءَت بِنورِكَ الأُفُقُ

- والفاعل إذ ذاك: ضمير (النار) و(ما) مفعوله، و(حوله) صلة معمولة لفعل محذوف، (لا) نكرة موصوفة، و(حوله) صفة لقلة استعمال ما نكرة موصوفة .... أي: فلما أضاءت النار المكان الذي حوله، وإذا كان لازما فالضمير في أضاءت (للنار) و(ما) زائدة، و(حوله) ظرف معمول للفعل.

- ويجوز أن يكون الفاعل ليس ضمير (النار) وإنما هو (ما) الموصولة وأنث على المعنى، أي فلما أضاءت الجهة التي حوله، كما أنثوا في قولهم: ما جاءت حاجتك .... وقرأ ابن السميفع [ت٢١٣هـ] ، وابن أبي عبلة (فلما ضاءت)، ثلاثيا فيتخرج على زيادة (ما) وعلى أن تكون هي الفاعلة إما موصولة وإما موصوفة[(٤)].

---

(١) البحر ١/ ٧٨.

(٢) التبيان ١/ ٣٣.

(٣) الكشاف ١/ ٣١ ، وتفسير أبى السعود ١/ ٦١.

(٤) البحر ١/ ٧٨، ٧٩، وينظر اللباب ١/ ٣٧٥ وما بعدها.

- الجمع بين الصناعة الإعرابية والمعاني الدلالية: «الفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد، أي : فلما أضاءت النار ما حول المستوقد، أو : فلما أضاء ما حوله، والتأنيث لكونه عبارة عن الأماكن والأشياء، أو: أضاءت النار نفسها فيما حوله، على أن ذلك ظرف لإشراق النار، المنزل منزلتها لا لنفسها، أو مزيدة، و(حوله) ظرف. وتأليف الحول للدوران، وقيل للعام حول ؛ لأنه يدور .»[(١)].

ج- (ذهب الله بنورهم):

«الباء معدية للفعل، كتعدية الهمزة له، والتقدير: أذهب الله نورهم، ومثله في القرآن كثير، وقد تأتي الباء في مثل هذا الحال، كقولك: ذهبت بزيد، أي ذهبت ومعي زيد»[(٢)].

- الربط بين الصناعة والمعنى: « علق الإذهاب بالنور، دون نفي النار لأنه المقصود بالاستيقاد، لا الاستوفاء ونحوه، كما ينبئ عنه قوله تعالى: (فلما أضاءت) حيث لم يقل: فلما شب ضرامها، أو نحو ذلك، وهو جواب لـ (ما) أو استئناف أجيب به، عن سؤال سائل، ما بالهم أشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت ناره ؟ أو بدل من جملة التمثيل على وجه البيان، والضمير على الوجهين للمنافقين ... وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى، إما لأن: الكل بخلقه تعالى، وإما لأن: الانطفاء حصل بسبب خفى ، أو أمر سماوى كريح أو مطر، وإما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والإمساك، ويقال: ذهب السلطان جماله، إذا أخذه»[(٣)].

د – (وتركهم في ظلمات لا يبصرون):

(تركهم) يتعدى ها هنا لمفعولين لأن المعنى صيرهم، وليس المراد به الترك الذي

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٦١.

(٢) التبيان ١/ ٣٣ .

(٣) تفسير أبي السعود ١/ ٧١

هو الإهمال، فعلى هذا يجوز أن يكون المفعول الثاني: (في ظلمات) فلا يتعلق الجار بمحذوف ويكون (لا يبصرون) حالا، ويجوز أن يكون: (لا يبصرون) هو المفعول الثاني و(في ظلمات) ظرف يتعلق بتركهم، أو بيبصرون ، ويجوز أن يكون: حالا من الضمير في (يبصرون) أو من المفعول الأول[١].

ويوضح الجمل ذلك فيقول: « (ترك) في الأصل بمعنى: طرح وخلى فيتعدى لواحد ، وقد يضمن معنى التصيير فيتعدى لاثنين ، فإن جعل متعديا لواحد فهو الضمير البارز، و(في ظلمات) و (لا يبصرون) حالان ، وإن جعل متعديا لاثنين فالثاني (في ظلمات) ، و(لا يبصرون) حال ، وهي مؤكدة ؛ لأن من كان في الظلمة لا يبصر، ومفعول (يبصرون) محذوف قدره بقوله (ما حولهم) ... والضمير في (تركهم) راجع للمنافقين المشبهين بالذين أوقدوا النار . وهذا ليس بالجيد ، بل الأولى أنه راجع لأصحاب المثل المستوقدين»[٢].

٢١) ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٨] .

أ- (فهم لا يرجعون) فيها أوجه:

١ - «جملة مستأنفة وقيل موضعها حال، وهو خطأ ، لأن ما بعد الفاء لا يكون حال لأن الفاء ترتب ، والأحوال لا ترتيب فيها، و(يرجعون) فعل لازم، أي: لا ينتهون عن باطلهم، أو لا يرجعون إلى الحق ، وقيل: هو متعد، ومفعوله محذوف ، وتقديره: فهم لا يردون جوابا، مثل قوله : ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴾ [الطارق: ٨] »[٣].

٢- ويقول أبو السعود: « الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها، أي: هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون إلى الهدى الذي تركوه وضيعوه،

(١) التبيان ١/ ٣٣ واللباب ١/ ٣٧٨ وما بعدها.
(٢) الفتوحات ١/ ٣٧ ، وينظر اللباب ١/ ٣٧٨.
(٣) التبيان ١/ ٣٤ واللباب ١/ ٣٨٣

أو: عن الضلالة التي أخذوها ... والعدول إلى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم» [(١)].

٢٢) ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩] .

أ- (أو) فيها خمسة أوجه[(٢)]:

١- أنها للشك وهو راجع إلى الناظر في حال المنافقين، فلا يدري أيشبههم بالمستوقد أو بأصحاب الصيب كقوله: ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٧]. أي يشك الرائي لهم في مقدار عددهم.

٢- أنها للتخيير أي شبهوهم بأي القبيلتين شيءتم.

٣- أنها للإباحة.

٤- أنها للإبهام، أي أن الله أبهم على عباده تشبيههم بهؤلاء أو هؤلاء.

٥- الخامس: أنها للتفضيل، بمعنى أن الناظرين في حال هؤلاء ، منهم من يشبههم بحال المستوقد، ومنهم من يشبههم بأصحاب صيب هذه صفته.

- وأظهر هذه الأقوال أنها للتفضيل .

ب- (كصيب): فيها وجوه[(٣)]:

معطوف على (كمثل) فهو في محل رفع ولابد من حذف مضافين ليصح المعنى، والتقدير: أو كمثل ذوى صيب. ويجوز أن يكون : خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أو مثلهم كمثل صيب. وفي الكلام حذف تقديره : أو كأصحاب صيب، وإلى هذا

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٦٣ ويراجع اللباب ١/ ٣٨٤ والفتوحات الإلهية ١/ ٣٨.

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية ١/ ٣٨، والتبيان ١/ ٣٤، واللباب ١/ ٣٨٥.

(٣) التبيان ١/ ٣٥ ، واللباب ١/ ٣٨٨.

المحذوف يرجع الضمير في قوله (يجعلون) والمعنى في ذلك لأن تشبيه المنافقين بقوم أصابهم مطر فيه ظلمه ورعد وبرق لا بنفس المطر.

ج- (من السماء) فيه وجهين [1]:

أحدهما: أن يتعلق بـ (صيّب) لأنه يعمل عمل الفعل، والتقدير: كمطر يصوب من السماء، و(من) لابتداء الغاية.

الثاني: في محل جر صفه لـ (صيب) فيتعلق بمحذوف و(من) للتبعيض، ولابد من حذف مضاف تقديره: كصيب كائن من أمطار السماء.

د- (فيه ظلمات) وفيه أوجه:

١- أن يكون صفة لـ (صيب).

٢- أن يكون حالا منه.

٣- أن يكون حالا من الضمير المستكن في (من السماء).

فيتعلق في التقديرات الثلاثة بمحذوف، إلا أنه على الأول في محل جر لكونه صفة لمجرور، وعلى القولين الأخيرين في محل نصب على الحال، و(ظلمات) على هذه الأقوال فاعل.

٤- أن (فيه) خبر مقدم و(ظلمات) مبتدأ أو مؤخر.

وجملة (فيه ظلمات) تحتمل وجهين :

١- الجر على أنها صفة لـ (صيب).

٢- النصب على الحال.

- والأرجح يوضحه ابن عادل [ت بعد ٨٨٠ هـ] بقوله : «واعلم أن جعل الجار

---

(١) يراجع التبيان ١/ ٣٥، واللباب ١/ ٣٨٨.

صفه أو حالا، ورفع (ظلمات) على الفاعلية به أرجح من جعل (فيه ظلمات) جملة برأسها في محل صفه أو حال، لأن الجار أقرب إلى المفرد من الجملة، وأصل الصفة والحال أن يكونا مفردين» [١].

هـ- (ويجعلون) فيها أوجه [٢]:

١- لا محل لها من الإعراب: لاستئنافها كأنه قيل: ما حالهم؟ فقيل يجعلون.

٢- لها محل من الإعراب على وجهين:

أ- الجر؛ لأنها صفه للمجرور، أي أصحاب صيب جاعلين، والضمير محذوف.

ب- النصب على الحال من الضمير في (فيه). وقيل حذف المضاف جاز فيه اعتباران : **الأول** : أن يلتفت إليه . **والثاني** : ألا يلتفت إليه .

و- (حَذَر) فيها وجهان:

أظهرهما أنه مفعول من أجله ، ناصبه (يجعلون) ، والثاني: أنه منصوب على المصدر، وعامله محذوف، وتقديره: يجذرون حذر مثل حذر. والمصدر هنا مضاف إلى المفعول به [٣].

٢٣) ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠].

أ- **(يخطف)** في موضع نصب لأنه خبر كاد، والمعنى: قارب البرق خطف الأبصار [٤]، وقال أبو السعود: « استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كأن قيل: كيف حالهم مع ذلك البرق؟ فقيل يكاد ذلك يخطف أبصارهم، أي يختلسها

(١) اللباب ١/ ٣٩٠ ويراجع التبيان ١/ ٣٥

(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٦٥ والتبيان ١/ ٣٦ واللباب ١/ ٣٩١.

(٣) التبيان ١/ ٣٦ واللباب ١/ ٣٩٢ ، ٣٩٣، ويراجع الجامع للقرطبي ١/ ٢٦٦.

(٤) التبيان ١/ ٣٦ .

ويستلبها بسرعة، وكاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتآخذ أسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد فقد شرط أو لعروض مانع ، ولا يكون خبرها إلا مضارعا عاريا عن كلمة (أن)»[١].

ب- **(كلما)** : هي هنا ظرف، وكذلك كل موضع كان لها جواب، و(ما) مصدرية والزمان محذوف أي كلُّ أضاء لهم فيه، والعامل في (كل) جوابها [٢].

ويقول آخر «(كل) ظرف و(ما) مصدرية، والزمان محذوف أي: كل زمان إضاءة وقيل: (ما) نكرة موصوفة معناها: الوقت، والعائد محذوف أي : كل وقت أضاء لهم فيه والعامل في (كلما) جوابها، وهو استئناف ثالث كأنه قيل: ما يفعلون في أثناء ذلك الهول، أيفعلون بأبصارهم ما فعلوا بأذانهم أم لا؟ فقيل: كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا على أن (أضاء) متعد، والمفعول محذوف وكلما لمع لهم على أنه لازم ويؤيده قراءة (كلما ضاء)»[٣].

ج- **(فيه)** أي في ضوئه والمعنى بضوئه، ويجوز أن يكون ظرفا على أصلها، والمعنى: أنهم يحيط بهم الضوء[٤]، والهاء في (فيه) تعود على البرق، في قول الجمهور، وعلى الطريق المحذوف في قول المبرد ، و(فيه) متعلق بـ (مشوا) وفي على بابها أي: أنه محيط بهم، وقيل: بمعنى الباء، ولابد من حذف على القولين: أي مشوا في ضوئه أو بضوئه» [٥]. ويقول أبو حيان: «ومشيهم فيه: اهتداؤهم ، فإذا تركوا ذلك وقعوا في ضلالهم، وقيل: إضاءته لهم: تركهم بلا ابتلاء، ومشيهم فيه : إقامتهم على المسألة بإظهار ما يظهرونه» [٦].

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٦٦.
(٢) التبيان ١/ ٣٧ .
(٣) تفسير أبي السعود ١/ ٦٦ ، وينظر النسفي ١/ ٢٧ والفتوحات الإلهية ١/ ٤١ وحاشية الصاوي ١/ ١٣.
(٤) التبيان ١/ ٣٧.
(٥) الفتوحات ١/ ٤١.
(٦) البحر ١/ ٩١.

د- (على كل) : متعلق بـ (قدير) في موضع نصب [١].

ويقول أبو حيان: «و(على كل شيء) متعلق بقوله (قدير) ، وفي لفظ (قدير) ما يشعر بتخصيص العموم إذ القدرة لا تتعلق بالمستحيلات»[٢].

٢٤) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١].

أ- (يا أيها الناس):

(أي) : اسم مبهم لوقوعه على كل شيء ، أتى به في النداء توصلا إلى نداء ما فيه الألف واللام، وإذ كانت (يا) لا تباشر (الناس) فلما حيل بينهما بأي عوض من ذلك ، (ها) والناس وصف لابد منه ، لأنه المنادي في المعنى ، ومن – ها هنا – رفع ، ورفعه على أن يجعل بدلا من ضمة البناء، وأجاز المازني [ت. ٢٤٧هـ] نصبه، كما يجيز، يا زيد الظريف، وهو ضعيف، لما قدمنا من لزوم ذكره والصفة لا يلزم ذكرها [٣]. ويقول أبو السعود: «(أي) اسم مبهم جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام على أنه المنادى أصالة بل على أنه صفة موضحة له مزيلة لإبهامه والتزام رفعه مع انتصاب موصوفة محلا ؛إشعارا بأنه المقصود بالنداء» [٤].

ب- (من قبلكم) «(من) هنا، لابتداء الغاية في الزمان، والتقدير: والذي خلقهم من قبل خلقكم، فحذف الخلق وأقام الضمير مقامه» [٥].

واستشكل بعضهم وقوع (من قبلكم) صلة من حيث إن كل ما جاز أن يخبر به جاز أن يقع صلة ، ومن قبلكم ناقص ليس في الإخبار به عن الأعيان فائدة إلا بتأويل فكذلك الصلة، قال وتأويله: أن ظرف الزمان إذا وصف صح الإخبار عنه

---

(١) التبيان ١/ ٣٧ .

(٢) البحر ١/ ٩٢ ، ويراجع اللباب ١/ ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٣) التبيان ١/ ٣٨ ، وينظر البحر ١/ ٩٤، وتفسير النسفي ١/ ٢٨.

(٤) تفسير أبي السعود ١/ ٧٠، ٧١.

(٥) التبيان ١/ ٣٨.

والوصل به، تقول: نحن في يوم طيب، فيكون التقدير هنا -والله أعلم: والذين كانوا من زمان قبل زمانكم[١].

ج- (لعلكم)

متعلق في المعنى بـ (اعبدوا) أي: اعبدوه وليصح منكم رجاء التقوى، ويقول الجمل [ت١٢٠٦هـ]: «(لعل) في الأصل للترجي وفي كلامه تعالى للتحقيق أي لتحقيقه الوقوع، لأن الكريم لا يطمع إلا فيما يفعله»[٢].

٢٥) ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

أ- (الذي)

في موضع نصب بـ (تتقون) أو بدل من (ربكم) أو: صفة مكررة، أو: بإضمار أعنى ويجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار: هو الذي[٣]، ويقول أبو السعود: «هو في محل النصب على أنه صفة ثانية لـ (ربكم) موضحة أو مادحة، أو على تقدير: أخص، أو أمدح، أو في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير: المبتدأ»[٤].

ب- **(جعل لكم الأرض فراشا)**: قرر العلماء في (جعل) وجهين[٥]:

١- أن تكون بمعنى (صير) فتتعدى لمفعولين فيكون (الأرض) مفعولا أولاً، وفراشًا مفعولاً ثانيًا.

٢- أن يكون بمعنى خلق، فيتعدى لواحد وهو الأرض، ويكون فراشًا حالاً،

---

(١) اللباب ١/ ٤١٠ .
(٢) التبيان ١/ ٣٨ والفتوحات الإلهية ١/ ٤٣.
(٣) التبيان ١/ ٣٨ .
(٤) تفسير أبي السعود ١/ ٧٤ .
(٥) ينظر التبيان ١/ ٣٨ ، ٣٩ والبحر ١/ ٩٧ واللباب ١/ ٤١٦ ، والفتوحات ١/ ٤٤، وحاشية الصاوي١/ ١٤.

و(السماء بناء) عطف على (الأرض فراشا) على التقديرين المتقدمين و(لكم) متعلق بالجعل أي : لأجلكم. وسر تقديم (لكم) تعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين والتشويق إليه [(١)].

ج- (من السماء)

«متعلق بـ (أنزل) وهي لابتداء غاية المكان ويجوز أن يكون حالا، والتقدير: ماء كائنا من السماء، فلما قدم الجار صار حالا وتعلق بمحذوف» [(٢)].

«وأما تقديم الظرف على الوجه الأول مع أن حقه التأخير عن المفعول الصريح (لكم) فإما لأن السماء أصله ومبدؤه، وإما لما مر من التشويق إليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى (فأخرج به) أي بسبب الماء»[(٣)].

د- (من الثمرات)

«متعلق بـ (أخرج) فيكون (من) الابتداء الغاية، ويجوز أن يكون في موضع الحال، وتقديره رزقا كائنا من الثمرات» [(٤)] . ويقول أبو حيان: «يحتمل أن يكون في موضع المفعول به بإخراج ، ويكون على هذا رزقا منصوبا على الحال إن أريد به المرزوق كالطحن والرعي، أو مفعولا من أجله إن أريد به المصدر، وشروط المفعول فيه موجودة ، ويحتمل أن يكون متعلقا (بإخراج) ويكون رزقا مفعولا بإخراج» [(٥)].

هـ- (لكم)

إن أريد بالرزق المصدر كانت الكاف مفعولا به واللام منوية لتعدى المصدر

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٧٤

(٢) التبيان ١/ ٣٩ .

(٣) تفسير أبي السعود ١/ ٧٥ ، وينظر البحر ١/ ٩٨ .

(٤) التبيان ١/ ٣٩ .

(٥) البحر المحيط ١/ ٩٩.

إليه ، نحو: ضربت ابنى تأديبا له، أي: تأديبه، وإن أريد بـه المـرزوق كـان في موضـع الصفة فتتعلق اللام بمحذوف ، أي: كائنـا لكـم، ويحتمـل أن تكـون (لكـم) متعلقـا بإخراج (أي) فأخرج لكم به من الثمرات رزقا [١].

و- (فلا تجعلوا)

أي لا تـصيروا ، أو لا تـسموا، فيكـون متعـديًّا إلى مفعـولين، ويقـول أبـو حيـان: «هذا النهي متعلق بالأمر في قوله (اعبدوا ربكم) ... ، وعلى هذا لا تكون (لا) ناهية بـل نافيـه، و(تجعلـوا) منـصوب عـلى جـواب الترجـي، وهـو لا يجـوز عـلى مـذهب البصـريين، وجوزه الكوفيون أجروا (لعل) مجرى: هل : فكما أن الاستفهام ينـصب الفعل في جوابه، فكذلك الترجي ... والظاهر في هذا القول هو مـا قـدمناه أولا مـن تعلقه بقوله (اعبدوا ربكم)» [٢]. «الفاء للتسبب أي تسبب عـن إيجاد هـذه الآيـات الباهرة النهي عن اتخاذكم الأنداد، و(لا) ناهية و(تجعلوا) مجزوم بها، وعلامة جزمـه حذف النون، وهي هذا بمعنى: تصيروا، وأجاز أبو البقاء أن تكون بمعنـى تـسموا، وعـلى القـولين فتتعـدى لأثنـين أولهـما: أنـدادا وثـانيهما: الجـار والمجـرور قبلـه، وهـو واجب التقديم» [٣]. «لأن المفعـول الأول في الأصـل نكـرة ولم يوجـد لـه مـسوغ إلا تقديم الجار والمجرور» [٤].

ز- (وأنتم تعلمون)

«مبتدأ وخبر في موضع الحال، ومفعول: (تعلمون) محذوف أي: تعلمون بطـلان ذلك» [٥]، والجملة حالية وفيها من التحريك إلى ترك الأنـداد وإفـراد الله بالوحدانيـة

---

(١) البحر المحيط ١/ ٩٩ ، وينظر التبيان ١/ ٣٩.
(٢) البحر المحيط ١/ ٩٩، ١٠٠ والنهر الماد١/ ٩٩.
(٣) الفتوحات الإلهية ١/ ٤٤.
(٤) حاشية الصاوي ١/ ١٤، ١٥.
(٥) التبيان ١/ ٣٩ .

ما لا يخفى، أي أنتم من ذوى العلم والتميز بين الحقائق والإدراك للطائف الأشياء، ولاستخراج غوامض الدلائل في الرتبة التي لا تليق لمن تخلى بها أن يجعل لله ندا، وهو خلقه، إذ ذاك فعل من كان أجهل العالم وأبعدهم عن الفطنة وأكثرهم تجويزا للمستحيلات ومفعول تعلمون متروك، لأن المقصود إثبات أنهم من أهل العلم والمعرفة والتمييز»[(١)]. أو «حال من ضمير (لا تجعلوا) بصرف التقييد إلى ما أفاده النهي من قبح المنهى عنه، ووجوب الاجتناب عنه، ومفعول (تعلمون) مطروح بالكلية كأن قيل: (لا تجعلوا ذلك قبيح واجب الاجتناب عنه)، والحال أنكم من أهل المعرفة بدقائق الأمور وإصابة الآي، أو مقدر: حسبما يقتضيه المقام، ونحو: وأنتم تعلمون بطلان ذلك، أو تعلمون أنه لا يماثله شيء ... والذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المنهى عنه القدر المشترك المنتظم لإنشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة وللثبات عليه كما هو شأن المؤمنين حسبما مر الأمر»[(٢)].

٢٦) ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

أ- (إن كنتم)

جواب الشرط (فأتوا بسورة) و (إن كنتم صادقين) شرط أيضا جوابه محذوف أغنى عنه جواب الشرط الأول، أي: إن كنتم صادقين فافعلوا ذلك، ولا تدخل (إن) الشرطية على فعل ماضي في المعنى إلا على كان لكثرة استعمالها، وأنها لا تدل على حدث[(٣)]. وادعى بعض المفسرين أن (إن) هنا بمعنى إذا، لأن إذا تفيد معنى ما أضيفت إليه، ومذهب المحققين أنها لا تكون بمعنى إذا، وزعم المبرد ومن وافقه

---

(١) البحر ١/ ١٠٠.
(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٧٦، ٧٧ وينظر الفتوحات ١/ ٤٤.
(٣) التبيان ١/ ٣٩

أن لـ (كان) الماضية الناقصة معان حكما ليست لغيرها من الأفعال الماضية، فلقوة (كان) زعم أن (أن) لا يقلب معناها إلى الاستقبال بل يكون على معناه من المضي إن دخلت عليه إن . والصحيح: ما ذهب إليه الجمهور من أن (كان) كغيرها من الأفعال، وتأولوا ما ظاهره ما ذهب إليه المبرد، إما على إضمار: يكن بعد (أن) ، نحو : ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ﴾ [يوسف: ٢٦] أي: إن يكن كان قميصه، أو على أن المراد به: التبيين أي أن يتبين كون قميصه قد... قال بعض المفسرين في قوله: (وإن كنتم في ريب) جرى كلام الله على التحقيق ... ، فقيل: (إن كنتم) أي: وإن تكونوا في ريب باستصحاب الحالة الماضية التي سبقت لكم فأتوا [(١)] .

الاستشكال في الآية من ثلاثة وجوه:

١- أن (إن) تقلب الماضي إلى الاستقبال، ولو كان الفعل (كان) خلافا للمبرد القائل بأنها لا تقلبه إذا كان الفعل (كان) واحتج بهذه الآية أن (الريب) مستقبل وليس حاصلا الآن مع أنه حاصل أجيب عنه الاستقبال بالنسبة للدوام والمعنى: إن دمتم على الريب.

٢- أن (أن) للشك فيفيد أن ريبهم مشكوك فيه، مع أنه محقق ، أجيب عنه بأنه أتى بـ (إن) إشارة للائق، أي اللائق والمناسب أن لا يكون عندكم ريب.

٣- قوله (وإن كنتم في ريب) أي شك، من عند الله، أو من عند محمد ﷺ فليس عندهم جزم بأنه من عند محمد ﷺ وقوله (إن كنتم صادقين) يشعر بأنهم جازمون بأنه من عند محمد ﷺ وجوابه أن حالهم التي هم عليها في نفس الأمر شك، والتي يظهرونها، ويعبرون عنها أنه من عند محمد إغاظة له، فأول الآية ناظر للواقع وآخرها لما يظهرونه [(٢)] .

---

(١) البحر ١/ ١٠٢، ١٠٣.

(٢) حاشية الصاوى ١/ ١٥ وينظر الفتوحات ١/ ٤٥.

ب- (مما أنزلناه)

في موضوع جر صفة لـ (ريب) أي : ريب كائن مما نزلناه، والعائد على (ما) محذوف، أي : نزلناه، و(ما) بمعنى: الذي أو: نكرة موصوفة ويجوز أن يتعلق (من) بـ (ريب) أي: إن ارتبتم من أجل ما نزلناه[١]. ويقول أبو حيان: «(من) تحتمل ابتداء الغاية والسببية ولا يجوز أن تكون للتبغيض و(ما) موصولة، أي من الذي نزلناه، والعائد محذوف، أي: نزلناه وشرط حذفه موجود، وأجاز بعضهم أن تكون (ما) نكرة موصوفة وقد سبق لنا الكلام على (ما) النكرة الموصوفة ، و(نزلنا) التضعيف فيه هنا للنقل، وهو المرادف لهمزة النقل، ويدل على مرادفتها في هذه الآية قراءة يزيد بن قطب (مما أنزلنا) بالهمزة وليس التضعيف هنا دلالة على نزوله منجما في أوقات مختلفة» [٢]. ويقول الصاوي [ت١٢٤١هـ]: «(من) حرف جر، و(ما) اسم موصول أو نكرة موصوفة والعائد محذوف والجملة صلة أو صفة، والجار والمجرور صفة لـ (ريب) والتقدير، في ريب كائن من الذي أنزلناه أو: في ريب كائن من كلام أنزلناه»[٣].

ج- (من مثله): في الهاء وجوه[٤]:

١- تعود على النبي ﷺ ، فيكون (من) للابتداء.

٢- تعود على القرآن الكريم، فتكون (من) زائدة.

٣- تعود على الأنداد بلفظ مفرد كقوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ [النحل:٦٦] وعلى القولين الأولين (من) للتبعيض المختار، يقول أبو السعود: «(من مثله) بيانه متعلق بمحذوف وقع صفة لسورة، والضمير لما نزّلنا

---

(١) التبيان ١/ ٤٠.

(٢) البحر ١/ ١٠٢.

(٣) حاشية الصاوي١/ ١٥.

(٤) ينظر: التبيان ١/ ٤٠، والجامع ١/ ٢٧٧ و٢٧٨ واللباب ١/ ٤٣٥.

أي: بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الإعجاز، وجعلها تبعيضية يوهم أن له مثلا محققا، قد أريد تعجيزهم عن الإتيان يبعضه، كأن قيل: فأتوا ببعض ما هو مثل له، فلا يفهم منه كون المماثلة مع تتمة المعجوز عنه، فضلا عن كونها مدار للعجز [١]، ويقول أبو حيان:«الهاء عائدة على (ما) أو على (عبدنا) والراجح الأول، وهو قول أكثر المفسرين» [٢]. ويقول الجمل: «الكلام في المنزل لا في المنزل عليه ... فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم، إذ المعني: وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأتوا بشيء مما يماثله، ولو كان الضمير للمنزل عليه لكان حقه أن يقال: وإن ارتبتم في أن محمداً منزل عليه فأتوا بقرآن مثله» [٣].

د- (من دون الله)

في موضع الحال من (الشهداء) والعامل فيه محذوف، وتقديره شهداؤكم منفردين عن الله أو عن أنصار الله[٤]، ويقول أبو حيان: «(من دون الله) متعلق بـ (ادعوا) أي: وادعوا من دون الله شهداءكم، أي: لا تستشهدوا بالله فتقولوا الله يشهد أن ما ندعيه حق، كما يقول العاجز عن إقامة البينة، ... والمعنى: ادعوا من اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على حق...أو يكون المعنى: (من دون الله) بين يدي الله» [٥].

٢٧) ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٧٨.

(٢) البحر ١/ ١٠٤.

(٣) الفتوحات ١/ ٤٦.

(٤) التبيان ١/ ٤٠.

(٥) البحر ١/ ١٠٦ وينظر: البيضاوي ١٨ ، وتفسير أبي السعود ١/ ٧٩ ، ١٨، والفتوحات ١/ ٤٧، وحاشية الصاوي ١/ ١٥.

أ- (**فإن لم تفعلوا**) الجزم بلم (بإن) ، لأن (لم) عامل شديد الاتصال بمعموله ولم يقع إلا مع الفعل المستقبل في اللفظ، وإن قد دخلت على الماضي في اللفظ وقد وليها الاسم، كقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٦][١]، ويعرض لها أبو السعود، فيقول: «أي ما أُمرتم به من الإتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود، وجاوزتم في الجد كل حد معهود، متشبثين بالذيول راكبين من كل صعب وذلول، وإنما لم يصرح به إيذانا بعدم الحاجة إليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك، وإنما أورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المأمور به مفعولا له للإيجاز البديع المغني عن التطويل»[٢].

ويقول الجمل: «إن الشرطية داخلة على جملة (لم تفعلوا) ، أو (تفعلوا) مجزوم بلم ، كما تدخل إن الشرطية على الفعل المنفي بـ (لا) نحو: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ [الأنفال: ٧٣] ، فيكون لم تفعلوا في محل جزم بها» [٣].

ب- (ولن تفعلوا)

كلمة (لن) لنفي المستقبل والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية ، مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لإيجاب العمل بتاليها ، وهي معجزة باهرة حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الأمر كذلك[٤].

ج- (أعدت)

جملة في موضع الحال من (النار) والعامل فيها (فاتقوا) . ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير في (وقودها) لثلاثة أشياء:

---

(١) التبيان ١/ ٤٠ .

(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٨١.

(٣) الفتوحات ١/ ٤٨ . وينظر : حاشية الصاوي ١/ ١٦ .

(٤) تفسير أبي السعود ١/ ٨٢ .

١- أنها مضاف إليها.

٢- أن الحطب لا يعمل في الحال.

٣- أنك تفصل بين المصدر، أو ما عمل عمله وبين ما يعمل فيه بالخبر وهو (النار) [١] ويقول أبو السعود: «الجملة استئناف لا محل لها من الإعراب، مقررة لمضمون ما قبلها مؤكدة إيجاب العمل به، ومبينة لمن أريد بالناس، دافعة لاحتمال العموم، وقيل: حال بإضمار: قد من (النار) لا من ضميرها في (وقودها) لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر، وقيل: صلة بعد صلة ، أو: عطف على الصلة بترك العاطف» [٢].

٢٨- ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] .

أ- (أن لهم جنات)

فتحت (أن) هنا لأن التقدير بأن لهم، وموضع (أن) وما عملت فيه نصب بـ (بشر) لأن حرف الجر إذ حذف وصل الفعل بنفسه، وهذا مذهب سيبويه، وأجاز الخليل أن يكون في موضع جر بالباء المحذوفة، لأنه موضع تزاد فيه، فكأنها ملفوظ بها، ولا يجوز ذلك مع غير (أن) ولو قلت: بشره بأنه مخلد في الجنة، جاز حذف الباء لطول الكلام ، ولو قلت بشره الخلود لم يجز، وهذا أصل يتكرر في القرآن كثيرا [٣]، ويقول أبو السعود: «منصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل إليه، أو مجرور بإضماره مثل: الله لأفعلن ... فحق المصدر حينئذ أن يكون مأخوذا من الفعل المبني

---

(١) التبيان ١/ ٤١.
(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٨٣ .
(٣) التبيان ١/ ٤١ .

للمفعول»[١]. ويقول بعضهم: «أن : أي (بإن) : أشار بذلك إلى حذف الجار ، وهو مطرد مع (أن) قال ابن مالك:

نقـــــلا وفي أنَّ وأنْ يطـــــــرد مع أمن لبس : كعجبت أن يدوا[٢]

ب-(تجرى من تحتها الأنهار)

الجملة في موضع نصب صفة لـ (جنات) و(الأنهار) مرفوعة بـ (تجرى) لا بالابتداء، و(من تحتها) الخبر، ولا تحتها ، لأن (تجرى) لا ضمير فيه، وإذا كانت الجنات لا تجرى، وإنما تجرى أنهارها، والتقدير: من تحت شجرها، لا من تحت أرضها، فحذف المضاف ، ولو قيل: إن الجنة هي الشجر فلا يكون في الكلام حذف لكان وجهًا[٣]. ويقول أبو السعود: «في حيز النصب على أنه صفة (جنات) فإن أريد بها الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر، وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فلابد من تقدير مضاف أي من تحت أشجارها، وإن أريد مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية بالنظر إلى الجزء الظاهر»[٤]. ويقول الجمل: «(تجرى) أي على ظهر الأرض من غير حفيرة بل هي متماسكة بقدرة الله»[٥].

ج- (كلما رزقوا منها ... من قبل)

في موضع نصب على الحال من (الذين آمنوا) تقديره: مرزوقين على الدوام ويجوز أن يكون حالا من الجنات لأنها قد وصفت، وفي الجملة ضمير يعود إليها،وهو قوله (منها)[٦]، ويقول أبو السعود : «صفة أخرى لجنات ، أخرت عن الأولى لأن :

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٨٤ .
(٢) ينظر الفتوحات ١/ ٤٩ ، وحاشية الصاوي ١/ ١٦ .
(٣) التبيان ١/ ٤٢.
(٤) تفسير أبي السعود ١/ ٨٤.
(٥) الفتوحات ١/ ٤٩، وحاشية الصاوي ١/ ١٦ .
(٦) التبيان ١/ ٤٢.

جريان الأنهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها ، وهذا وصف لها باعتبار أهلها المتنعمين بها، أو خبر مبتدأ محذوف ، أو جملة مستأنفة كأنه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ... و(كلما)نصب على الظرفية ، و(رزقًا) مفعول به ، و(من) الأولى والثانية للابتداء وقعتا موضع الحال ، كأنه قيل : كل وقت رزقوا مرزوقًا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمره ، على أن الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات ، وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمره ... فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل ، أي من قبل هذه الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته »[١]. ويقول أبو حيان : « قالوا : هو العامل في (كلما) و (هذا الذي) مبتدأ معمول للقول ، فالجملة في موضع مفعول، والمعنى : هذا مثل الذي رزقنا ، فهو من باب ما الخبر شبه به المبتدأ . وإنما احتيج إلى هذا الإضمار لأن الحاضر بين أيديهم في ذلك الوقت يستحيل أن يكون عين الذي تقدم »[٢].

د- (وأتوا به متشابهًا)

يجوز أن يكون حالا، و(قد) معه مرادة تقديره : قالوا ذلك وقد أتوا به . ويجوز أن يكون مستأنفا ، و(متشابها) حال من الهاء في (به)[٣]. ويقول أبو حيان : « (أتوا) مبنيا للمفعول، وحذف الفاعل للعلم به وهو الخدم والولدان ، يبين ذلك قراءة هارون الأعور[ت ١٧٠هـ]، والعتكي [ت٣٢٣هـ]: (وأتوا به) على الجمع ، وهو إضمار لدلالة المعنى عليه ... فدل ذلك على أن الولدان هم الذين يأتون بالفاكهة . والضمير في (به) عائد على الرزق ، أي وأتوا بالرزق الذي هو الثمار»[٤] . ويقول أبو السعود : « اعتراض مقرر لما قبله، والضمير المجرور على الأول راجع إلى ما دل

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٨٥ . ويراجع : الفتوحات الإلهية ١/ ٥٠ ، وحاشية الصاوي ١/ ١٧ .
(٢) البحر المحيط ١/ ١١٤ .
(٣) التبيان ١/ ٤٢ .
(٤) البحر المحيط ١/ ١١٥ .

عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين » [١].

هـ- (ولهم فيها أزواج .....)

« (أزواج) مبتدأ، و(لهم) الخبر، و(فيها) ظرف للاستقرار، ولا يكون (فيها) الخبر ؛ لأن الفائدة تقل ، إذ الفائدة في جعل الأزواج لهم . و(فيها) الثانية تتعلق بـ (خالدون) . وهاتان الجملتان مستأنفتان ، ويجوز أن تكون الثانية حالا من الهاء والميم في (لهم) والعامل فيها معنى الاستقرار . » [٢]. ويقول أبو حيان «الأَولى: أن تكون هذه الجملة مستأنفة ... والمعنى : جماعة أزواج مطهرة.» [٣] ، ويقول النسفى : «(أزواج) مبتدأ و (لهم) خبر، و(فيها) ظرف للاستقرار ، و (مطهرة) من مساوئ الأخلاق، لا طمحات ، ولا مرحات ... ولم تجمع هذه الصفة كالموصوف لأنهما لغتان فصيحتان، ولم يقل : طاهرة ، لأن : مطهرة : أبلغ لأنها تكون للتكثير ، وفيها إشعار بأن مطهِّراً طَهَّرَهن، وما ذلك إلا لله ﷻ» [٤].

ثانيًا: القراءات القرآنية:

القراءات التى تنوعت فيها المعانى تبعا لتنوع حركات الإعراب كثيرة ، لا يمكن الإحاطة بها فى مقامنا هذا ، ولكن نكتفى منها بما يقيم الحجة ويرسى الهدف . ومن ذلك ما جاء فى سورة الفاتحة والربع الأول من سورة البقرة.

١ - ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] .

أ- (الحمد لله) : سبق أن ذكرنا فيها عدة قراءات مخالفة لقراءة الجمهور بالرفع وكسر اللام من لفظ الجلالة ، وقراءة الجمهور أقواها فى الدلالة ، ولذلك اختارها الزجاج ، فقال: «والاختيار الرفع ... الرفع أحسن وأبلغ فى الثناء على الله

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٨٦ .

(٢) التبيان ١/ ٤٢ .

(٣) البحر ١/ ١١٧.

(٤) تفسير النسفى ١/ ٣٥ وينظر ابن كثير ١/ ٦٣.

ﷻ»[١] .وفرق النحاس بينها وبين قراءة النصب، فقال: «الرفع أجود من جهة اللفظ والمعنى ، فأما اللفظ : فلأنه اسم معرفة خبرت عنه ، وأما المعنى : فإنك إذا رفعت أخبرت أن حمدك وحمد غيرك لله ﷻ وإذا نصبت لم يعد حمد نفسك»[٢] . وقال العكبرى [ت٦١٦] : «والرفع أجود لأن فيه عموما فى المعنى»[٣] . وقال أبو حيان : «قراءة الرفع أمكن فى المعنى ، ولهذا أجمع عليها السبعة ، لأنها تدل على ثبوت الحمد واستقراره لله – تعالى – فيكون قد أخبر بأن الحمد مستقر لله – تعالى – أى حمده وحمد غيره ، ومعنى اللام فى (لله) الاستحقاق»[٤] .

ويقول ابن عادل : «وقراءة الرفع أمكن وأبلغ من قراءة النصب ، لأن الرفع فى باب المصادر التى أصلها النيابة عن أفعالها يدل على الثبوت والاستقرار بخلاف النصب فإنه يدل على التجدد والحدوث» [٥] .

وأما قراءة رفعهما وكسرهما ، فلا تخلو من تعليلات إما صوتية كالإتباع ، أو المماثلة الصوتية فى الحركات. وإما استعماليه ككثرة الاستعمال والدوران على الألسنة ، والاقتصاد فى الجهد العضلى وإن كان على حساب دلالة الإعراب [٦] .

ب- **(رب العالمين)** قرئ (رب) بالجر[٧] والرفع[٨] والنصب[٩] .

وأقواها فى الدلالة الأولى : «على أنه صفه (لله) فإن إضافته حقيقية مفيدة

---

(١) إعراب القرآن ١/ ٤٥.
(٢) إعراب القرآن ١/ ١٦٩.
(٣) التبيان ١/ ٥.
(٤) البحر ١/ ١٨.
(٥) اللباب ١/ ١٧٢ وينظر : أصالة الإعراب ١٤٦ ، ومستويات التحليل ١٩٢.
(٦) ينظر فى ذلك : القاعدة اللغوية والقراءات المخالفة د. مجدى محمد حسين ٣٢/ الحضرى للطباعة.
(٧) الجمهور . اللباب ١/ ١٨٠.
(٨) التبيان ١/ ٥ وإن لم تعز.
(٩) زيد بن على . البحر ١/ ١٩.

للتعريف على كل حال ضرورة تعين إرادة الاستمرار»[١] . وتليها الثانية على تقدير : هو ، مبتدأ و (رب) خبره ، والجملة فى محل جر صفة للفظ الجلالة فمؤداها مؤدى الأولى أو على القطع وهو جائز للمدح[٢] . وأضعفها الثالثة إذ نصب بفعل محذوف تقديره : نحمد ، يقول أبو السعود : «ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة إعمال المصدر المحلى باللام ، وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر»[٣]. ويقول أبو حيان : «ضعيف لأنه مدعاة لتوهم ، وهو من خصائص العطف ولا ينقاس فيه»[٤]. وكذلك إذا نصب على النداء الذى يجيزه الزجاج فى قوله : «وقد يجوز أن تنصب (رب العالمين) و(مالك يوم الدين) على النداء فى الكلام ، كما تقول : الحمد لله يا رب العالمين ويا مالك يوم الدين ، كأنك بعد أن قلت لك الحمد يا رب العالمين ويا مالك يوم الدين»[٥]. لكن يضعفه أبو الحسن بن كيسان [ت٢٩٩هـ] ، فيقول : «يبعد النصب على النداء المضاف لأنه يصير كلامين»[٦] .أما إذا نصب على المدح فجائز ، يقول أبو حيان : «بالنصب على المدح وهى فصيحة»[٧].

٢- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣].

قرئ بالخفض[٨] والنصب[٩] والرفع [١٠].

---

(١) تفسير أبى السعود ١/ ١٤.
(٢) اللباب ١/ ١٨٠.
(٣) اللباب ١/ ١٨٠ .
(٤) البحر ١/ ١٩.
(٥) معانى القرآن وإعرابه ١/ ٤٧.
(٦) إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧١ وقال ابن عادل «وهذا أضعفها لأنه يؤدى إلى الفصل بين الصفة والموصوف». اللباب ١/ ١٨٠.
(٧) البحر ١/ ١٩.
(٨) قراءة الجمهور. البحر ١/ ١٩.
(٩) قراءة أبى العالية وابن السميفع وعيسى بن عمر. ينظر : السابق .
(١٠) قراءة أبى رزين العقيلى والربيع بن خيثم وأبى عمران الجونى. ينظر : السابق .

فالخفض على النعت ، وقيل فى الخفض أنه بدل أو عطف بيان ... والنصب والرفع للقطع [١] .

٣- ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] .

جاءت عدة قراءات فى (مالك) ، و(يوم) ، فقرأت : (مالك)[٢] ، و(مَلِك) على وزن فَعِل[٣] و(مَلْك) على وزن سَهْل[٤] و(يوم) بالخفض فى كل و(ملكى) بإشباع كسرة الكاف و(يوم) بالخفض[٥] و(مِلْك) على وزن عِجْل[٦] و(مِلك يوم) بنصب الكاف[٧] ورفعها[٨] و(ملَك) فعلا ماضيا[٩] و(يوم) بالنصب فى الثلاثة الأخيرة و(مالكَ) بنصب الكاف[١٠] و(مَلِكاً) بالنصب والتنوين[١١] و(مالكٌ) بالرفع والتنوين[١٢] و(يوم) منصوب فى القراءات الأخيرة ، و (مالكُ) بالرفع[١٣] ، و(يوم) بالخفض [الإضافة] . وهناك قراءات أخرى[١٤] . **وقد جاءت توجيهات العلماء لهذه**

(١) البحر ١/ ١٩.

(٢) قراءة عاصم والكسائى وخلف ويعقوب والعشرة إلا : طلحة والزبير وأُبَى وابن مسعود ومعاذ وابن عباس وقتادة والأعمش . البحر ١/ ٢٠.

(٣) قراءة باقى السبعة وزيد وأبى الدرداء وابن عمر والمسور. ينظر : السابق .

(٤) قراءة أبى هريرة وعاصم والجحدرى ورواها الجعفى وعبد الوارث عن أبى عمر وهى لغة بكر بن وائل. ينظر : السابق .

(٥) قراءة : أحمد بن صالح عن ورش عن نافع . البحر ١/ ٢٠.

(٦) قراءة أبى عثمان النهدى والشعبى وعطية ونسبها ابن عطية إلى أبى حياة. ينظر : السابق .

(٧) قراءة أنس بن مالك وأبو نوفل عمر بن مسلم بن أبى عدى وأبى حياة . ينظر : السابق .

(٨) قراءة سعد بن أبى وقاص وعائشة ومورق العجلى. ينظر : السابق .

(٩) قراءة أبى حياة وأبى حنيفة وجبير بن مطعم وأبى عاصم عبيد بن عمير الليثى وأبى المحشر عاصم بن ميمون الجحدرى ويحيى بن يعمر والحسن وعلى بن أبى طالب. ينظر : السابق .

(١٠) قراءة الأعمش وابن السميفع وعثمان بن أبى سليمان وعبد الملك قاضى الهند وعمر بن العزيز وأبى صالح السمان وأبى عبد الملك الشامى. ينظر : السابق .

(١١) رواها ابن أبى عاصم عن اليمان. ينظر : البحر ١/ ٢٠.

(١٢) قراءة عون العقيلى ، ورويت عن خلف بن هشام وأبى عبيد وأبى حاتم. ينظر : السابق .

(١٣) قراءة أبى هريرة وأبى حياة وعمر بن عبد العزيز بخلاف عنه ونسبت إلى أبى روح عون بن أبى شداد العقيلى. ينظر : السابق .

(١٤) ينظر البحر ١/ ٢٠.

القراءات ، فكانت على النحو التالى:

أ- قراءة : (مالك) وغيرها بالخفض و(يوم) بالخفض من باب الاتساع ، يقول ابن عادل: «وإضافة (مالك) و (ملك) إلى (يوم الدين) من باب الاتساع ، إذ متعلقهما غير اليوم ، والتقدير: مالك الأمر كله يوم الدين ، ونظير إضافة (مالك) إلى الظرف – هنا – نظير إضافة طباخ إلى ساعات ، فى قول الشاعر [الشماخ ت ٢٢هـ] : [من الرجز]

رُبّ ابن عم لسليمى مشمعل طباخ ساعات الكرى زاد

إلا أن المفعول فى البيت مذكور ، وهو : زاد الكسل ، وفى الآية غير مذكور للدلالة عليه»[١].

ويقول العكبرى : «وإضافته على هذا محضة ، وهو معرفة ، فيكون جره على الصفة أو البدل من (الله) ، ولا حذف فيه على هذا ، ويقرأ بالألف والجر ، وهو على هذا نكرة ، لأن اسم الفاعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال لا يتعرف بالإضافة ، فعلى هذا يكون جره على البدل لا على الصفة ؛ لأن المعرفة لا توصف بالنكرة ، وفى الكلام حذف مفعول ، تقديره: مالك أمر يوم الدين ، أو مالك يوم الدين الأمر ، وبالإضافة إلى يوم خرج عن الظرفية لأنه لا يصح فيه تقدير : فى ، لأنها تفصل بين المضاف والمضاف إليه»[٢].

ب- قراءة: (مالك) و (مالك) و(ملكا) وغيرها النصب: بإضمار أعنى ، أو حالا ، أو منادى[٣] ، أو فعلا ماضيا مبنيا ، ونصب (يوم) على المفعولية ، أو الظرفية [٤].

---

(١) اللباب ١/ ١٩٠.
(٢) التبيان للعكبرى ١/ ٦.
(٣) أصالة الإعراب ٤٣.
(٤) يراجع السابق.

ج – قراءة (ملكُ) بالرفع مع عدم التنوين أو به ، على إضمار (هو) ، أو : يكون خبرا (للرحمن الرحيم) على قراءة من رفع :(الرحمن) ، ونصب (يوم) على : المفعولية ، أو الظرفية [١] .

٤ – ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧].

قرئت (غير) بالجر [٢] ، والنصب[٣] .

وعن دلالة القراءتين ومعناهما ، ينقل أبو على الفارسى عن أبى بكر بن السراج [ت ٣١٦هـ] قوله : «الحجة فى الجر : إنهم قالوا ينخفض على ضربين : على البدل من : (الذين)، ويستقيم أن يكون صفة للنكرة ، تقول : مررت برجل غيرك ، وإنما وقع (غير) – ها هنا - صفة (للذين) لأن (الذين) – ها هنا – ليس بمقصود قصدهم ، فهو بمنزلة قولك : إنى لآمر بالرجل مثلك فأكرمه ، قال : وقالوا يجوز النصب على ضربين : على الحال والاستثناء، فأما الاستثناء فكأنك قلت: إلا المغضوب عليهم ، وأما الحال فكأنك قلت: صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوبا عليهم، ويجوز عندى النصب على: أعنى، وقد حكى عن الخليل نحو هذا، أنه أجازه على وجه الصفة والقطع من الأول كما يجئ المدح» [٤] .

٥ – ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ ﴾ [البقرة: ٧] .

فى (غشاوة) قراءتان: الرفع[٥] والنصب[٦] .

---

(١) السابق .

(٢) قراءة نافع وعاصم وأبى عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى وفى رواية عن ابن كثير. ينظر: الحجة فى علل القراءات السبع ، لأبى على الفارسى ١/ ١٠٥ تح / على النجدى وآخرين / دار الكتب والوثائق القومية / ط٢ ٢٠٠٠م.

(٣) روى عن ابن كثير وابن محيصن. ينظر : الحجة ١/ ١٠٥ ، والاتحاف ١/ ٣٦٨.

(٤) الحجة لأبى على الفارسى ١/ ١٠٦.

(٥) قراءة الجمهور. إعراب القراءات السبع لابن خالوية ١/ ١٦.

(٦) قراءة عاصم فى رواية المفضل. السابق.

يقول أبو على الفارسى: «حجة من رفع أنه رأى الغشاوة لم تحمل على ختم ألا ترى أنه قد جاء فى الأخرى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣] فكما لم تحمل فى هذه على (ختم) كذلك لا تحمل فى هذه التى فى مسألتنا ، فإذا لم يحملها على (ختم) قطعها عنه ، وإذا قطعها عن (ختم) كانت مرفوعة إما بالظرف وإما بالابتداء ، وأما إذا نصب فلا يخلو نصبها من أن يحملها على (ختم) هذا الظاهر ، أو على فعل آخر غيره » ثم يقول : «فإذا كان النصب تعترض فيه هذه الأشياء فلا نظر فى أن الرفع أحسن والقراءة به أولى وتكون الواو عاطفة جملة على جملة»[(١)]. ويكشف أبو حيان المعنى فى الجملة الإسمية والجملة الفعلية ، قائلا: «وكانت هذه الجملة ابتدائية ليشمل الكلام الإسنادين ، إسناد الجملة الفعلية ، وإسناد الجملة الاسمية ، فيكون ذلك آكد ؛ لأن الفعلية تدل على التجدد والحدوث ، والاسمية تدل على الثبوت ، وكان تقديم الفعلية أولى لأن فيها أن ذلك قد وقع وفرغ منه ، وتقديم المجرور الذى هو (على أبصارهم) ، مصحح لجواز الابتداء بالنكرة مع أن فيه مطابقة بالجملة قبله ، لأنه تقدم فيها الجزء المحكوم به ، وهذا كذلك الجملتان تؤول دلالتهما على معنى واحد ، وهو منعهم من الإيمان»[(٢)].

ويقول أبو السعود: «وإيثار الاسمية للإيذان بدوام مضمونها ، فإن ما يدرك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة فى الآفاق والأنفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم من ذلك – أيضا – كذلك ، وأما الآيات التى تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها إليها حينا فحينا أوثر فى – بيان الختم عليها وعلى ما هى أحد طريقى معرفته، أعنى القلب – الجملة الفعلية»[(٣)].

٦- ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٨] .

---

(١) الحجة ١/ ٢٣١ ، ٢٣٣ ويراجع اللباب ١/ ٣٢٢.
(٢) البحر ١/ ٤٩.
(٣) تفسير أبى السعود ١/ ٤٦.

فى (صم بكم عمى) قراءتان: الرفع[(١)] والنصب[(٢)] .

وفى معنى الرفع يقول أبو حيان: « وهو على إضمار مبتدأ تقديره: هم صم ، وهى أخبار متباينة فى اللفظ والدلالة الوضعية لكنها فى موضع خبر واحد ، يؤول معناها كلها إلى عدم قبولهم الحق ، وهم سمعاء الآذان ، فصح الألسن ، بصراء الأعين ، لكنهم لم يصيخوا إلى الحق ، ولا نطقت به ألسنتهم ولا تلمحوا أنوار الهداية»[(٣)] .

وفى معنى النصب يقول أبو السعود: «وقرئ (صما بكما عميا) ، إما على الذم كما فى قوله: ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [المسد: ٤] والمخصوص بالذم هم: المنافقون أو المستوقدون، وإما على الحالية من الضمير المنصوب فى تركهم ، أو المرفوع فى (لا يبصرون) ، وإما على المفعولية (تركهم) فالضميران للمستوقدين»[(٤)] .

وقراءة الرفع أقوى دلالة لأنها إخبار بالجزء عن الكل ، فهى من باب المجاز المرسل فهم بتعطيلهم هذه الأعضاء قد خرجوا من عالم الأحياء: «وإذا كانت الآذان والألسنة والعيون لتلقى الأصداء والأضواء ، والانتفاع بالهدى والنور ، فهم قد عطلوا آذانهم فهم (صم) وعطلوا ألسنتهم فهم: (بكم) وعطلوا عيونهم ، فهم: (عمى) .... فلا رجعة لهم إلى الحق ، ولا أوبة لهم إلى الهدى، ولا هداية لهم إلى النور»[(٥)] .

وهناك من المرشحات ما يقوى هذه الدلالة ، وهو ذكر: المقدر فى قوله: (فهم) ، والتعبير بالجملة الإسمية الدالة على الثبوت ، والرفع وهو عمدة.

---

(١) قراءة الجمهور ، التبيان ١/ ٣٤ ، والبحر ١/ ٨١ واللباب ١/ ٣٨٢.

(٢) قراءة عبد الله بن مسعود وحفصة أم المؤمنين – رضى الله عنهما – المحرر الوجيز ١/ ١٠١ والجامع ١/ ٢٦٠ والبحر المحيط ١/ ٨٢.

(٣) البحر ١/ ٨٢.

(٤) تفسير أبى السعود ١/ ٦٣ وينظر اللباب ١/ ٣٨٢ ، ٣٨٣.

(٥) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ١/ ٤٦ / ط١٣ / دار الشروق/ ١٩٨٧م – ١٤٠٧هـ.

ثالثا: الحديث النبوى الشريف:

كما رأينا أثر الإعراب فى توجيه المعنى فى القرآن الكريم والقراءات القرآنية نراه جليا فى حديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة ﷺ الذين رووا عن رسول الله ﷺ فلا يرمون باللحن . من أجل ذلك ألف أبو البقاء العكبري [ت ٦١٦هـ] كتابا قال فى مقدمته: « فإن جماعة من طلبة الحديث التمسوا منى أن أملى مختصراً فى إعراب ما يشكل من الألفاظ الواقعة فى الأحاديث ، وأن بعض الرواة قد يخطئ فيها ، والنبى ﷺ وأصحابه بريؤون من اللحن ، فأجبتهم إلى ذلك»[1] . ويقول محقق الكتاب: «ولم يقتصر الدفاع عن السنة على جهود الفقهاء والمحدثين بل راح النحويون يدلون بدلوهم فى هذا المجال مبينين أن السنة يحتج بها كما يحتج بالقرآن ، وأن النبى ﷺ وأصحابه بريئون من اللحن ، وما قد يكون فى بعض الروايات من أخطاء فهى من خطأ الرواة .... وإذا كان ابن مالك فى القرن السابع الهجرى فد ألف كتابه المسمى: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، الذى يحتوى على: مائتين وسبعة وأربعين حديثاً فى واحد وسبعين بحثاً، فإن أبا البقاء العكبرى قد سبقه فى القرن السادس الهجرى إلى تأليف كتابه: إتحاف الحثيث فى إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث ، وصولاً إلى: تبرئة النبى ﷺ وأصحابه من اللحن ، وكأنما أراد أبو البقاء العكبرى أن يجمع بين الحسنيين عندما تصدى لهذا العمل الحديثى العظيم بعد تصديه لإعراب القرآن الكريم معتمداً على: جامع المسانيد بألخص الأسانيد لابن الجوزى متناولاً أربعمائة وثلاثة عشر نصًّا حديثيًّا من مسانيد مائة واثنى عشر صحابياً وعشر صحابيات بالإعراب والتصحيح ، ليقف إلى جانب عمله الباقى: (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع

---

(١) إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث للعكبرى ٨٩ تح. محمد إبراهيم سليم / مكتبة ابن سينا/ الرياض/ السعودية ، وإعراب الحديث النبوى للعكبرى ٢٩/ تح. عبد الإله نبهان/ ط٢/ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق/ ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

القرآن) ، فخدم بذلك الأصلين معاً: الكتاب والسنة ... وإذا كان الإعراب هو ثمرة النحو ، أو هو النحو تطبيقاً فإن هذا الكتاب: (إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث) ، خير تطبيق ، وكيف لا والمشكلة تتطلب حلا ، والحل يتطلب ذكاء وفهما واستثماراً لقواعد النحو ، ومهارة فى توجيه ما أشكل ، وذلك من أهم المبادئ التربوية الحديثة والأسس التعليمية الراسخة التى تقوم على إثارة الانتباه ، وشحذ كل القوى الفكرية والذهنية إلى جانب إثارة العاطفة الدينية لتقوم بدورها فى تبرئة السنة النبوية من اللحن ، وربما كان هذا الكتاب الجامع لأكبر عدد من النصوص الحديثية أول كتاب يتصدى للناحية الإعرابية فى مشكلات روايات الأحاديث النبوية، ويجمع بين ما أشكل إعرابه من الآيات والأحاديث مبيناً ما فى تلك الآيات من وجوه الإعراب»[١] .

والشواهد فى ذلك كثيرة ، نختار منها:

١- حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا شعبة قال: أخبرنى أبو عمران قال: سمعت طلحة عن عائشة [ت ٥٧هـ] قالت: قلت: يا رسول الله إن لى جارين فإلى أيهما أهدى قال : « إلى أقربهما منك بابا » [٢].

ويذكر العكبرى الوجوه الإعرابية الممكنة فى لفظ (أقربهما) ويوجهها قائلاً: « بالجر على تقدير: إلى أقربهما ، ليكون الجواب كالسؤال ، أو يجوز: الرفع على تقدير: أقربهما ، والنصب على تقدير: صلى أقربهما ، وبابا: تمييز»[٣] .

٢- حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا حماد بن سلمة بن سهيل بن أبى

---

(١) إتحاف الحثيث مقدمة المحقق ٧.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ٢٢/ ٢٣٢/ حديث رقم ٦٠٢٠/ مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد ومصطفى محمد الهوارى والسيد محمد عبد المعطى / مكتبة الكليات الأزهرية / ١٣٩٨ – ١٩٧٨م.

(٣) إتحاف الحثيث ٢١٥ وإعراب الحديث النبوى ٤٦٨.

صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وحدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة [٥٧هـ] أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم**» قال أبو إسحاق: لا أدرى (أهلكَهم) بالنصب، أو (أهلكُهم) بالرفع.

- ويوجه النووى [ت ٦٧٦هـ] الروايتين، قائلاً: روى (أهلكهم) على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر، ويؤيده أنه جاء فى رواية رويناها فى حلية الأولياء فى ترجمة سفيان الثورى فهو من أهلكهم، قال الحميدى فى الجمع بين الصحيحين: الرفع أشهر ومعناها أشدهم هلاكاً، وأما رواية الفتح فمعناها: هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا فى الحقيقة(١).

٣- حدثنى يحيى عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز أخبره: أن رسول الله ﷺ نادى أبى بن كعب وهو يصلى، فلما فرغ من صلاته لحقه، فوضع رسول الله ﷺ يده على يده، وهو يريد أن يخرج من باب المسجد، فقال: «**إنى لأرجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة، ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى القرآن مثلها**» قال أبى: فجعلت أبطئ فى المشى، رجاء ذلك، ثم قلت: يا رسول الله! السورة التى وعدتنى، قال: «**كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة ؟**» قال: فقرأت: (الحمد لله رب العالمين) حتى أتيت على آخرها، فقال: رسول الله ﷺ: «**هى هذه السورة، وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيت**»(٢).

ويعلق العكبرى على (السورة) بالنصب، فيقول: «الوجه النصب، أى: اذكر لى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ١٧٥ حديث رقم ٢٦٦٣، باب: النهى عن قول هلك الناس/ ط١/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/ ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م.

(٢) الموطأ للإمام مالك ١/ ٩٢/ باب ما جاء فى أم القرآن/ تخريج محمد فؤاد عبد الباقى/ ط٢/ دار الحديث/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

السورة أو علمنى، والرفع غير جائز، إذ لا معنى للابتداء ههنا بل يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى: هى»[١] .

ونرى فى تعليق العكبرى تقديراً غير صحيح قوله: (هى) ولذلك لم تذكر عبارة: «بل يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، أى: هى » فى إحدى النسخ[٢] .

٤- حدثنى عن مالك عن إسماعيل بن أبى حكيم: انه بلغه أن رسول الله ﷺ سمع امرأة من الليل تصلى ، فقال: من هذه؟ فقيل له: هذه الحولاء بنت تويت لا تنام الليل فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى عرفت الكراهية فى وجهه ثم قال: « **إن الله تبارك وتعالى لا يمل حتى تملوا ، اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة**»[٣] .

- استشهد بهذا الحديث مكى الصقلى [ت ٥٠١هـ] على أن كَلِفت هو الصواب فى مواجهة قول العامة: كُلِفت[٤] وينتصر لمكى بأمور:

أ- وصف ابن عباس رضي الله عنه عثمان رضي الله عنه بهذا الضبط، فقال: «كَلِفٌ بأقاربه»[٥] .

ب- المعاجم اللغوية: حيث جاء فيها: «ويقال كَلِفْتُ بهذا الأمر أى أولعت به»[٦] .«ويقال: كَلِفَ به: كفرح كلفا وكلفة فهو كلِفٌ: أوولع به ولهج وأحب ، ومنه الحديث: اكلفوا من العمل ما تطيقون ، وفى حديث آخر: عثمان كلف بأقاربه ، أى شديد الحب لهم ، والكَلَفُ: الولوع بالشيء مع شَغْل قلب ومشقة ، وفى المثل:

---

(١) إتحاف الحثيث ٢٧.

(٢) إعراب الحديث النبوى ٥٧ ، ٥٨.

(٣) الموطأ ١/ ١١٧ وجامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٧٩ بلفظ: «.... فاكلفوا من العمل ما تطيقون».

(٤) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ١٥١/ تح. د. عبد العزيز مطر / المجلس الأعلى للشيءون الإسلامية / القاهرة/ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٥) غريب الحديث للهروى ٣/ ٣٣١/ ط١ دار المعارف العثمانية/ الهند/ ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، والفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ٣/ ٢٧٥ ط٣ / دار الفكر/ ١٣٩٩- ١٩٧٩م والنهاية ٤/ ١٩٦.

(٦) تاج اللغة وصحاح العربية الجوهرى ٤/ ١٤٢٣ [كلف] تح. أحمد عبد الغفور عطار/ ط٣/ دار العلم للملايين / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤.

كَلِفْتُ إليك عَرَق القربة ، وفى مثل آخر: لا يكن حبك كَلَفا ولا بغضك تَلَفا»[١].

ج- العصر الحديث: ذكر أحد الباحثين الحديث فى التصويب اللغوى مرتين فقال: «مما أخطأ فيه العامة ما أورده ابن مكى فى باب ، ما غيروا حركاته من الأفعال – من أنهم يقولون: كُلِفْتَ بكذا ، والصواب: كلفت .... المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول (ثم ساق الحديث وكلام مكى) فابن مكى يذكر أن العامة تبنى الفعل كلف للمجهول على حين أنه فى الفصحى مبنى للمعلوم»[٢].

رابعا : الشعر:

الإعراب فى الشعر له دوره الذى يؤدى إلى اختلاف المعانى لاختلافه ، وقد قام أحد العلماء ، وهو على بن عدلان [ت ٦٦٦هـ] بإلقاء الضوء على هذا الدور الإعرابى فى كتاب خصصه لهذا أودع فيه ١٦٥ بيتاً ومما جاء فيه:

* **وقال حسان بن ثابت الأنصارى** [ت ٥٤هـ] . [الكامل]

٢-كَأَنَّ سلافَةً من بيتِ رأسٍ يكونُ مزاجها عَسَلٌ وماءُ

– يروى برفع: مزاجهاَ ، ورفع: عسل ، ويحتمل ثلاثة أوجه:

أن يضمر فى: يكون الشأن والقصة والسلافة وتجعل كأن زائدة.

– ويروى بنصب: مزاجها ورفع عسل ، على جعل اسم كأن نكره ، وخبرها معرفة وهو فى الشعر ضرورة.

– ويروى بنصب: عسل ، ورفع المزاج ، وهى رواية أبى عثمان المازنى [ت ٢٤٨ هـ] على جعل اسمها معرفة وخبرها نكرة ، على القاعدة المستقرة ، وماء: مرفوع

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى ١٢/ ٤٦٥ [كلف]/ تح. على شيرى / دار الفكر / ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

(٢) أثر الحديث النبوى فى التصويب اللغوى د. عبد الهادى أحمد محمد السلمون ١٠٥ ، ١٨١ / ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

بفعل دل عليه الكلام ، تقديره: وخالطها ماءٌ، أو : وفي ماءٌ [(١)].

* **وقال العباس بن مرداس السلمى** [ت نحو ١٨ هـ] . [الطويل]

٥٢- ومِـنْ قبـلَ آمَنـا وقَـدْ كـانَ قومُنـا يـصلونَ للأوثـانِ قبـلُ محمـداً

- محمد ﷺ مفعول: آمنا ، أى صدقنا ، وقبلَ: ظرف مبنى على الفتح ، وهى لغة ، حكاه ثعلب [ت ٢٩١هـ] وحكاه ابن الأنبارى [ت ٣٢٨هـ] فى كتاب الزاهر ، ويروى: قبلا ، نكرة ، وحذف التنوين للضرورة [(٢)].

* **وأنشد سيبويه – أيضا – للعجاج** [ت ٦٠ هـ] . [مشطور الرجز]

١٠١- ضَرْباً هَذَا ذَيْكَ وطَعْناً وَخضْا

ورواه أحمد بن فارس صاحب المجمل :

قَفَخاً علـى الهـامِ وبَجّـاَ وَخضْـا

الوخض: الذى يخالط الجوفَ ، ونصب ضربا على المصدر من فعله ، ثم حذفه وأقام المصدر مقامه ، وكذلك: طعنا ، وهذا ذيك: مثنى على غير نمط التثنية ، يراد به الجنس ، منصوب بفعل لازم الإضمار ، تقديره: هذا بعد هذا ، أى قطعا بعد قطع ، قال ابن السيرافى [ت ٣٨٥هـ] موضعه نصب على الحال ، تقديره: اضرب متتابعاً [(٣)].

* **قال الفرزدق** [ت ١١٠ هـ] . [الطويل]

١١٦- وعَـظُّ زمـانٍ يـابنَ مـروانَ لم يـدع مـن المـالِ إلا مُـسْحتاً أو مُجَلَّـفُ

---

(١) الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب ١٧/ تح د. حاتم صالح الضامن/ مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٢) الانتخاب ٣٥ ، ٣٦.

(٣) الانتخاب ٥٢ ، ٥٣.

- العظ: بالظاء المعجمة: الشدة فى الحرب ، والمسحَت: أى أسحته الله ، إذا استأصله، والمجلف: الذى أتى الدهر على ماله ، والمعنى ظاهر.

- ويروى بفتح دال يدع وكسرها ، فعلى الفتح فى رفع مجلف طريقان:

أحدهما: أنه محمول على المعنى ، لأن معنى لم يدع: لم يبق ، وهو قول أبى على.

الثانى: مجلف مبتدأ ، وخبره محذوف ، و أو: عاطفة جملة اسمية على جملة فعلية.

وعلى الكسر يرتفع مُسحت ومجلف ، ويجعل يدع من الإيداع ، أى لم يستقر فيه من المال إلا مسحت[1].

* **وقال أبو الطيب المتنبى** [ت ٣٥٤هـ]: [الطويل]

١٦٤- إذا الجودُ لم يُرْزَق خلاصاً من الأذَى
فلا الحمدُ مسكوباً ولا المالُ باقِيا

أى أن صاحب الجود إذا شاب جوده بأذى لم يكسب حمداً ، وكذلك المعطاة ، كأنه لا مال معه ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] ونصب مكسوباً على أنه خبر: لا ، لأنها بمعنى ليس ، وإنما دخلت هنا على المعرفة لتكراراها ولولا هو لم تدخل إلا على النكرة كبيت الكتاب: [مجزوء الكامل]

مَن صَدَّ عَن نيرانِها فَأَنا ابنُ قَيسٍ لا بَراحُ

أى: لا براح لى[2].

عاشرا : الإعراب بين القدماء والمحدثين

نتناول فى هذه النقطة قضية الإعراب ودلالته من حيث تجاذبها بين العلماء

(١) الانتخاب ٥٩.

(٢) السابق ٧٧ ، والبيت لسعد بن مالك ، شاعر جاهلى.

القدامى والمحدثين وجوداً وعدما ، إثباتاً ونفيا ، فمنهم من أثبت الإعراب مدللاً ومؤصلا ، ومنهم من أنكر محتجا ومستشهداً .

ومن خلال الأمثلة والشواهد التى ذكرناها فى النقطة السابقة يتضح أن هناك علاقةً قويةً بين حركات الإعراب ودلالتها وهذا ما أثبته وأرسى قواعده عبد القاهر الجرجانى حيث يقول : «ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها فى النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذى اقتضاه العقل». وقال : «لا نشك أن لا حال للفظة مع صاحبتها تُعتبر إذا أنت عزلت دلالتهما جانبا». وقال فى موطن آخر : «تعلق الكلم بعضها ببعض لا ترى شيئا من ذلك يعدو أن يكون حكما من أحكام النحو ومعنى من معانيه ، ثم إنا نرى هذه كلها موجودة فى كلام العرب ، ونرى العلم بها مشتركا بينهم»[1] . والنحويون قبل عبد القاهر اهتموا بهذه القضية لكن لم يفردوا لها أبوابا مثل ما صنعه هذا البلاغى القدير الذى جعل البلاغة فى كثير منها قائم على النحو والإعراب يقول سيبويه: «اختصت العرب لكل ضرب من هذه الضروب اسما على معنى الذى تعرفها به ... كما فعلوا ذلك بزيد والأسد»[2] . ويقول ابن يعيش [ت ٦٤٣هـ]: «الإعراب إنما يؤتى به للفرق بين المعانى ، فإذا كان وحده كان كصوت تصوت به ، فإن ركبته مع غيره تركيباً تحصل به الفائدة نحو قولك: زيد منطلق، وقام بكر فحينئذ يستحق الإعراب»[3] . وجاء العصر الحديث ليسلم لعبد القاهر الريادة فى ذلك ، يقول د. تمام حسان: «دراسة النظم وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق ، من أكبر الجهود التى بذلتها الثقافة العربية قيمة فى سبيل إيضاح المعنى الوظيفى فى السياق أو التركيب.» وقال فى موطن آخر: «حين قال البلاغيون: لكل مقام مقال ، ولكل كلمة مع صاحبتها

(١) دلائل الإعجاز ٤٠ ، ٤١ ، ٦.

(٢) الكتاب سيبويه ٢/ ٩٥.

(٣) المفصل ١/ ٤٩. بتصرف.

مقام ، وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى فى كل اللغات لا فى العربية الفصحى – فقط – وتصلحان للتطبيق فى إطار كل الثقافات على حد سواء»[١] . فالجملة المقبولة دلالياً لابد أن تتضمن علاقات تلاؤمية صحيحة، وهذه العلاقات الدلالية علاقات أفقية أى أنها تركيبية ولا يمكن أن تنشأ إلا بطريق التركيب النحوى[٢] .

ويقول الفارسى: «حركات الإعراب تدل على المعنى»[٣] . ويقول محمد أحمد عرفة: «العلامات الإعرابية إشارة إلى معان يقصد إليها فتجعل الحركات دوال عليها»[٤] . ويقول د. عبد الصبور: «وللتركيب النحوى دلالة أو دور فى الدلالة ، بحيث لو انتقض ترتيب الكلمات لانتقضت الدلالة»[٥] . وكل علاقة تركيبية تطابقها علاقة دلالية وليس العكس[٦] ويقول د. إميل: «هكذا نرى أن الإعراب ضرورى للتميز بين المعانى المختلفة»[٧] . ويقول تشومسكى: «الإعراب هو الملمح الأساسى فى الكشف عن المعانى النحوية»[٨] . ويقول د. إبراهيم بركات: «يتغير الإعراب بالتغير الدلالى المفهوم من كلمة واحدة ، أى يرتبط الإعراب بتحديد العلاقة الدلالية المفهومة من جملتين ترتبطان ببعضهما .... وللعلاقة الدلالية بين جملتين مرتبطين معنوياً أثر فى الإعراب الواجب أثره فى النطق كما يساير المعنى

(١) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ١٨ ، ٢٧٣/ ط٢/ الهيئة العامة للكتاب/ ١٩٧٩م وينظر: علم اللغة أسسه ومناهجه د. عبد الله ربيع ود. عبد الفتاح البركاوى ١١٥/ ط١/ مؤسسة الرسالة/ ١٤٠٢هـ.

(٢) نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية د. مصطفى حميدة ١٣١/ ط١/ ١ الشرق المصرية العالمية / لونج مان / القاهرة/ ١٩٩٧م.

(٣) الحجة للفارسى ٢/ ٦٨.

(٤) النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة. محمد أحمد عرفة ١١٤/ مطبعة السعادة / مصر.

(٥) العربية لغة العلوم والتقنية د. عبد الصبور شاهين ١٣٥/ ط٢/ دار الاعتصام / ١٤٠٦هـ ١٩٨٨م.

(٦) نظرية التبعية فى التحليل النحوى. د. سعيد البحيرى ١٠٣/ ط١/ الأنجلو المصرية / ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٧) فقه اللغة العربية وخصائصها د. إميل بديع يعقوب ١٤٠/ ط٢/ دار العلم للملايين/ ١٩٨٦م.

(٨) دلالة السياق٢٥٤.

المفهوم من علاقتها ببعضها»[١]. ويقول د. عبد الحليم النجار: «قامت جهود النحاة جميعاً على أساس من الربط بين ظاهرة الإعراب والدلالة ... العلامات الإعرابية قامت بدور وظيفى مزدوج»[٢]، ويقول د. البركاوى: «يكشف الإعراب عن المعنى النحوى بألفاظ العلامات الإعرابية»[٣]، فالعلامة الإعرابية يحددها الدلالة المفهومة وقد تناقل النحاة ذلك كله[٤]، ويقول د. مازن المبارك: «يدل الإعراب على معنى جديد غير معنى المادة اللغوية للكلمة»[٥]. فبالإعراب تميز المعانى ويوقف على أغراض المتكلمين[٦].

ويقول الزجاجى: «سائر المعانى جعلوا هذه الحركات الإعرابية دلائل عليها»[٧]. وللعرب فى ذلك ما ليس لغيرها فهم يفرقون بالحركات وغيرها من المعانى والإعراب لا يقوم بنفسه[٨] ويقول إبراهيم السامرائى: «احتفظت العربية الفصيحة بظاهرة الإعراب وهى من صفات العربية الموغلة فى القدم»[٩]. وهذا عبد القاهر البلاغى الكبير يتحدث عن الإعراب قائلاً: «الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذى يفتحها، والأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذى لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذى لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه»[١٠]. والإعراب هو

---

(١) العلاقة بين العلامة الإعرابية والمعنى فى كتاب سيبويه ١٠٣/ الخانجى/ مصر/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) النحو والدلالة: ٤٨٤.

(٣) دلالة السياق ٢٥٤.

(٤) المقتضب للمبرد ٢/ ٨٣/ تح. محمد عبد الخالق عضيمة / عالم الكتب / بيروت.

(٥) نحو وعى لغوى ٧٣/ ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٦) المرتجل لابن الخشاب ٣٤/ تح. على حيدر/ منشورات دار الحكمة / دمشق / ١٣٩٢ - ١٩٧٢م.

(٧) الإيضاح ٦٩.

(٨) العلامة الإعرابية فى الجملة بين القديم والحديث د. محمد حماسة عبد اللطيف ٢٠٩/ ط١/ مكتبة أم القرى/ الكويت/ ١٩٨٤م.

(٩) فقه اللغة المقارن ١١٨/ ط٣/ دار العلم للملايين/ ١٩٨٣م.

(١٠) دلائل الإعجاز ٢٣.

فرع من فروع النحو الذى قال عنه العلماء المحدثون إنه يهتم بضبط وتنظيم العلاقات المعنوية بين الكلمات فى الجملة[١] أو بين الجمل فى الفكرة الواحدة[٢] وقال آخر: النحو بنية مجردة ذات علاقات داخلية عضوية[٣] ونفهم من هذا أن الجملة سلسلة من المكونات[٤] تتفاعل فيما بينها كى تؤدى فى النهاية المعنى المنشود، وأساس هذا التفاعل التركيب النحوى[٥] ولولا التركيب النحوى ما نشأ المعنى الدلالى المفهوم من الجملة[٦].

فمن خلال التركيب النحوى نشأت العلاقتين الدلالية والنحوية، حيث حدث اقتران دلالى بطريق التجاور والتأليف[٧] فتغير أى كلمة من الكلمات التى تتكون منها الجملة يؤدى إلى تغير مضمون تلك الجملة أو ذلك التركيب الذى كون الجملة[٨] . فمن خلاف السياق اللغوى نستطيع أن نحدد معنى أى كلمة فى هذا السياق ويبرز ذلك العلامات الإعرابية. ومعانى السياق فى حقيقتها لغوية تأتى من معرفة الخصائص التى تضع المفرد أو التركيب فى مقابلات استبدالية سلبا أو إيجابا حتى تضعه موضعه الصحيح[٩] ومن أبرز النظريات الحديثة التى تتناول العلاقة بين الإعراب والدلالة: النظرية التوليدية التحويلية، ومن خلال ما عرضنا لأقوال

(١) التأنيث فى اللغة د. إبراهيم بركات ٢٥٧ / ط١/ دار الوفاء/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
(٢) العلاقة بين العلامة الإعرابية والمعنى٢.
(٣) الأصول. دراسة أبستيمولوجية للفكر اللغوى عند العرب د. تمام حسان ٦٥ / دار الشيءون الثقافية العامة / بغداد / ١٩٨٨م.
(٤) عناصر النظرية النحوية فى كتاب سيبويه د. سعيد البحيرى ٨/ ط١/ الأنجلو المصرية / ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
(٥) نظرية تشومسكى اللغوية. جون ليونز ١١٣، ١١٤/ ترجمة د. حلمى خليل / ط١/ دار المعرفة الجامعية/ الإسكندرية/ ١٩٨٨م.
(٦) نظام الارتباط ١٣١.
(٧) بناء الجملة العربية ٤٧.
(٨) دور الصرف فى منهجى النحو والمعجم د. محمد خليفة الدفاع ٥٣، ٥٤ / جامعة قاريونس/ ١٩٩١م.
(٩) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل ٢١/ عالم المعرفة العدد ١٦٤ / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

العلماء فى هذه القضية يتبين لنا هذه النظرية ، وتبنى علماء اللغة المعاصرون منحى النظم وصولا إلى تحقيق منحى تكاملى يدعوا إلى اعتبار اللغة نظاما مستقلا شأنه شأن الأنظمة الأخرى ، يقول د. تمام حسان : «فاللغة إذن منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة»[١] .

لذا يتعين على الباحث فى اللغة أن يحدد موقعه على خريطة النظام اللغوى ، ليتمكن من ضبط مادته وإحكام نتائجه ، ثم ليتعرف إلى تأثير ما يحدث فى هذا الموقع على تشكيل النظام اللغوى عامة وتحديد علاقاته[٢] والجملة الاسمية تتكون من مبتدأ وخبر : «لكل منهما وسائل تعريف وتخصيص ، ومن وسائل التخصيص : الوصف والإضافة والجار والمجرور والظرف وما يضاف إليه ومن هذه الوسائل ما يخصص أحدهما أو مضمون إسنادهما ومنها مالا يخصص إلا طرفا منها ، وربما يأتى المبتدأ والخبر دون تخصيص ، كما أن وسيلة التخصيص قد تكون جملة ، فتكون الجملة الاسمية صفة أو حالا»[٣] . ومنهج التحليل إلى المكونات المباشرة من أهم المناهج التى تناولت المبحث[٤].

– فالعلاقة بين مكونات أى جملة تنقسم إلى نوعين:

١ – العلاقات الأفقية syntagmatic وتتكون بين المورفيمات التى ترد معا فى جملة واحدة .

٢ – العلاقات الرأسية paradigmatic وتتكون بين المورفيمات التى يمكن أن يحل كل منها محل الآخر.

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤.

(٢) دور البنية الصرفية فى وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها د. لطيفة إبراهيم النجار ٢٠/ ط١/ دار البشير/ عمان/ ١٩٩٤ .

(٣) فى بناء الجملة الاسمية د. مصطفى إبراهيم على ٣/ ١٩٩٧م.

(٤) نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث ، د. نهاد الموسى ٢٩/ ط٢ / دار البشير / الأردن / ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

- والعلاقات الأفقية ضرورية لتركيب الجملة ، أما العلاقات الرأسية فتتحدد بها جداول المورفيمات التى تشغل المواقع المختلفة فى الجملة [(١)].

- والعلاقات الأفقية تتمثل فى ثلاثة محاور هى : الرتبة والمطابقة والإعراب [(٢)].

- ولقد امتزجت البلاغة بالنحو فى كتاب سيبويه وامتزجت به فى معانى القرآن للفراء ، بل إن نظرية عبد القاهر فى النظم تنبنى على فهمه للتركيب النحوى.

وتتلخص نظرية التفسير الدلالى عند سيبويه والجرجانى فيما يلي [(٣)]:

١- المعنى النحوى: يمد الجملة بالمعنى الأساسى فى علاقة الوظائف النحوية.

٢- العناصر النحوية: ووضعها الذى تقرره البنية الأساسية ، المجردة للقواعد فى أذهان المتكلمين.

٣- الصورة المنطوقة للجملة : وهى تتكون من الأصوات التى تشكل المفردات بصيغتها.

- فالتحويليون يقررون أن النحو ينبغى أن يربط بين البنية العميقة وبنية السطح فهى علاقة التأثر والتأثير [(٤)].

- النحو يمد الدلالة بالمعنى الأساسى فى الجملة ويساعد على تمييزه وتحديده.

- والعنصر الدلالى يمد النحوى ببعض الجوانب التى تساعده على تحديده وتمييزه فبين الجانبين أخذ وعطاء ، وتبادل تأثيرى مستمر [(٥)].

ويقول الدكتور على أبو المكارم : «السبب فى التصرف الإعرابى هو الإبانة عن المعنى مع التيسير على المتكلم ، وهو ما لا يعنى به غير الإعراب» [(٦)].

---

(١) نظام الجملة فى شعر المعلقات ، د. محمود نحلة ٣٠.

(٢) دور البنية الصرفية ١٤٣.

(٣) عناصر النظرية النحوية فى كتاب سيبويه ، د. سعيد بحيرى ١٧٥.

(٤) النحو العربى والدرس الحديث ١٤٧ ، ١٤٨.

(٥) النحو والدلالة ، محمد حماسة ١٣.

(٦) الظواهر اللغوية فى التراث النحوى . الظواهر التركيبية ٩٣ / ط ١ / القاهرة الحديثة للطباعة / ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م.

هذه طائفة من وجهات نظر جمهرة من القدماء والمحدثين فى الإعراب وارتباطه بالمعنى، لكنها لم تسلم من المعارضة والجدل فى القديم والحديث – أيضا – ويعرض د. إبراهيم السامرائى هذه المشكلة فى إيجاز فيقول : «وأول من أشار إلى هذه المشكلة من القدامى هو الخليل بن أحمد ، ذكر سيبويه أن الخليل قال : إن الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحروف ليوصل إلى التكلم به ، والبناء هو الساكن لا زيادة فيه ، ولعل الجدل فى دلالة هذه الحركات على المعانى الإعرابية وعدم دلالتها على ذلك ، دار بين تلاميذ سيبويه والكسائى فذهب جمهورهم مذهب الأول وذهب آخرون مذهب الثانى ، ويمثل رأى القائلين بأن الحركات دوال على معان الأشباه والنظائر[1] قوله : إن الأسماء لما كانت تعتورها المعانى جُعلت فاعلة ومفعولة ومضافة ولم يكن فى صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعانى جُعلت حركات الإعراب تبين عن هذه المعانى وتدل عليها ليتسع لهم فى اللغة ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة. ويمثل رأى الطائفة الأخرى قطرب أبو على محمد بن المستنير [ت٢٠٦هـ] وهو تلميذ سيبويه قال قطرب : إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم فى حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الإسكان فى الوقف والوصل ، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام ، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ومتحركين وساكن ولم يجعلوا بين ساكنين فى حشو الكلمة ولا فى حشو بيت ولا بين أربعة أحرف متحركة ؛ لأنهم فى اجتماع الساكنين يبطئون وفى كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة من كلامهم فجعلوا الحركة عقب الإسكان . وفى هذا الرأى توضيح وإبانة لرأى الخليل الذى أسلفنا ذكره .

وممن ذهب مذهب قطرب من المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس [ت ١٣٩٧ هـ]

---

(١) ينظر كلام الزجاجى فى كتابه الإيضاح فى علل النحو ٦٩.

ولكنه حلاله أن يلتزم بالرأى أن هذه الزوائد الإعرابية يلجأ إليها لأمور فنية ، وهو أن الموسيقى والانسجام يستدعيان هذه الزوائد الإعرابية ، معنى هذا أنه ليس للحركات الإعرابية من مدلول وأن الحركات لم تكن تحدد المعانى فى أذهان العرب الأقدمين ، وهى لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها فى كثير من الأحيان لوصل الكلمات ببعضها»[(١)] .

ولم يكن قطرت وحده فى القديم ، بل يضاف إليه ابن مضاء القرطبى [٥٩٢ هـ] ، ولم يكن الدكتور إبراهيم أنيس وحده فى الحديث ، بل يضاف قبله بعض المستشرقين ، والأستاذ إبراهيم مصطفى [ت ١٣٨٢ هـ] ، وبعده د. تمام حسان ، وشريف الشوباشى ، فقد بنى هؤلاء جميعا وغيرهم آراءهم على عديد من الأفكار والدعاوى ، وسنعرضها فى إيجاز ثم نقوم بمناقشتها مناقشة جادة يرتضينها البحث النزيه.

أولا : عرض الافتراءات والمزاعم:

الأول: زيادة الحركات:

التقط المعارضون للإعراب جملة عن الخليل ، ذكرها سيبويه. وهى : «وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به»[(٢)] ومعنى ذلك أن الحركات لا عمل لها ، واعتمد عليها قطرب وبعض المستشرقين ، كما سيأتى.

الثانى: اختلاف المعانى مع اتفاق الحركة الإعرابية والعكس:

أثاره قطرب ، فقال : «لم يعرب الكلام للدلالة على المعانى والفرق بين بعضها وبعض لأنا نجد فى كلامهم أسماء متفقة فى الإعراب مختلفة المعانى ، وأسماء مختلفة

---

(١) التطور اللغوى التاريخى د. إبراهيم السامرائى ٥٤ ، ٥٥ / ط ٣ / دار الأندلس / ١٩٨٣م.
(٢) الكتاب ٤/ ٢٤١ ، ٢٤٢.

الإعراب متفقة المعانى ، فما اتفق إعرابه واختلف معناه ، قولك : إن زيداً أخوك ، ولعل زيداً أخوك ، وكأن زيداً أخوك ، ومما اختلف إعرابه واتفق معناه ، قولك : ما زيد قائما ، وما زيد قائم ... »[١] ووافقه د. أنيس فى ذلك.

الثالث: حركات الإعراب مجرد وسيلة للتخلص من ثقل الكلام:

أثاره قطرب –أيضا– فقال : «إنما أعربت العرب كلامها ؛ لأن الاسم فى حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون – أيضا– لكان يلزمه الإسكان فى الوقف والوصل ، وكانوا يبطئون عند الإدراج ، فما وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ، ليعتدل الكلام ، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ومتحركين وساكن ولم يجمعوا بين ساكنين فى حشو الكلمة ولا فى حشو بيت ولا بين أربعة أحرف متحركة ، لأنهم فى اجتماع الساكنين يبطئون وفى كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة فى كلامهم فجعلوا الحركة الإسكان»[٢].

ووافقه أ. إبراهيم مصطفى ، فيقول: «جعلوا الإعراب حكما لفظيا خالصا يتبع لفظ العامل وأثره ، ولم يروا فى علاماته إشارة إلى معنى ولا أثر فى تصوير المفهوم أو إلقاء ظل على صورته »[٣]. واعتمد عليها الدكتور أنيس ، فقال : «يظهر – والله أعلم – أن تحريك أواخر الكلمات كان صفة من صفات الوصل فى الكلام شعراً أو نثراً فإذا أوقف المتكلم أو اختتم جملته لم يحتج إلى تلك الحركات ، بل يقف على آخر كلمة من قوله بما يسمى السكون، كما يظهر أن الأصل فى كل الكلمات أن تنتهى بهذا السكون ، وأن المتكلم لا يلجأ إلى تحريك الكلمات إلا لضرورة صوتية »[٤].

---

(١) الإيضاح ٧٠.

(٢) السابق ٧٠ ، ٧١.

(٣) إحياء النحو ٤١ .

(٤) من أسرار اللغة ٢٢٠ / ط ٧ / الأنجلو المصرية / ١٩٨٥م.

الرابع: إلغاء ما لا يلزم فى النحو:

قائد هذا الرأى ابن مضاء القرطبى [ت ٥٩٢ هـ] حيث نادى بإلغاء ما يلى:

أ- العامل: فقال: «ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظى، وأن منها ما يكون بعامل لفظى وعامل معنوى ... فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب، وذلك بين الفساد»[(١)].

ووافقه فى ذلك أ. إبراهيم مصطفى وقال بأن نظرية العامل خاطئة: «صار أكثر الخلاف بين النحويين، وأشد جدالهم هو فى العامل، ما هو ؟ ولو أنهم وضعوا نظريتهم على أصل صحيح لقل خلافهم وتقاربت آراؤهم، إن النحاة بعد ذلك كله لم يفوا بمذهبهم، أو لم تف نظريتهم بكل حاجاتهم فى الإعراب»[(٢)].

ب - المضمرات: فقال: «وهذه المضمرات التى لا يجوز إظهارها، لا تخلو من أن تكون معدومة فى النفس كما أن الألفاظ الدالة عليها معدومة فى اللفظ، فإن كانت لا وجود لها فى اللفظ موجودة معانيها في نفس القائل، أو تكون معدومة النفس ولا للألفاظ الدالة عليها وجود فى القول، فما الذى ينصب إذن ؟ وما الذى يضمر ؟ ونسبة العمل إلى معدوم على الإطلاق محال»[(٣)]. ويوافقه على هذا أ. إبراهيم مصطفى، فيقول: «ولكن التقدير الذى نعيبه هو نظير ما قدمنا لك من الأمثلة: كلمات تجتلب لتصحح الإعراب ولتكمل نظرية العامل، ويسمى النحاة هذا النوع من التقدير بالتقدير الصناعى، وهو ما يراد به تسوية صناعة الإعراب، وبهذا التقدير والتوسع فيه أضاع النحاة حكم النحو، ولم يجعلوا له كلمة حاسمة وقولا ثابتا، وكثروا من أوجه الكلام ومن احتماله لأنواع من الإعراب، يقدرون العامل رافعا فيرفعون ويقدرونه ناصبا فينصبون، لا يرون أنه يتبع ذلك اختلاف فى

---

(١) الرد على النحاة ٧٦، ٧٧/ تح.د/ شوقى ضيف / ط ٢ / دار المعارف.

(٢) إحياء النحو ٤٠.

(٣) الرد على النحاة ٨٠، ٨١.

المعنى ولا تبديل . ثم ذكر قصة الكسائى عندما كان يقرأ بحضرة الرشيد: (رئمان) بضم النون فقال له الكسائى يجوز فيها الحركات الثلاث »[١] .

ج- العلل: فقال : «ومما يجب أن يسقط من النحو : العلل الثوانى والثوالث ، وذلك مثل : سؤال السائل عن زيد ، من قولنا : قام زيد ، لم رفع ؟ فيقال لأنه فاعل ، وكل فاعل مرفوع ، فيقول : ولم رفع الفاعل ؟ فالصواب أن يقال : كذا نطقت به العرب وثبت بذلك الاستقراء عن الكلام المتواتر»[٢] .

وعلى الجملة يبين ابن مضاء هدفه مما دعا إلى إلغائه فيقول: «قصدى من هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغنى النحوى عنه ، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه»[٣] .

الخامس: الضبط الإعرابى لم يكن موجوداً إبان القرن السابع الميلادى:

يضع الدكتور جبل هذا الزعم تحت عنوان : خلاصة ادعاءات جاحدى الإعراب وجدواه من المستشرقين ، ويشرحها قائلا : «ومعنى هذا الادعاء أن القرآن الكريم كان يُنطق خاليا من الضبط الإعرابى وأن الشعر العربى الذى ثبت يقينًا أنه كان متداولا فى ذلك القرن كان ينطق غير مُعْرَب كذلك . سواء من ذلك الشعر ما كان مرويًّا عن شعراء العصر الجاهلى وما كان نتاج شعراء ذلك القرن السابع الميلادى نفسه . وينطبق هذا على ما كان متداولا من النثر والأحاديث فى ذلك القرن من باب أولى»[٤] .

فالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الجاهلى والإسلامى والنثر – على حد

---

(١) إحياء النحو ٣٥ ، ٣٦.
(٢) الرد على النحاة ١٣٠ .
(٣) السابق ٧٦.
(٤) أصالة الإعراب ٧ ، ٨.

زعم المستشرقين – كل هذه المصادر قد خلت من الضبط الإعرابى فى القرن السابع الميلادى.

أ – القرآن الكريم:

أثار بعض المستشرقين شبها حول القرآن مؤداها أن القرآن خال من الإعراب ، ومن أقوالهم:

يقول كارل فوللرز : «الذى كان يرى أن النص الأصلى للقرآن قد كتب بإحدى اللهجات الشعبية التى كانت سائدة فى الحجاز ، والتى لا يوجد فيها كما لا يوجد فى غيرها تلك النهايات المسماة بالإعراب ... وهو يرى أن العربية الفصحى مصنوعة ، وهو ينكر على الإطلاق أن تكون هذه اللغة كانت حية فى مكة على عهد رسول الله ﷺ»[١].

ويقول باول كاله فى كتابه الذخائر القاهرية : «النص القرآنى الخالى من الضبط بالشكل يعكس بوضوح اللغة العربية التى كانت تتكلم فى مكة ، غير أن العرب كانوا قد تعودوا أن يعدوا اللغة البدوية نموذجا للنطق الصحيح ... فكان المهتمون بهذا النمط فى اللغة العربية يذهبون إلى جيرانهم من البدو ويجمعون ما أمكنهم من أشعار وما يتصل بها من حكايات .. وقد اتخذت المادة التى جمعت بهذه الطريقة أساسا للغة العربية النموذجية التى ابتدعها النحويون ثم حذيت على نمطها ، ومع ذلك لم تتغير كتابة المصاحف بل ابتدعت طريقة تضاف فيها علامات مختلفة إلى النص لضمان صحة القراءة»[٢]. وترتب على زعمهم هذا أمران هما:

الأول: وجود اللحن فى القرآن:

وبنى هذا الزعم على وجود كلمات فى المصحف مخالفة لقواعد النحو والرسم ، مثل :

---

(١) فصول فى فقه العربية د. رمضان عبد التواب ٣٣٣ ، ٣٣٤/ ط١ / القاهرة/ ١٩٧٧م.

(٢) فصول فى فقه العربية ٣٣٤ ، ٣٣٥.

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [البقرة : ٦٢] ، ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة : ٦٩] ، و ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [الحج : ١٧] ، و﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧] ، و﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢] .

وربما اعتمد القائلون بوقوع اللحن فى القرآن على الخبر المنسوب إلى : عائشة [ت٥٨هـ] رضى الله عنها : « ... يا بن أختى هذا عمل الكتاب الكتبة أخطؤوا فى الكتاب».

وكذلك قول عثمان [ت٣٥هـ] رضي الله عنه لما نسخت المصاحف وعرض عليه فوجد فيها حروفا من اللحن ، فقال : « اتركوها فإن العرب ستقيمها أو ستعربها بلسانها»[1] .

الثانى: اختلاف القراءات:

يقول جولد تسهير: «والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب فى ظهوره إلى خاصية الخط العربى ، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعا للنقط فوق الحروف ، أو تحتها ، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل فى الخط العربى يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب ، فهذه التكميلات للرسم الكتابى ، ثم هذه الاختلافات فى الحركات والشكل ، كل ذلك كان السبب الأول لظهور القراءات ، فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن»[2] .

ب – الحديث النبوى:

شكك المستشرقون فى وجود الإعراب على عهد رسول الله فكان كارل فوللز :

---

(١) المقنع ١١٩ـ ١٢١.

(٢) رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات د. عبد الفتاح إسماعيل شلبى ١٧/ مكتبة نهضة مصر بالفجالة / ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م.

«ينكر على الإطلاق أن تكون هذه اللغة كانت حية فى مكة على عهد النبى ﷺ».
ومضمون كلامه هذا أن الحديث النبوى غير مُعْرَب ؛ لأن النبى نفسه لم يكن يعرف الإعراب فكيف يعرب ؟!

ج – الشعر العربى والإسلامى:

أنكر المستشرقون وجود الإعراب فى القرن السابع الميلادى. ومضمون ذلك أن شعرهم كان غير مُعْرَب ، فكارل فوللزر «يشك أن يكون البدو الذين خرج من بينهم الشعراء كانوا يتكلمون هذه اللغة»[١] .

« وهناك من المستشرقين من صرح بأن لغة الشعر المتمثلة في الشعر الجاهلى مصنوعة ، أي مزورة بمعنى أنه لم يكن على هذا الاتزان الذي عرفناه به ، ولم يكن مقيدا بالضبط الإعرابي على ما عرفناه به »[٢].

د – النثر:

نفى المستشرقون الإعراب – أيضا – عن كلام العرب.

السادس: قصور النحو على الإعراب والبناء:

أثاره أ. إبراهيم مصطفى فقال : «يقول النحاة فى تحديد علم النحو : إنه علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً ، فيقصرون بحثه على الحرف الأخير من الكلمة، بل على خاصة من خواصه وهى الإعراب والبناء ، ثم لا يعنون كثيراً بالبناء ولا يطيلون البحث فى أحكامه ، وإنما يجعلون همهم منه بيان أسبابه وعلله ، فغاية النحو الإعراب وتفصيل أحكامه حتى سماه بعضهم علم الإعراب وفى هذا التحديد تضييق شديد لدائرة البحث النحوى وتقصير لمداه وحصر له فى جزء يسير مما ينبغى أن يتناوله»[٣].

---

(١) فصول فى فقه اللغة ٣٣٤.
(٢) أصالة الإعراب ١٠ .
(٣) إحياء النحو ١٣٣.

واعتمد فى شبهته على أمرين[1]:

١ – أقوال المستشرقين، فقد قالوا فى مادة (إعراب) فى دائرة المعارف الإسلامية: ويرى نحاة العرب أن الإعراب لابد له من عامل موجب له ... ويبدو لنا أن العامل والإعراب هما المحور الذى تدور حوله نظرية النحو عند النحاة العرب .

٢ – هذا التعريف الأبتر المشؤوم ، وهذا التعريف أيضا هو سبب الغلط عند المستشرقين.

السابع: حركات الإعراب لا معنى لها عند النحاة القدماء:

وصاحب هذا الزعم أ. إبراهيم مصطفى فهو يحاول أن ينسب إلى نفسه هذه القيمة النحوية الراسخة عند النحاة ، فيقول : «إذن وجب أن ندرس علامات الإعراب على أنها دوال على معان ، وأن نبحث فى ثنايا الكلام عما تشير إليه كل علامة منه»[2].

الثامن: الفتحة ليست علامة إعراب:

أثاره أ. مصطفى ، فقال : «فأما الضمة فإنها علم الإسناد ، ودليل أن الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها ويتحدث عنها ، وأما الكسرة فإنها علم الإضافة ، وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها ، سواء كان هذا الارتباط بأداة أو بغير أداة كما فى : كتاب محمد ، كتابٌ لمحمد ، ولا تخرج الضمة ولا الكسرة عن الدلالة على ما أشرنا إليه إلا أن يكون ذلك بناء أو فى نوع من الإتباع ، أما الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شيء ، بل هى الحركة الخفيفة ، المستحبة عند العرب ، التى يراد أن تنتهى بها الكلمة كلما أمكن ذلك، فهى بمثابة السكون فى لغة العامة ، فللإعراب الضمة والكسرة فقط ، وليستا بقية من مقطع ولا أثراً لعامل من اللفظ ، بل هما من

(١) النحو والنحاة ٦٦.

(٢) إحياء النحو ٤٩.

عمل المتكلم ليدل بهما على معنى فى تأليف الجملة ونظم الكلام ، فهذا جوهر الرأى عندنا»[١] .

التاسع : كثرة التقسيمات والتفريعات فى الأشياء المتماثلة:

صاحب هذا الزعم أ. إبراهيم مصطفى ، حيث قال : «وإذا تتبعنا أحكام هذه الأبواب لم نر ما يدعو إلى تفريقها ، ورأينا فى أحكامها من الاتفاق والتماثل ما يوجب أن تكون بابا واحدا يعفينا من تشقيق الكلام وتكثير الأقسام»[٢] .

وضرب لذلك عدداً من الأمثلة منها الفاعل ونائب الفاعل : كسر وانكسر الإناء ، والفاعل والمبتدأ : ظهر الحق والحق ظهر ... ثم يقول : «هذه أبواب الرفع الثلاثة : المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل ، اضطرد فيها الأصل الذى قررناه وأغنانا عن تكثير الأقسام وتعديد الأبواب وعن فلسفة العامل وشغب الخلاف ، وجعل الحكم النحوى أقرب إلى الفهم وأدنى إلى روح العربية ، ولا يخرج عن هذا الأصل من المرفوعات إلا بابان : أحدهما: المنادى فى بعض حالاته ، مثل يا أحمد ويا رجل ، والثانى : منصوب إن وأخواتها»[٣] .

العاشر : إسراف النحاة القدامى فى الإعراب:

وصاحب هذا الزعم وخمس آخر ، هو الدكتور : إبراهيم أنيس. وإسرافهم من وجهة نظره يتمثل فى:

أ- **التوسعة فى القواعد ابتكاراً واختراعاً** ، يقول : «ولم يقتصر عمل أولئك الذين أسسوا قواعد الإعراب على السماع والجمع واستنباط الأصول ، بل قاسوا ما لم يسمعوا بما سمعوا ، وأسرفوا فى قياسهم وابتكروا فى اللغة أصولاً وقواعد ، رغبة

---

(١) إحياء النحو ٥٠ ، ٥١ وينظر ص ٨٧ ، ٨٨.

(٢) السابق ٥٤ وما بعدها.

(٣) إحياء النحو ٦٠.

منهم فى اطراد الإعراب وانطباقه على كل أسلوب أو انطباق كل أسلوب عليه»[١].

ب- الرمى باللحن والخطأ، يقول: «وقد بلغ من نفوذ النحاة وسلطانهم أن وصفوا كل خروج عن قواعدهم الإعرابية باللحن، وأصبح هذا اللحن وصمة، وعاراً، وأصبح كافياً للحط من منزلة الخطيب أو الشاعر، وللحط من مكانة الرجل فى الهيئة الاجتماعية»، ويقول فى موطن آخر: «ونحن بصدد هذا الذى سموه اللحن بين أمرين: إما أن نسلم بصحة هذه الروايات، وأن كلمة اللحن كانت تعنى فى الغالب الخطأ الإعرابى وحينئذ لا مناص لنا من أن نعد ظاهرة الإعراب من الظواهر التى لا يمكن أن تمت للسليقة اللغوية بصلة، وذلك لأن صاحب اللغة التى يتكلمها بالسليقة يستحيل عليه الخطأ فى ظواهر تلك اللغة»[٢].

ج- صنع المكانة والحظوة، يقول: «نقول إنها من صنع بعض النحاة بعد أن أسسوا قواعدهم وأصولهم رغبة منهم فى أن يظهروا كل من عداهم بمظهر العجز، وأن ينفردوا هم بمعرفة تلك المقاييس الإعرابية، التى امتنعت إلا عليهم وحدهم، وليؤكدوا بمثل تلك الروايات من سلطانهم ونفوذهم، ويكتسبوا عن طريق إيحائها المكانة بين الناس والحظوة لدى الخلفاء والأمراء»[٣].

د- عدم الاستشهاد بالحديث النبوى، يقول: «وهل هناك سلطان فوق سلطان النحاة، أولئك الذين رفضوا الاستشهاد بالأحاديث بحجة أن رواة الحديث لا يحسنون العربية ويجوز عليهم اللحن»[٤].

الحادى عشر: عسر وصعوبة الإعراب:

يقول: «ضاق كثير منا بهذا الإعراب، ووجدنا المشقة والعنت فى فهم علله

(١) من أسرار اللغة ١٩٩ وينظر ٢٠٩.
(٢) السابق ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣.
(٣) من أسرار اللغة ٢٠٣ وينظر ص٢٠٩.
(٤) السابق ٢٠٨.

وأسبابه فثاروا عليه ، ودعوا إلى تقويض أركانه والتخلص منه»[١] .

وذكر الدكتور تلك المحاولات التى هدفت إلى تيسير الإعراب أو إلغائه ، من مثل: الرد على النحاة لابن مضاء ، وإحياء النحو لإبراهيم مصطفى.

الثانى عشر: خلو اللغات الأولى من الإعراب:

يقول: «بدأنا بالبحث باستعراض اللغات السامية لعلنا نظفر فيها بأثر واضح لظاهرة الإعراب، فلم نعثر فى السريانية على شيء .... أما الآرامية فلا إعراب فيها ولا أثر للإعراب»[٢] .

الثالث عشر: خلو اللهجات العربية من الإعراب:

يقول: كيف نتصور أن لهجات الكلام فى كل البيئات العربية ، فى العراق وفى الشام وفى مصر وفى بلاد المغرب وفى اليمن ، بل وفى البيئة الحجازية مهد الوحى وحيث نزل القرآن الكريم ، وهو خير كتاب بالعربية أخرج للناس ، أقول: كيف نتصور أن ظاهرة الإعراب لا تترك فى كل هذه البيئات أثر ، ولا تخلف فيه ما يوحى بأن الإعراب كان شائعاً»[٣] .

الرابع عشر: سبب حركات الإعراب توالى المقاطع وتوالى الحروف:

يقول: «القسم الذى يتطلب منا تفسيراً لحركات أواخر الكلمات فيه ، وكلماته هى تلك التى تخضع فى تحريك أواخرها لنظام توالى المقاطع ، ونظام توالى الحروف ، ويدعو هذا النظام إلى تحرك أواخرها فى غالب الأحيان ، ولكنها قد تبقى دون حركة فى آخرها فى القليل من الأحيان ،وذلك حين لا يتطلب نظام المقاطع وجود حركة فى آخرها »[٤] .

---

(١) من أسرار اللغة ٢١٠.
(٢) السابق ٢١٢.
(٣)من أسرار اللغة ٢١٦.
(٤) السابق ٢٥٧.

الخامس عشر: الحركات الفرعية من تلفيق النحاة:

يقول: د. أنيس [ت١٣٩٧هـ] : «ثم عمدوا إلى تلك الكلمات والصيغ التى لم يستطيعوا فيها تغييراً أو تحويراً كالمثنى وجمع المذكر السالم وما يسمى بالأفعال الخمسة والأسماء الخمسة ، فطبقوا عليها أصولهم وقواعدهم ثم خرجوا علينا بنوع آخر من الإعراب سموه: الإعراب بالحروف»(١).

وأخذ يفسر بعض الأبواب المعربة بالحركات الفرعية بعديد من التفسيرات:

الأول: الشيوع فى اللغات السامية: فسر به المثنى وجمع المذكر السالم والأفعال الخمسة(٢).

الثانى: المخالفة الصوتية: بها فسر إعراب الأسماء الخمسة(٣).

السادس عشر: إلغاء العوامل والاستغناء عنها بالقرائن:

وصاحب هذا الزعم د. تمام حسان ، يقول: «والمغزى من وراء كل ذلك أن ما يتسم به المعنى الوظيفى للمبنى الواحد من التعدد والاحتمال يجعل الناظر فى النص يسعى دائما وراء القرائن اللفظية والمعنوية والحالية ، ليرى أى المعانى المتعددة لهذا المبنى هو المقصود، ومن هنا نرى التفاضل بين المعربين للجملة الواحدة ، والكشف عن العلاقات السياسية أو التعليق - كما يسميه عبد القاهر - هو الغاية من الإعراب ، فإذا طلب إلينا مثلا أن نعرب جملة مثل: ضرب زيد عمراً ، نظرنا فى الكلمة الأولى: ضرب فوجدناها قد جاءت على صيغة: فعل ، ونحن نعلم أن هذه الصيغة تدل على الفعل الماضى سواء من حيث صورتها أو من حيث وقوفها بإزاء: يَفْعَل وافْعَل ، فهى تندرج تحت قسم أكبر من بين أقسام الكلم يسمى الفعل ، وهنا

---

(١) السابق ٢٧٠.

(٢) ينظر السابق ٢٧٠ : ٢٧٣.

(٣) ينظر السابق ٢٧٣ ، ٢٧٤.

نبادر إلى القول بأن: ضرب: فعل ماض ، ثم ننظر بعد ذلك فى زيد ، فنلاحظ ما يلى:

١ – أنه ينتمى إلى مبنى الاسم قرينة الصيغة.

٢ – أنه مرفوع قرينة العلامة الإعرابية.

٣ – العلاقة بينه وبين الفعل الماضى علاقة إسناد قرينة التعليق.

٤ – أنه ينتمى إلى رتبة التأخر قرينة الرتبة.

٥ – أن تأخره عن الفعل رتبة محفوظة قرينة الرتبة.

٦ – أن الفعل معه مبنى للمعلوم قرينة الصيغة.

٧ – أن الفعل معه مسند إلى المفرد الغائب قرينة المطابقة.

وبسبب كل هذه القرائن نصل إلى أن : زيد : هو الفاعل.

ثم ننظر بعد ذلك فى (عمراً) ، ونلاحظ:

١ – أنه ينتمى إلى مبنى الاسم قرينة الصيغة.

٢ – أنه منصوب قرينة العلامة الإعرابية.

٣ – أن العلاقة بينه وبين الفعل هى علاقة تعددية قرينة التعليق.

٤ – رتبته من كل من الفعل والفاعل هى رتبة التأخر قرينة الرتبة.

٥ – أن هذه الرتبة غير محفوظة قرينة الرتبة.

وبسبب كل هذه القرائن نسارع إلى القول بأن (عمراً) مفعول به .

ولا شك أن أصعب هذه القرائن من حيث إمكان الكشف عنها هى قرينة التعليق لأنها:

١ – قرينة معنوية خالصة تحتاج إلى تأمل فى بعض الأحيان.

٢ – التأمل فيها يقود فى الأغلب الأعم من الحالات إلى متاهات الأفكار الظنية

التى لا تتصل اتصالاً مباشراً بالتفكير النحوى وتخرج لهذا السبب عن طبيعة الالتزام بحدود المنهج.

٣- أن الكشف عن هذه القرينة هو الغاية الكبرى من التحليل الإعرابى.

وإذا اتضح المعنى الوظيفى المذكور أمكن إعراب الجملة دون حاجة إلى المعجم أو المقام ذلك بأن وضوح المعنى الوظيفى هو الثمرة الطبيعية لنجاح عملية التعليق»[١].

السابع عشر: اللغة العربية لا تواكب العصر:

حامل لواء هذا الزعم، المبغض الكاره للغة العربية شريف الشوباشى، حيث رماها بالجمود والتعقيد والتخلف فقال [٢]: «اللغة العربية التى ترقى تعقيداتها إلى مرتبة اللوغاريتمات المنغلقة على عقول غير المتخصصين .... فإلى متى نجعل أطفالنا وشبابنا يتجرعون عذاب القواعد المعقدة التى عفا عليها الزمن ولم تعد تواكب العصر ؟ ... فاللغة تحولت إلى إسار يخنق أفكارنا ويلجمها ... وهى تسهم للأسف فى حرماننا من الانطلاق إلى الآفاق الرحبة التى يفتحها العلم الحديث ووسائل المعيشة المواكبة للتطور العلمى، وباختصار: فإن اللغة أصبحت سجنا يُحبس العقل العربى بين جدرانه الحديدية بإرادته المستكينة .... لم يعد هناك فراغ يجعل الناس تستلذ صعوبة القواعد، وتعقيد الكلمات كما هو الحال عندنا، حيث ينتشى البعض وتنتفخ أوداجهم سروراً عندما يصححون خطأ لغوياً، ويتلون قاعدة متقعرة لا قيمة لها، إلا أنها من وضع النحاة الأقدمين».

لهذا وغيره يرجع العيب فى عدم تعلم اللغة العربية إلى اللغة نفسها، فيقول: «وأقول لكل من يتعذب من جراء تعلم اللغة أو يشعر بعقدة نقص لعدم إجادته

---

(١) اللغة العربية ١٨٠، ١٨١، ١٨٢.

(٢) مقدمة كتابه: لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه / ط٣/ الناشر مدبولى الصغير/ عربية للطباعة والنشر.

العربية إجادة تامة: لا تقلقوا .... فالعيب ليس فيكم ولكنه فى اللغة التى لم تشملها سنة التطوير ، وأستطيع انطلاقا من هذا أن أبرئ ساحة ملايين العرب ، بل الأغلبية الساحقة من الشعب العربى من ذنب عدم تملك ناصية لغة الضاد بكل تعقيداتها» ، ثم يختم مقدمته بقوله: «وأنا على ثقة من أننى أترجم المشاعر الدفينة فى نفوس الملايين العرب ، وأنا أهتف قائلاً: يسقط سيبويه».

وبناءً على هذا ينادى بإصلاح لغوى جديد يقوم على[1]:

١- **إلغاء التشكيل**: حيث يقول: «ومن أبرز المفارقات التى تلفت النظر فى العربية أن الكلمة تأخذ معناها من التشكيل ، وليس من موقعها فى الجملة فالأصل فى العربية هى الجملة الفعلية ، وإذا قلنا مثلا: ضرب الشاب الرجل (بدون تشكيل) فإن الجملة التى من المفترض أنها واضحة تحتمل معنيين متناقضين لا يمكن التفرقة بينهما إلا بالتشكيل».

٢- **إلغاء الجملة الفعلية**: يقول: «الجملة فى اللغات الحية الحديثة هى جملة اسمية ، وليست فعلية والسبب فى ذلك هو ما تجره الجملة الفعلية من التباس لدى السامع أو القارئ ، لأن المعنى لا يستنبط من ترتيب الكلمات وإنما من التشكيل .... إلا أننى كنت أشعر بالفعل أن الجملة الاسمية أقرب إلى المنطق وإلى التعبير المباشر والسليم عن المعنى المقصود».

٣- **إلغاء بعض الحروف الساكنة**: يقول: «الصعوبة الثانية التى تواجه دارس العربية هى النقص الغريب فى حروف العلة ، فى مقابل هناك وفرة مشكوك فى ضرورتها فى الحروف الساكنة ، وإذا قارنا العربية بالإنجليزية نجد لدينا ثلاثة حروف علة فى مقابل خمسة لديهم ، وعندنا ٢٥ حرفا ساكنا فى مقابل ٢١ عندهم ،

---

(١) لتحيا اللغة العربية ٢٠٢ وما بعدها.

وغالبية الكلمات والأفعال فى العربية تتكون من حروف ساكنة فقط على عكس كل لغات العالم الحديث ».

٤- **إلغاء الحركات الإعرابية**: حيث يدعوا الشوباشى إلى أن تكون للكلمة معنى واحد فقط ، فيقول: « وما يضاعف من المشكلة أن كلمة واحدة من الممكن أن تشكل جملة كاملة فى العربية ، وهذا ليس موجوداً فى غالبية اللغات الأخرى باستثناءات نادرة مثل فعل الأمر ، ولكن وجود الكلمة الجملة وضع نحوى عادى فى العربية ، فعندما تقول مثلا: كتبت ، فالفعل يحتوى على الفاعل ، وبالتالى فقد اكتملت أركان الجملة فى عبارة واحدة ، وقد يجد البعض ذلك قوة مضافة للعربية ، ولكن الممارسة تثبت العكس ، فلو أخذنا كلمة مثل: قتلت نجد أن لها عشر دلالات ملتبسة على الأقل ، وفقاً لنطقها أو لتشكيلها ، فهناك: قَتَلْتُ وقَتَلْتَ وقَتَلْتِ وقُتِلتُ وقُتِلتَ وقُتِلْتِ وقُتِلتْ وقُتِّلتْ وقَتَّلتَ وقَتَّلتِ ، فهل من الطبيعى أن تكون لكلمة واحدة تكتب بطريقة واحدة أكثر من عشر دلالات؟ ألا يؤدى هذا إلى فتح باب اللبس والغموض فى المعنى والحيرة والتأويلات المختلفة».

٥- **إلغاء القواعد الخاصة بالأرقام من تذكير وتأنيث**: يقول: «والقواعد الخاصة باستخدام الأرقام هى مثال للتعقيد الذى لا داعى له ، لماذا لا نقول تسع رجال وتسع نساء بدلا من: تسعة رجال وتسع نساء؟ لماذا لا نوحد الأرقام حتى نوفر على أنفسنا تعقيدات لم تعد تناسب العصر ؟» .

٦- **إلغاء المفعول به وتنوينه**: يقول: «من أبرز أسباب تعقيد العربية ووقوع الغالبية فى شرك الخطأ ، هو المفعول به ، والمشكلة أن المفعول به فى العربية لا يعرف من مكانه فى الجملة ، وإنما من إعرابه ، وبالتالى من تشكيله ، وأرى أنه من الأقرب إلى المنطق أن نقول مثلا: رأيت رجل طويل يأكل خبز ، بدلا من: رأيت رجلاً طويلاً يأكل خبزاً ، والسبب الوحيد الذى يجعلنا نتمسك بالمفعول به منونا هو أننا

ورثناه من نحاة العصور السالفة ، وأصبح مألوفا لآذاننا ، لكنه من غير المنطقى أن نقبل هذا السبب ونستكين لثقافة الأذن».

٧- **إلغاء المثنى وإعرابه**: يقول: «من أوضح الأدلة على معاندة قواعد العربية لسنة التطور: تَربُّع المثنى على أصول النحو العربى حتى بداية القرن الحادى والعشرين ، فالمثنى بالنسبة لكل لغات العالم أصبح كالديناصور الذى انقرض من على وجه الأرض ، وغالبية اللغات الحية المتداولة اليوم لم يكن بها مثنى أصلا ، فهذه الصيغة كانت شائعة فى اللغات السامية القديمة ، وقد اختفى مع اختفاء معظمها وألغى بصيغته القديمة فى اللغات الباقية حتى اليوم .... فما فائدة المثنى؟ هل يضفى دقة على المعنى؟ هل يضيف جمالاً؟ لقد أدرك الجميع أنه لا فائدة من المثنى إلا زيادة تعقيد اللغة ، فهجره الجميع إلا نحن».

٨- **إلغاء المؤنث**: يقول: «ويعتبر المؤنث من أعقد التركيبات التى لا لزوم لها لفهم المعنى ، فلو قلنا: النساء كلهن أكلن ، أو: النساء كلهم أكلوا ، فإن المعنى واضح فى الحالتين ، ولن يتصور أحد فى الحالة الثانية أن النساء تحولن بقدرة قادر إلى رجال ، وغالبية لغات العالم لا تستخدم تلك التراكيب البالغة التعقيد التى عفا عليها الزمن ، والتى لا تقدم ولا تؤخر ، ولا تضيف دقة إلى المعنى».

٩- **إلغاء الأسماء الموصولة**: يقول: «وحتى فى اللغة المصرية الدارجة نجد أنه لا فرق يوجد بين المذكر والمؤنث إلا للضرورة ، فنحن نقول بالفصحى مثلا: الرجال الذين كذا، والنساء اللائى كذا .... أما باللهجة الدراجة فيكتفى بتعبير اللى ، عوضا عن الذين واللائى».

ثانيا: الرد والمناقشة:

لم يقف المهتمون باللغة العربية والحريصون عليها مكتوفى اليدين أمام هذه الأفكار وتلك المزاعم ، بل أخذوا يناقشونها ويجيبون عليها ويردونها متسلحين

بالغيرة والواقع والأدلة ، ولنعرض لهذه المناقشة وتلك الردود:

* **أما عن زعم أن الحركات زوائد لا عمل لها** فالرد عليه من وجوه:

أ- لا يوجد دليل على ذلك، يقول أحمد عرفه: «وقد جاء المستشرقون وحاولوا أن يجدوا أصلا لحركات الإعراب فافترضوا أنها بقايا لزوائد كانت تلحق بالأسماء ، وقد انقرضت الزوائد وبقيت الحركات ، وهذا مجرد فرض لم تقم على صحته أدلة كافيه»[1].

ب- فى كلام سيبويه جملة حذفها من احتج بالعبارة ليكمل له الاحتجاج ، والعبارة كاملة هكذا: «وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به ، والبناء هو الساكن الذى لا زيادة فيه» فالجملة الأخيرة التى أغفلت توضح المراد بصدر العبارة تماماً ، وبهذا يتبين أن كلام الخليل صحيح ولا علاقة له بالإعراب ، لأنه يتكلم عن حركات البنية الداخلية للكلمة وليس عن حركات آخرها التى هى حركات إعراب[2].

ج- معنى عبارة الخليل ، وهذا النص يشير إلى أمرين[3]:

الأول: الكلمة تتكون من عنصرين: أحدهما ثابت لا يتغير وهو البناء أو الجذر (يعنى الصوامت) وثانيهما متغير، أو كما يقول زوائد وهو الحركات التى تنحصر وظيفتها الصوتية فى تمكين المتكلم من نطق الصوامت أو الثوابت.

الثاني: إشارة النص إشارة خفية إلى وظيفة الحركات الدلالية فى قوله: والبناء هو الساكن الذى لا زيادة فيه ، يعنى أن البناء يظل صوامت ميتة حتى تدخله الحركات فيخرج هذه المعانى من حيز القوة إلى حيز الفعل.

---

(١) النحو والنحاة ١٢٥.

(٢) أصالة الإعراب ١٢١.

(٣) الحركات العربية ٨٣ ، ٨٤.

* **أما عن الزعم الثانى** وهو اختلاف المعانى واتفاق الإعراب والعكس ، فرد الجمهور عليه ، فقال: «إنما كان أصل دخول الإعراب فى الأسماء التى تذكر بعد الأفعال ، لأنه يذكر بعدها اسمان أحدهما فاعل والآخر مفعول فمعناهما مختلف فوجب الفرق بينهما ثم جعل سائر الكلام على ذلك ، أما الحروف التى ذكرها فمحمولة على الأفعال ولكل شيء مما ذكره علة»[1]. ويرد عليه الدكتور جبل فيقول: «هذا مبنى على تقدير العرب وله قياسه ، ففى مثل ما زيد قائم وما زيد قائماً (ما) الأولى تميمية لم تعمل لأنها حرف عام يدخل على الأسماء والأفعال ، والثانية حجازية تعمل تشبيهاً بليس، وكذلك سائر ما فى هذه المجموعة: منذ يومين ومنذ يومان ، ما فى الدار أحد إلا زيد ، إلا زيداً هو اختلاف لهجات له قياسه ، وأما لا مالَ عندك ولا مالُ عندك ، فقد جاء اتفاق المعنى من كون المال اسم جنس عاماً ، فلما وقع عليه نفى للوحدة التقى مع معنى نفى الجنس وذلك بالإضافة إلى ضعف السند اللهجى ، للا التى لنفى الوحدة ... أما اعتراض د. أنيس بقولهم: قمت لاحترامك وقمت لاحترامك فهو دليل لنا لا علينا ، فلما حذف الحرف نصب المفعول لأجله ليتميز موقعه الإعرابى ، ولما ذكرت اللام جرت ما بعدها ووضحت المعنى الموقعى، وكذلك الأمر فى نصب الظرف وجره بفى ، فهى صيغ أسلوبية ينبغى أن تظل متاحة ، والحَجْر خطأ وتزيد»[2]. ويرد الدكتور البركاوى قائلاً: «رد الجمهور رد تاريخى لا يمكن إثباته ، ولا بد من البحث عن تفسير مقبول لما زعمه قطرب من اختلاف المعنى واتفاق الإعراب فى الأمثلة التى ذكرها: إن زيداً أخوك – لعل زيداً أخوك – كأن زيداً أخوك – ونتساءل أولاً: ما المعنى الذى اختلف هنا؟ وما الإعراب الذى اتفق؟ الذى اختلف هو معنى الجملة ، ففى المثال الأول جملة خبرية مؤكدة ، وفى المثال الثانى جملة إنشائية تفيد الرجاء ، وفى المثال الثالث جملة

---

(١) الإيضاح ٧١.

(٢) أصالة الأعراب ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨.

خبرية تشبيهية ، ويرجع اختلاف هذه المعانى التركيبية إلى اختلاف الأدوات ، وأما المعانى النحوية الإفرادية فإنها متفقة فى الجمل الثلاث ، حيث: (زيداً)، فى هذه الجمل هو المسند إليه مما يعنى أن وظيفته النحوية واحدة والإعراب الدال على ذلك واحد أيضاً ، وهنا نجد خلطا بين طائفتين من معانى النحو ، هما: المعانى التركيبية والمعانى الإفرادية ، والقول بتميزهما يحل هذه الإشكالية القطربية ، ولو سلمنا بأن ذلك حاصل فى بعض الأحيان ، وهو يحدث بالفعل فى أحيان عديدة ، كأن يكون كل من: المبتدأ والخبر والفاعل ونائبه مرفوعاً ، وبالتالى تتفق العلامة الإعرابية وتختلف المعانى النحوية ، وقد يحدث العكس أيضاً ، بأن يكون المعنى النحوى واحداً وتختلف العلامة الإعرابية الدالة»[(١)] .

* **أما عن الزعم الثالث** أن حركات الإعراب مجرد وسيلة للتخلص من ثقل الكلام، فرد الجمهور عليها قائلاً: « لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة ، ورفعه أخرى ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه ، لأن القصد فى هذا إنما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل به الكلام ، وأى حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو مخير ، وهذا فساد للكلام وخروج عن أوضاع العرب وحكمة نظام كلامهم»[(٢)] .

ويرد ابن فارس رداً عملياً ، فيقول: « والدليل على صحة هذا الأمر ، وأن القوم قد تداولوا الإعراب أنا نستقرى قصيدة الحطيئة [ت٣٠هـ] التى أولها: [مجزوء الكامل]

شـاقَتـكَ أَظعـانٌ لِلَيـ (م) ـلى يَومَ ناظِـرَةٍ بَواكِـر

فنجد قوافيها عند الترنم والإعراب تجئ مرفوعة ولولا علم الحطيئة بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها لأن تساويها فى حركة واحدة اتفاقاً من غير قصد

---

(١) مقدمة فى فقه اللغة العربية واللغات السامية ١٢٥ ، ١٢٦ ومحاضرات فى مصادر علوم العربية ١٤٨ ، ١٤٩.
(٢) الإيضاح ٧١.

لا يكاد يكون»(١).

ويرد الدكتور جبل قائلاً: «لو فقه قطرب كلام أستاذه ما اعترض»(٢) ويرد الدكتور البركاوى: «الإعراب ليس دائما بالحركات وإنما يكون – أحيانا – بالحروف كالألف والنون فى المثنى ، والواو والنون في جمع المذكر ، وثبوت النون فى رفع الأسماء الخمسة ، فأى حركة هنا أعقبت الإسكان؟ وإذا ثبت أن هذا التفسير الذى قدمه قطرب لاختلاف علامات الإعراب لا ينطبق فى كل حالاته ويتناقض مع الواقع اللغوى ، فلابد من البحث عن تفسير آخر يتلاءم مع هذا الواقع ، وهنا لا نجد للاختلاف سببا غير أن هذه العلامات تكشف عن المعانى النحوية إما وحدها وإما مع غيرها من الملامح النحوية»(٣).

* **أما عن الزعم الرابع** ، فرد عليه العلماء بما يلى:

أ- إلغاء العامل: رد عليه محمد عرفه بما يلى: «زعم المؤلف أن النحاة أوجبوا أن يكون العامل لفظا فإن وجد فذاك وإلا فيقدر ، ثم اعترض عليهم بالعوامل المعنوية ، ولا أدرى كيف يعترض عليهم بذلك ؟ والمذهب الرسمى هو الاعتراف بالعوامل المعنوية ، ألا تراهم فى الإعراب يقولون فى مثل: محمد قائم: محمد مبتدأ مرفوع بالابتداء ، والابتداء عامل معنوى ، على أن حذاق النحاة كابن جنى يرون أن العامل المعنوى أغلب ، والعوامل اللفظية مرجعها إلى عوامل معنوية ، وإنما قسموها إلى عوامل لفظية وعوامل معنوية ليروك أن بعض العمل يأتى مسببا عن لفظ يصحبه ، كمررت بزيد ، وبعضه يأتى عاريًا من مصاحبة لفظ يتعلق به ، كرفع المبتدأ بالابتداء ، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم»(٤).

---

(١) الصاحبى ١٣ وينظر : مقدمة في فقه اللغة العربية ٢٢٤.
(٢) أصالة الإعراب ١٩٦.
(٣) فقه اللغة العربية ١٢٤ ، ١٢٥ ونظر محاضرات فى مصادر وعلوم العربية ١٤٦ ، ١٤٧ ودلالة السياق ٢٦٣.
(٤) النحو والنحاة ١٠٥.

ب- إلغاء المضمرات يرد عليه محمد عرفه قائلا: «هذا ليس بصحيح فإن كل اختلاف فى الحركات والعامل يتبعه حتما اختلاف فى المعنى ، وكل معنى يناسب موضوع الكلام ، فالتقدير الذى يؤديه أولى ، والبيت الذى استشهد به اختلاف الحركات فيه أوجب اختلاف المعانى ، وقد ذكرت ذلك كتب اللغة العربية .... أما الرفع فيجوز كما قال أبو على الفارسى من وجهين:

١- أنه بدل كل من ما ، وما اسم موصول بمعنى الذى فاعل ينفع ويعطى مضمن معنى تسمح وتجود .... ولكونه مضمن معنى تسمح عدى بالباء .... والمعنى ما ينفع الشيء الذى تسمح به العلوق الذى هو رئمان أنف.

٢- أنه خبر لمبتدأ محذوف ، كأنه لما قال: أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به قيل له: وما تعطى العلوق؟ فقال رئمان أنف ، أى : هو رئمان أنف.

.... أما النصب فعلى أنه مفعول ثان لتعطى من غير تضمين له ، والهاء من به عائد على ما ، والباء للسببية أو للاستعانة والمعنى: ماذا ينفع الشىء الذى تعطى العلوق بسببه ؟

.... أما الجر: فعلى أنه بدل من ضمير: به ، على تضمين تعطى معنى تجود وتسمح والمعنى: ما ينفع الشيء الذى تجود العلوق به برئمان أنف ، وما على كل الوجوه بمعنى الذى واقعه على الشىء فاعل ينفع .... فأنت ترى من هذا البيت أن النحاة المتقدمين الذين زعم المؤلف أنهم يرفعون - رئمان - وينصبونها ويجرونها ولا يرون أن المعنى يختلف فيه باختلاف رفع رئمان ونصبها وجرها ، فهل يصح بعد هذا أن يقول: يقدرون العامل رافعا فيرفعون ، ويقدرونه ناصبا فينصبون ، لا يرون أنه يتبع ذلك اختلاف فى المعنى ولا تبديل فى المفهوم»[1] . ويقول فى موطن آخر: «نحن

---

(١) النحو والنحاة:٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩.

نرى أن التقدير في هذه الأمثلة ليتحصل المعنى»[١].

ج- وأما إلغاء بعض العلل فغير سديد ، لأنه لا مانع من التعرف على مقاصد العرب وحكمتهم فيما أتوا به ، وقد سبق أن الخليل بن أحمد الفراهيدى أقر المبدأ وفتح الباب على مصراعيه لغيره من العلماء ، وهذا ما وقع بالفعل فقد ألف العلماء كتبا فى العلل النحوية ، مثل: الإيضاح فى علل النحو ، وملحة الإعراب ، ولنقتطف فقرة من الأخير ، جاء فيها: « وإنما اختير للفاعل الرفع وللمفعول به النصب لأن الضمة ثقيلة والفتحة خفيفة ، والفعل لا يرفع به إلا فاعل واحد ، وينصب به عدة مفاعيل كالمصدر والظرفين والحال والمفعول له ، فجعل الرفع المستثقل إعراب ما قَلَّ ، والفتح المستخف إعراب ما كثر »[٢] .

وقد وقع من الأستاذ إبراهيم مصطفى إنكار لعلل بعض المسائل النحوية[٣] وتكفل الشيخ محمد أحمد عرفه بالرد عليها [٤].

*** أما عن الزعم الخامس وهو عدم وجود الإعراب إبان القرن السابع الميلادى ، فلنتناول الرد عليه:**

أ- القرآن الكريم: فيرد عليها مستشرق ، قيضه الله للدفاع عن القرآن ، وهو نولدكه، فيقول: « من الخطأ الشنيع الاعتقاد بأن اللغة الحية فى عهد النبى ﷺ لم يكن فيها إعراب ، فإن العلماء فى عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو ، ولكن ظاهرة الوقف الشائعة كثيراً فى الحديث اليومى قد عودت الأذن على سماع الصيغ الخالية من الإعراب ، فاستطاع أحد الشعراء استخدامها عند اتصال الكلام كذلك ، وعلى الأخص فى صيغة المضارع التى لا تتلاءم كثيراً من

---

(١) السابق ٨١.

(٢) شرح ملحة الإعراب للحريرى ٥٢ ، ٥٣ / تعليق: كامل مصطفى الهنداوى / ط١ / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) ينظر إحياء النحو ١٦٩ وما بعدها.

(٤) ينظر النحو والنحاة ٢١٥ وما بعدها.

وزن الشعر»[١]. ويقول فى موطن آخر: «أنه لو كان النبى ﷺ أو أحد معاصريه من المؤمنين نطق بالقرآن دون إعراب لكان من غير الممكن أن تضيع الروايات الخاصة بذلك دون أن يبقى لنا آثار منها »[٢].

– كما رد على ذلك أستاذنا الدكتور جبل ، وأثبت وجود الإعراب فى القرآن بكثير من الشواهد بعد المناقشة النظرية ، منها الشواهد الصوتية والشواهد الخطية[٣]. يقول د. صبحى الصالح: «أما ترتيلهم القرآن معرباً فما نحسب عاقلا فى الدنيا يرتاب فيه»[٤]. ويقول زياد الملا: «القرآن الكريم أضخم أثر أدبى»[٥].

* **وأما عن وقوع اللحن فى القرآن**: فيُرد عليه بما يلى:

- فيما يتصل بالآيات: فبالنظر والتدقيق وجدنا لمخالفتها إعرابا مستقيماً ، وأهدافا بلاغية مقيمة للمعانى أرسخ قيام [٦].

- وأما الخبر الوارد عن عائشة – رضى الله عنها – وعن عثمان رضي الله عنه فيجاب عليه بما يلى:

١ – قول الزجاج : « هذا القول عند أهل اللغة بعيد جداً ، لأن الذين جمعوا القرآن أصحاب رسول الله ﷺ وهم أهل اللغة وهم القدوة ، وهم قريبوا العهد بالإسلام فكيف يتركون شيئاً يصلحه غيرهم وهم الذين أخذوه عن رسول الله وجمعوه فهذا مما لا ينبغي أن ينسب إليهم ـ رحمة الله عليهم ـ والقرآن محكم لا لحن فيه ولا تتكلم العرب بأجود منه فى الإعراب»[٧].

---

(١) فصول فى فقه العربية ٣٧ ،وفقه العربية د. صلاح صالح عيطة ٢٧٧/ ط١/ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.
(٢) فصول فى فقه العربية ٣٣٧.
(٣) ينظر أصالة الإعراب ٢٧ وما بعدها.
(٤) دراسات فى فقه العربية ١١٩.
(٥) لغات العالم الحية والميتة ٩٦/ ط١/ الأهالى للطباعة والنشر / ١٩٩٩م.
(٦) ينظر فى ذلك ما خالف ظاهر القواعد النحوية فى القرآن ٢٥٨ وما بعدها.
(٧) معانى القرآن ٢/ ١٣١.

٢- قول ابن خالويه [ت ٣٧٠هـ]: «فإن سأل سائل كيف جاز لعثمان رضي الله عنه وهو إمام أن يرى لحنا فى المصحف فلا يغيره ؟ فالجواب فى ذلك أن اللحن على ثلاثة أوجه:

١) أن تنصب الفاعل وترفع المفعول ونحو ذلك ، فذلك لا يجوز فى كلام ولا فى قرآن.

٢) أن يكون اللحن خروجاً من لغة إلى لغة، فقول عثمان: «نجد فى مصاحفكم لحنًا ، لم يرد اللحن الذى لا يجوز البتة ، ولكنه أراد الخروج من لغة إلى لغة لأن القرآن نزل بلغة قريش لا بلغة الحارث بن كعب ، ألم تسمع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن ابن مسعود يقرئ الناس بلغة هذيل ﴿عَتَّى حِينٍ﴾ [الصافات ١٧٨] بالعين ، فكتب إليه: أما بعد: فإذا ورد عليك كتابى هذا فأقرئ الناس بلغة هذا الحى من قريش ، وكل قد ذهب مذهبا والحمد لله ، واجتهدوا»[(١)].

٣) قول الدانى : «أراد باللحن المذكور فيه التلاوة دون الرسم ، إذ كان منه لو تلى على حال رسمه لانقلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت ألفاظها ، ألا ترى قوله: ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [(٢)] [النمل:٢١]».

٤) قول المهدوى: [ت٥٩٥هـ] فى شرح الهداية: «ما روى عن عائشة –رضى الله عنها– لم يصح ولم يوجد فى القرآن العظيم حرف واحد إلا وله معنى صحيح فى العربية ، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢] والقرآن محفوظ من اللحن والزيادة والنقصان»[(٣)].

---

(١) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٣٨ ، ٣٩/ تح د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين/ مكتبة الخانجى القاهرة.

(٢) المقنع ١١٩ ، ١٢٠.

(٣) ما خالف ظاهر القواعد النحوية : ٢٩٨.

٥) قول ابن تيمية [ت ٧٢٨]: «هذا الخبر باطل لا يصح من وجوه:

أ- أن الصحابة ﷺ كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات فكيف يقرون اللحن فى القرآن مع أنهم لا كلفة عليهم فى إزالته؟!

ب- أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح فى الكلام فكيف لا يستقبحونه فى المصحف.

ج- الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم لأن المصحف يقف عليه العربى والعجمى.

د- أن عثمان رضي الله عنه منع زيد بن ثابت من كتابة (التابوت) بالهاء على لغة الأنصار، وأمره أن يكتبه بالتاء على لغة قريش»[1].

٦) قول الألوسى [ت ١٢٧٠هـ]: «وأما قول عثمان إن فى القرآن لحنا إلخ، فهو مشكل جداً:

١- إذ كيف يظن بالصحابة أولا اللحن فى الكلام فضلا عن القرآن، وهم من هم.

٢- كيف يظن بهم اجتماعهم على الخطأ.

٣- كيف يظن بهم عدم التنبه والرجوع.

٤- كيف يظن بعثمان عدم تغييره وكيف يتركه لتقيمه العرب.

٥- وإذا كان الذين تولوا جمعه لم يقيموه وهم الخيار فكيف يقيمه غيرهم.

فلعمرى إن هذا مما يستحيل عقلا وشرعاً وعادة، فالحق إن ذلك لا يصح عن عثمان، والخبر ضعيف مضطرب منقطع، وقد أجابوا عنه بأجوبة لا أراها تقابل

(١) ما خالف ظاهر القواعد النحوية ٢٩٧، ٢٩٨.

مؤنة نقلها ، والذى أراه أن رواة هذا الخبر سمعوا شيئاً ولم يتقنوه فحرفوه ، فلزم الإشكال وحل الداء العضال ، وهو ما روى بالسند عن عبد الله بن عبد الأعلى قال: لما فرغ من المصحف أتى به عثمان فنظر فيه فقال: أحسنتم وأجملتم ، أرى شيئاً سنقيمه بألسنتنا ، وهذا لا إشكال فيه لأنه عرض عليه عقيب الفراغ من كتابته فرأى فيه ما كتب على غير لسان قريش ، ثم وَفَى بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئاً ولا أحسبك فى مرية من ذلك ... معنى قولها أخطأوا: أى فى اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه لا أن الذى كتبوه من ذلك خطأ لا يجوز ، فإن ما لا يجوز مردود ، وإن طالت مدة وقوة ، وهذا الذى رأته عائشة، وكم لها من رأى – رضى الله عنها – وعن الثانى بأن معنى قوله: لحن من الكاتب لغة وقراءة له»[١] .

٧) قول الرافعى [ت ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م]: «نقطع بأن اللحن لم يكن فى الجاهلية البتة ، وكل ما كان فى بعض القبائل من خور الطباع وانحراف الألسنة فإنما هو لغات لا أكثر»[٢] .

ب- الرد على جولدتسهير وغيره :

يقول الدكتور عبد الفتاح شلبى: «وقول جولدتسهير هو الضلال ابن السبهلل! هل الأمر فى القراءات لا ضابط له من أثر أو رواية؟»[٣] .

ويقول فى موطن آخر: « إذا كان الدكتور آثر جفرى قد قال بهذا الذى قاله جولدتسهير من قبل ، ونقل عنه وكان له عذره فى ذلك بثقافته الإسلامية الضيقة ، وتعصبه الذى به يلحد فى آيات الله ، فما عذر الدكتور علي عبد الواحد وافي في

---

(١) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى الألوسى ١/ ٣٠ ، ٣١/ نشره/ السيد محمود شكرى الألوسى/ دار إحياء التراث / بيروت / لبنان.

(٢) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعى ٢/ ٢٠٣/ مراجعة: عبد الله المنشاوى ومهدى البحقيرى / ط١/ مكتبة الإيمان/ المنصورة/ ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٣) رسم المصحف ١٩.

متابعة هؤلاء وقوله بما يقولون ؟ » .

ويرد الدكتور بأدلة من التاريخ والنقل وتشمل:

١- إن رجع الاختلاف إلى خاصية الخط العربى وإغفاله من النقط والشكل خطأ فى الرأى وباطل فى التوجيه.

٢- يظهر أن هؤلاء أجروا القرآن الكريم مجرى ما وقع فيه التصحيف من كلام العرب شعراً ونثراً. وأن هناك قراءات يحتملها الرسم صحيحه فى اللغة ولكن لم يقرأ بها [١].

ويرد د/ إبراهيم أبو سكين بالآتى[٢]:

١- النص القرآنى كان محفوظاً فى صدور الرجال حفظاً يعتمد على التلقى والعرض فالقارئ ليس غيرنا قَلَّ للقراءة تلقاها ثم عرضها على أشياخه.

٢- وقع الاختلاف فى القراءات قبل رسم المصحف وعاش الصحابة مع الرسول يقرؤون فيختلفون.

٣- لو كان الأمر كما قال جولدتسهير لصحت كل قراءة يحتملها الرسم ما دامت موافقة لوجه من وجوه العربية ، وليس الأمر كذلك.

٤- القراءة سنة متبعة ، ولذا أجمع القراء على الأخذ بالأثبت فى الأثر والأصح فى النقل وليس الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية، ومن ثم كان الرسم سببا فى حفظ الاختلاف الموجود أصالة ، لا سببا فى اختلافها.

ب- الحديث النبوى الشريف كان معرباً ، وأدله ذلك:

ما قاله د. صبحى الصالح: «ودقة المقاييس التى وصلت بها أحاديث النبى ﷺ

---

(١) السابق ٢٣ وما بعدها.

(٢) القراءات القرآنية ١٥/ ١٤١٥ – ١٩٩٥م.

تنهض حجة دامغة على أن أقواله نقلت معربة – أيضاً – فقد كان الرواة على نقل أحاديث النبى ﷺ أحرص منهم على أشعار الجاهليين وكانوا يعتقدون أن هذا الأمر دين فبالغوا فى رواية الحديث باللفظ وشددوا فى روايته بالمعنى. وأداء بعضهم شيئاً من الحديث بلهجاتهم لا يعنى أدائهم إياه متجرداً من الإعراب فهو على كل حال نطق عربى لا مطعن عليه، ولا شبهة فيه، وظاهرة الإعراب واضحة فيه»[1] .

ج- الشعر العربى كان معربا ودليل ذلك:

ما قاله د. جبل، حيث استشهد على ذلك بشواهد[2]:

أ) **شواهد تاريخية**: ومنها الإقواء، ومعناه اختلاف حركة روى البيت تكون فى القافية والتى يفترض أن تكون موحدة فى كل القصيدة، فإذا جاءت فى بيت لمقتضى إعرابى وجاءت فى الآخر مخالفة لمقتضى إعرابى آخر، أعاد الشاعر صياغة البيت ليوافق الأول، فهذه ممارسة حقيقة للإعراب.

وقصة النابغة [ت ١٨ق هـ] عندما لحن وأكفأ فهابوا أن يقولوا له فدعوا قينة تغنى شعره ففعلت، وعرف موضع اللحن وأعاد صياغة شعره، فهذا أيضاً دليل على وجود الإعراب فى الشعر قبل القرن السابع الميلادى، حيث إن هذا التصحيح كان فى حياة الشاعر.

ب) شواهد تحليلية، ولها صورتان:

١- علامات الإعراب مأخوذة من وزن الشعر الجاهلى.

٢- كل قصيدة تلتزم هيئة إعرابية واحدة.

وبثبوته فى الشعر الجاهلى يثبت وجوده فى العربية قبل أقدم شعر جاهلى وصل

---

(١) دراسات فى فقه اللغة ١٢٢، ١٢٣.

(٢) أصالة الإعراب ١٩، ٦٧ وما بعدها.

إلينا بمئات السنين ، لأن الظواهر اللغوية لا تولد كاملة ولا تنتشر فجأة ، وإنما تستغرق قروناً وقروناً لكى تصل إلى ما كانت عليه ظاهرة الإعراب من الكمال والإحكام والشمول والإحكام والشمول فى الشعر الجاهلى.

يقول الدكتور أبو المكارم: «الشعر الجاهلى ، وهو أقدم النصوص اللغوية التى بين أيدينا تتجلى فيه علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان ، وقصائده تدل دلالة واضحة على خضوع كامل لقواعد التصرف الإعرابى ، بحيث إذا اضطربت الحركة فيها اضطربت هذه القصائد فنيا وتخلخلت فى الوقت نفسه – تراكيبها وتناقضت معانيها ، وكذلك الأمر فى مقطوعات هذا الشعر إذ تقوم الحركة الإعرابية فيها بدور أساسى فى البناء الموسيقى»[١].

والقول بأن الشعر مصنوع وغير معرب يهدف إلى: « هز الثقة فى أصالة ألفاظ ذلك الشعر وتراكيبه، وفى أصالة معانى تلك الألفاظ والتراكيب ، وبما أن ذلك الشعر الجاهلى هو أهم وثائق أو شواهد عروبة ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه فإن الشك فى سلامة عزوه إلى العصر الجاهلى يعنى الشك فى أصالة عروبة معانى تلك الألفاظ والتراكيب ، وهذا يفتح الباب – والعياذ بالله – إلى الطعن فى حقيقة صورة العقائد والتشريعات الإسلامية المستخلصة من المصدرين السابقين»[٢].

د- ويرد على الزعم بأن النثر فى القرن السابع الميلادى خال من الإعراب، بقول د/ أحمد مختار عمر: «تشمل الشواهد النثرية نوعين من المادة اللغوية ؛ **أحدهما**: ما جاء فى شكل خطبة أو وصية أو مثل أو حكمة أو نادرة، وهذا يعد من آداب العرب الهامة ويأخذ فى الاستشهاد به مكانة الشعر وشروطه، **وآخرهما**: ما نقل عن بعض الأعراب ومن يستشهد بكلامهم فى حديثهم العادى ، دون أن يتحقق له من التأنق

---

(١) الظواهر اللغوية فى التراث النحوى ٢٣ ، ٣٥ .

(٢) نقد الاستغراب فى الدراسات اللغوية د. محمد حسن جبل ١٢٩/ التركى.

والذيوع مثل ما تحقق للأول»[(١)].

وبالقصة التى ذكرها ابن جنى والتى تدل على وجود الإعراب فى القرن الرابع الهجرى على لسان الأعراب الذين يؤخذ عنهم اللغة ، فما بالنا بالقرون قبله ، يقول ابن جنى: [وسألت يوما أبا عبد الله محمد بن العساف العقيلى الجوثى ، التميمى ــ تميم جوثة ـ فقلت له: كيف تقول: ضربت أخوك؟ فقال أقول: ضربت أخاك ، فأدرته على الرفع فأبى، وقال: لا أقول: أخوك أبداً ، قلت: فكيف تقول: ضربنى أخوك ، فرفع ، فقلت: ألست زعمت أنك لا تقول: أخوك أبداً؟ فقال: إيش هذا!! اختلفت جهتا الكلام».

- ثم يعلق ابن جنى قائلا: « فهل هذا إلا أدل شيء على تأملهم مواقع الكلام، وإعطائهم إياه فى كل موضع حقه ، وحصته من الإعراب على ميزة وعلى بصيرة ، وأنه ليس استرسالا ولا ترجيما ، ولو كان توهمه هذا السائل لكثر اختلافه ، وانتشرت جهاته ولم تنقد مقاييسه» [(٢)].

*** وأما الزعم بقصور النحو على بعض أبوابه كالإعراب والبناء ، يرد عليه بما يلى[(٣)]:**

أ- النحو عند النحاة عام شامل للإعراب والبناء وخصائص العربية ولكل حال تكون عليها الكلمة فى الجملة ولكل حال تكون عليها الجملة فى الجمل ..... .

ب- إن النحاة أنفسهم صرحوا بأن النحو يشمل قواعد الإعراب وغيره من المباحث التى تتعلق بالتقديم والتأخير ومركز الكلمة فى الجملة ومركز الجملة فى الجمل .

ج- أن النحو الذى بأيدينا واسع الأطراف، مترامى الجهات، ومباحثه كما

(١) البحث اللغوى عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر ٤٧/ ط٤/ عالم الكتب/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
(٢) الخصائص ١/ ٧٦ ، ٧٧.
(٣) النحو النحاة ٦٧ ، ٦٨.

تتعلق بالإعراب والبناء تتعلق بخواص التركيب واختلاف معانيها ، وبيان معانى حروف العطف وحروف الجر والاستثناء والتقديم والتأخير ... إلخ.

د- إن ما فهمه المؤلف من عبد القاهر ليس كما فهمه ، فما كان عبد القاهر يرى بالنحو قصوراً أو تقصيراً، وإنما كان يراه تاما شاملاً وإنما يريد أن يبين أن البلاغة مرجعها إلى المعنى ....

* **وأما القول بفقدان حركات الإعراب المعانى عند الأقدمين** يرده تقرير العلماء القدامى والمحدثين. فقد قرر الزمخشرى أن «الرفع والنصب والجر كل واحد منها علم على معنى ، فالرفع علم الفاعلية .... والنصب علم المفعولية .... والجر علم الإضافة.» ويشرحه ابن يعيش [ت ٦٤٣هـ] قائلاً: «ولولا إرادة جعل كل واحد منها علم على معنى من هذه المعانى لم تكن الحاجة إلى كثرتها وتعددها»[(١)] . ويقول الشيخ محمد عرفه: «كلام النحاة صريح لا لبس فيه أيضا أن الإعراب حكم معنوى ، وأنهم يرون أن الحركات دوال على معان ، وبينوا كل معنى وكل حركة تدل عليه ، والنحو كله مبنى على ذلك لا يمكن أن تفهم قواعده ، ولا أن تفهم اللغة العربية على ذلك ، وهو من الوضوح بحيث لا يخفى على مبتدئ فى تعلم النحو ، بله الدارسين له والمتخصصين فيه»[(٢)] . ويقول د. عبد الغفار هلال: «ونحن نميل إلى هذا الرأى الذى يثبت أن الحركات الإعرابية دوال على المعانى ، فلولاها ما عرفنا الفاعل من المفعول»[(٣)] . ويعترف الدكتور أنيس باعتراف بعض القدماء بهذا: «ومع هذا تمسك معظم العلماء بالحركات الإعرابية بل إن منهم من اعتبرها دلائل على المعنى ، فالمبرد وأمثاله ممن أبو إباء شديداً حذف هذه الحركات الإعرابية»[(٤)] .

---

(١) شرح المفصل ١/ ٧١ : ٧٣.
(٢) النحو والنحاة ١٢١.
(٣) علم اللغة بين القديم والحديث ٢٦٢.
(٤) من أسرار اللغة ٢٣٧.

واعترافه هذا فى مواجهة إنكاره وغيره لهذه الوظيفة.

* **أما القول بأن الفتحة ليست علامة إعراب** فيواجه بما قاله الأستاذ محمد عرفه: «لو كان غرض العرب من الفتحة الخفة فحسب للجئوا إلى السكون الذي هو أخف من الفتحة ، ولم يلجئوا إلى الفتحة التي هي أثقل من السكون ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك بل لجئوا إلى الفتحة ، فلما رأيناهم فعلوا ذلك علما أنهم تكلفوا الفتحة لغرض آخر غير الخفة ، وهو أنهم أرادوا منها ما أرادوه من أختيها من الدلالة على المعانى ، وقد فطن لذلك النحاة فقالوا أنها تدل على المفعولية وما أشبهها ، فالفتحة علم على معنى وليست حركة اجتلبت للخفة فقط ، وهى غفل عن المعنى»[1] .

* **كثرة التفريعات والتقسيمات يرد عليها بما يلى:**

١) قول الشيخ محمد عرفه: «إن النحاة لا يخالفون فى أن المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل داخلة تحت المسند إليه ، وأن كل واحد منها يسمى مسندا إليه ، ولكن الذى اضطرهم إلى تنويع الأقسام اختلاف الأحكام ، فلما وجدوا كل قسم يختص بأحكام تخالف أحكام القسم الآخر بينوا هذه الأقسام ، وأعطوا كل قسم ماله من الأحكام، وما زعمه المؤلف من اتحاد الأحكام تارة ، ومن كون اختلاف الأحكام مرجعه إلى تقدم المسند إليه أو تأخره تارة أخرى ليس صحيحا»[2] .ودعم الشيخ رده هذا الرأى بالأمثلة.

٢) قول الدكتور وافى:«إن دقة القواعد وتشعبها لا يدلان مطلقا على أنها مخترعة اختراعا ، فاليونانية واللاتينية مثلا فى العصور القديمة ، والألمانية فى العصر الحاضر ، تشمل كل واحدة منها على قواعد لا تقل فى دقتها وتشعبها عن قواعد

---

(١) النحو والنحاة ١٦٤ وينظر ص١٦٧.

(٢) النحو والنحاة ١٥٥.

اللغة العربية ، ولم يؤثر هذا فى انتقالها من جيل إلى جيل عن طريق التقليد ولا فى مراعاتها فى الحديث ، ولم يقل أحد أنها من خلق علماء القواعد»[١].

٣) قول الدكتور جبل : «قواعد الإعراب عند العامة لها صورة مجملة جداً يمكن تلخيصها فى أن ركنى الجملة الاسمية يرفعان ، وكذلك ما يسند إليه الفعل ... أن العربى يحس بهذه المعانى التركيبية مجملها [ركنى الجملة والمجرورات والمنصوبات ...] وتفاصيلها [هذا يعبر عن الحال ، وهذا بيان لجنس المقدار ...] إحساسا باطنيا معتمداً على القدرة اللغوية المفطورة فى الإنسان وصورة ممارستها التى ينشأ عليها ، وضمن ذلك الضوابط الإعرابية»[٢].

* **أ- دعوى اختلاق قواعد النحو دعوى مبنية على الاتهام أكثر منه على العلم** ، لأن القواعد مستنبطة من أرباب اللغة ، وبهذا أقر العلماء ، فهذا الدكتور وافى يقول : «إن خلق القواعد خلقا محاولة لا يتصورها العقل ، ولم يحدث لها نظير فى التاريخ ، ولا يمكن أن يفكر فيها عاقل ، أو يتصور نجاحها ، فمن الواضح أن قواعد اللغة ليست من الأمور التى تخترع أو تفترض على الناس ، بل تنشأ من تلقاء نفسها وتتكون بالتدريج ... لا يمكن أن نتصور أنه قد تواطأ معهم جميع العلماء من معاصريهم ، فأجمعوا كلمتهم ألا يذكر أحد منهم شيئا ما عن هذا الاختراع العجيب ، ولا يعقل أن يقبل معاصروهم هذه القواعد على أنها ممثلة لقواعد لغتهم ويحتذوها فى كتاباتهم ، اللهم إلا إذا كان علماء البصرة والكوفة قد سحروا عقول الناس واسترهبوهم وأنسوهم معارفهم عن لغتهم وتاريخها»[٣]. وهذا الدكتور جبل يقول بعد أن ساق عدة افتراضات مستحيلة ووهمية : «عمل لا صلة له بالعلم

---

(١) فقه اللغة ٢١٣.
(٢) أصالة الإعراب ٩٨ ، ٩٩.
(٣) فقه اللغة ٢١٣ ، ٢١٤.

ولا بأهله ، كما أن دعوى اختراع الإعراب خبط لا صلة له بالعلم ولا بأهله»[١]. إذ يترتب عليه تكذيب عشرات العلماء من أهل العربية والمؤرخين الذين ذكروا رحلاتهم إلى البادية.

ب – وأما رمى النحاة غيرهم باللحن ، فهو قول غير سديد ، لأنهم ما فعلوا ذلك إلا للحرص الشديد على اللغة « وهذا دليل شعور هؤلاء القوم بالإعراب واهتمامهم به»[٢].

ج- وأما عن السعى للحصول على المكانة والمنزلة ، فليس بمعقول ولا مقبول أن يصدر هذا من أولئك الذين – على حد تعبير د. وافى - : «كانوا يلاحظون المحادثة العربية فى أصح مظاهرها ، ويستنبطون قواعدهم من هذه الملاحظة ، وأنهم كانوا لا يدخرون وسعا فى دقة الملاحظة ، واتخاذ وسائل الحيطة ، حتى إنهم كانوا لا يثقون بأهل الحضر لفساد لغتهم ، ولا بالقبائل التى احتكت ألسنتها بلغات أجنبية كلخم وجذام وقضاعة وغسان وإياد وبكر وأزدعمان ، وأهل اليمن ، وأنهم كانوا يبذلون فى سبيل ذلك كثيرا من وقتهم وجهودهم ، فكانوا يرحلون إلى الأعراب فى باديتهم ويقضون عندهم الشهور ، بل السنين ، وعلماء هذا شأنهم دقة واحتياطا وإخلاصا لا يعقل أن يتواطئوا جميعا على مثل هذا الإفك المبين»[٣].

د- وأما دعوى اتهام النحاة لرواة الحديث بعدم الإعراب ، مما يترتب عليه عدم الاستشهاد بالحديث فمرفوضة لما سبق ذكره من الاستشهاد بروايات الحديث المختلفة فى الضبط الإعرابى عند العكبرى [ت٦١٦هـ] ونراه كذلك عند ابن مالك [ت٦٧٢هـ] حيث : «أكثر هذا المصنف من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على

---

(١) أصالة الإعراب ٩٧.

(٢) فصول في فقه العربية ٤٣٤.

(٣) فقه اللغة ٢١٣ ، ٢١٤.

إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب»[1] . وبذلك نؤيد د. أحمد مختار عمر فى قوله : «والذى نحب أن نلفت النظر إليه أن هؤلاء القدماء الذين نسب إليهم رفضهم الاستشهاد بالحديث لم يثيروا هذه المسألة ولم يناقشوا مبدأ الاحتجاج بالحديث ، وبالتالى يصرحون برفض الاستشهاد به ، وإنما هو استنتاج من المتأخرين الذين لاحظوا – خطأ – أن القدامى لم يستشهدوا بالحديث، فبنوا عليه أنهم يرفضون الاستشهاد به ثم حاولوا تعليل ذلك . وهناك أسباب كثيرة تحمل على الشك فى صحة ما نسب إلى الأقدمين من رفضهم الاستشهاد بالحديث ، بل إن هناك ما يقطع أنهم كانوا يستشهدون به ويبنون عليه قواعدهم سواء منهم من اشتغل باللغة أو النحو أو بهما معا ، ولهذا لا يسع الباحث المدقق أن يسلم بما ادعاه المتأخرون وسنده فى ذلك :

١ – أن الأحاديث أصح سنداً من كثير مما ينقل من أشعار العرب.

٢ – من المحدثين من ذهب إلى أنه لا تجوز الرواية بالمعنى إلا لمن أحاط بجميع دقائق اللغة.

٣ – كثير من الأحاديث دون فى الصدر الأول قبل فساد اللغة على أيدى رجال أقوياء فى اللغة.

٤ – هناك أحاديث عرف اعتناء ناقلها بلفظها لمقصود خاص.

٥ – إذا كان قد وقع فى رواية بعض الأحاديث غلط أو تصحيف فإن ذلك لا يقتضى ترك الاحتجاج بالجملة.

٦ – لو صح أن القدماء لم يستشهدوا بالحديث فليس معناه أنهم كانوا لا يجيزون الاستشهاد به.

---

(١) الاقتراح ٥٣.

٧- على أنى قد وجدت من قدامى اللغويين من استشهد بالحديث فى مسائل اللغة كأبى عمرو بن العلاء والخليل والكسائى والفراء والأصمعى ... »[١].

* **ودعوى عسر وصعوبة الإعراب** فأكذوبة سارت فى كيان الأمة سريان النار فى الهشيم ، فما زعموه من أن الإعراب صعب وعسير فى العربية : « لا تنفرد به العربية الفصحى وحدها ، بل هناك لغات كثيرة لا تزال تحيا بيننا وفيها من ظواهر الإعراب المعقد ما يفوق إعراب العربية بكثير ، فهذه اللغة الألمانية مثلا : تقسم أسماءها اعتباطا إلى مذكر ومؤنث وجنس ثالث لا تعرفه العربية ، وهو المحايد، وتضع لكل واحد من هذه الأجناس الثلاثة أربع حالات إعرابية ، هى حالات : الفاعلية والمفعولية والإضافة والقابلية ، والحالة الأخيرة حالة لا تعرفها العربية ، وهى إعراب المفعول الثانى فهى من حالات المفعولية فى العربية وليست حالة خاصة فيها. تلك حالات إعراب الاسم المفرد المعرف فى الألمانية . والمفرد المنكر له أربع حالات أخرى ، وكذلك الجمع المعرف والجمع المنكر . وبناء الجملة فى اللغة الألمانية له نظام صارم ، فالفعل يحتل فيها المرتبة الثانية دائما ، إلا فى الجمل الفرعية كالجمل التعليلية مثلا فإن الفعل يؤخر فيها إلى نهاية الجملة . وإن من يشكو من كثرة جموع التكسير فى العربية ، وغلبه الشذوذ على قواعد هذا الجمع فيها ، سيحمد للعربية الاطراد النسبى فى هذه القواعد إذا درس اللغة الألمانية ، ورأى كثرة صيغ هذه الجموع فيها ، وفقدان القاعدة التى تخضع لها تماما ، إلى درجة أن كل كتاب فى تعليم قواعد الألمانية تبدأ صفحاته الأولى بهذه العبارة : احفظ مع كل اسم أداة تعريفه وصيغة جمعه ، لأنه ليست هناك قاعدة لذلك»[٢].

---

(١) البحث اللغوى عند العرب ٣٣ : ٣٨.

(٢) بحوث ومقالات فى اللغة د. رمضان عبد التواب ١٦٦ ، ١٦٧ / ط ١ / مكتبة الخانجى/ بالقاهرة/ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م.

* **وأما عن خلو اللغات الأولى من الإعراب** ، فقد رد عليه كثير من العلماء، ومن أقوالهم:

أ- «السامية الأولى كانت تفرق بين حالة الرفع بوصفها تحديد للمسند إليه وربما المسند أيضا بالنهاية : u وحالة الجر بوصفها حالة تحديد للاسم بالنهاية : i ، وأخيراً حالة النصب بوصفها تحديد للفعل بالنهاية : a ... وقد احتفظت العربية القديمة بحالات الإعراب الثلاث الرئيسية سالمة»[١].

ب – «الإعراب سامى الأصل ، تشترك فيه اللغة الأكادية وفى بعضه الحبشية ، ونجد أثاراً منه فى غيرها»[٢].

ج- «احتفظت العربية الفصحى فى ظاهرة التصرف الإعرابى بسمة من أقدم السمات اللغوية التى فقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية القديمة»[٣].

د- «وجود الإعراب كاملا فى بعض اللغات السامية القديمة كالأكادية وتشمل اللغتين: البابلية والأشورية فى عصورهما القديمة»[٤].

هـ- «تغير الحركات فى أواخر الكلمات موجود فى كثير من اللغات السامية ، تدل على ذلك البقايا التى توجد فى العبرية والحبشية والأكادية والنبطية ، بل أثبتت الدراسات أن اللغة الأكادية قد عرفت الحركات الثلاث فى نصوصها القديمة»[٥].

* **وأما عن خلو اللهجات العربية من الإعراب فيرد عليه بما يلى:**

أ- قول د. على وافى : «عدم وجود هذه القواعد فى اللهجات العامية الحاضرة ،

---

(١) فقه اللغات السامية لبروكلمان ١٠٠ / ترجمة د. رمضان عبد التواب / الرياض / ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧م.

(٢) التطور النحوى للغة العربية براجشتراسر ١١٦ / ترجمة د. رمضان عبد التواب / مطبعة المجد / ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م. أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل د. عبد الغفار هلال ٥٧/ ط١/ دار الطباعة المحمدية/ ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

(٣) العربية يوهان فك ١٥.

(٤) فصول فى فقه العربية ٣٣٨.

(٥) الظواهر اللغوية : ٢٩ ، ٣٠ .

لا ينهض أن يكون دليلا على أنها لم تكن موجودة فى العربية الأولى ، فقد انتابت أصوات اللغة العربية وقواعدها فى هذه اللهجات كثير من أصناف التغير والانحراف ، وخضعت لقوانين التطور الصوتى وهو ضعف الأصوات الأخيرة من الكلمة وانقراضها ، فبعدت بعداً كبيراً عن أصلها، لأن التطور شمل مفرداتها وأوزانها ودلالتها»(١).

ب – قول د. صبحى الصالح : «لم تتجرد اللهجات العربية الحديثة كلها من آثار الإعراب، فلم تبرح هذه الآثار ظاهرة فى أقوال البداه فى مواطن متفرقة من العالم العربى»(٢).

ج- قول د/ السامرائى : «على أننا لا يمكن لنا أن نجعل من خلو اللهجات الدارجة من الإعراب دليلا على أن الإعراب ظاهرة لم تكن موجودة فى العربية الأولى»(٣).

هـ- قول د.جبل : «هذا قول باطل ، لأن لدينا بالفعل آثارا إعرابية فى لغة الحياة اليومية ينبغى أن نذكر منها ما سجله العلامة ياقوت الحموى [ت ٦٢٦ هـ] ».

*** أما عن زعم أن سبب الحركات توالى المقاطع والحروف فمردود بالآتى :**

«أن متطلبات النظام المقطعى فى اللغة العربية لا تتطلب كون الحركة مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة ، بل يكفى مجرد الحركة ليكون المقطع مفتوحاً ، ومن ثم ، فإن هذا التطلب لا يفسر اختلاف حركات الإعراب من ضم أو فتح أو كسر»(٤).

*** أما دعوى الإعراب بالحركات الفرعية من تلفيق النحاة وتفسيره:**

فيرد عليها د. البركاوى ، قائلاً :

---

(١) فقه اللغة ٢١٤.

(٢) دراسات فى فقه اللغة ١٢٥.

(٣) فقه اللغة المقارن ١٢٢ والتطور اللغوى التاريخى ٥٦.

(٤) مقدمة فى فقه اللغة العربية واللغات السامية ١٣٦.

أ- من ناحية الشيوع: «فضلا عن كونها بدون دليل ، لأن أحداً لم ينقل إلينا أن بعض القبائل كانت تلتزم بالياء ، ولو حدث ذلك لنقلوه كما نقلوا إلينا أن قبيلة بنى الحارث بن كعب وغيرها كانت تلزم الألف فى المثنى فى جميع حالاته . ولاقتصار هؤلاء على الألف فى جميع حالات المثنى تفسير آخر ، وهو أن هؤلاء المستعربين قد تأثروا بلغتهم الأولى الحميرية»(١) .

ب – ومن ناحية المخالفة : فيقول : « تفسير اختلاف إعراب الأسماء الستة لا يمكن أن يكون صحيحًا إذ لم ينقل عن أحد أن كلمة : ذو : نطقت مضعفة ، ثم إن حركة المخالفة ألف المد التي التزمت بها إحدى القبائل لم يقابلها جعل هذه الحركة واوًا أو ياءً فى قبائل أخرى ، ثم لماذا اقتصرت هذه المخالفة على : أب + أخ ... إلخ ، ولم نجدها فى يد، ودم وغير ذلك من الأسماء الثنائية»(٢) .

*** أما عن نظرية القرائن فمردودة لما يأتى:**

أ – قول د. جبل ، بعد أن تحدث عن نظرية القرائن عند د. تمام حسان ، وكيف أنه أكد أن أهم قرائنها هى : قرينة الإسناد ، ثم هاجمها بعد ذلك ، وأنه لم يقل سر أهمية هذه القرينة، وهو : ارتباطها بالمعنى المعجمى أو اللغوى ... يقول : «والمعنى اللغوى هو الذى قضى بذلك الإعراب ، ولا يخفى أن للنوع النحوى للكلمة أثراً فى هذا الإعراب أيضا لكنه أثر مساعد للمعنى المعجمى ، وإذا كان الإسناد هو مناط تحديد أركان الجملة بناءً على المعنى المعجمى ، وتتأثر المواقع النحوية لسائر مكونات الجملة به فإذا كان الحكم الإعرابي لسائر القرائن التى ذكر د. تمام من أثر فى إعراب الجملة وحصيلة معناها إلا قدر تكميلي ، ثم إن جمهور ما ذكره د. تمام من تصنيفات أو معلومات نحوية هو من جهود القدماء جئ بها مسبوقة بمصطلح قرينة أو علاقة أو مبنى ، أو معنى نحوى أو ما إلى ذلك مما ينفى الجدة الحقيقية عن نظرية القرائن .

---

(١) السابق ١٣٧ .

(٢) مقدمة فى فقه اللغة العربية واللغات السامية ١٣٦

واستفاءاً لما بدأ رداً على الاستغراب بهذه النظرية نقول : إنه إذا كان الإعراب يطرد مع العوامل اللفظية [حروف الجر والنصب والجزم والأفعال المنعدمة ...] وجوداً وعدما ، ثم يتغير تبعا لتغيرها وبما يلائمها على ما استقرى فى التراث فإن الكلام عن إرجاع الضبط الإعرابى إلى تأثير العوامل أو إلى المتكلم أو غيرهما يصبح من باب الجدل اللفظى ، وبهذا أو ذاك يسقط ما قامت عليه نظرية القرائن»(١) .

ويقول فى موطن آخر : «هذا جانب يفرض مواجهته الكلام عن أصالة الإعراب وجدواه، لأن تصوير الإعراب بأنه مجرد قرينة واحدة ضمن سبع قرائن يوصل بمجموعها إلى المعنى التركيبى هو وجه للتهوين من شأن الإعراب ، يساند الدعويين : عدم أصالة الإعراب وعدم جدواه»(٢) .

ب- قول د. البركاوى : «إن دعوى الاستغناء بالقرائن المتضافرة عن العوامل لا يفسر بحال اختلاف العلامات الإعرابية باختلاف المواقع ، أو فلنقل الوظائف النحوية التى تشغلها الكلمات فى الجمل العربية ، كما أنه لا يمكن التسليم بأن تضافر القرائن هو المسئول عن ترخص العرب فى ترك العلامة الإعرابية ، وإلا لكان للسائل أن يسأل : أليس لنا أن نترخص فى ترك الإعراب كما كانوا يترخصون ؟ أى إذا فهم المعنى بدون هذه العلامة ، وليس بمغن فتيلا أن يقول د. تمام بأن العرب كانوا يترخصون لأنهم أصحاب سليقة أما نحن فلا ، وذلك لأن الإعراب وإن كان قرينة تدل على المعنى النحوى ، إلا أنه قرينة أساسية وليس من القرائن الفائضة ، ويكون الملمح فائضا إذا فقد صفته التمييزية أو الفارقة»(٣) .

*** أما عن شبهة أن اللغة العربية لا تواكب العصر ، فنرد عليها بما يلى:**

لقد كان من شرف العربية أن اختارها الله لتكون لغة كتابه الأعظم ، وكان ذلك

---

(١) نقد الاستغراب ٨٣ ، ٨٤.

(٢) أصالة الإعراب ١٧٧ وينظر ما بعدها.

(٣) مقدمة فى فقه اللغة العربية ١٤٠.

لحكمة من المولى سبحانه وتعالى ، لما تملك هذه اللغة من خصوصيات لغوية تجعلها أقدر على تحمل ما ورد فى هذا الكتاب من معان ، بل إن الإسلام دفع بالعربية إلى ارتياد أفاق العلم التجريبى حتى صارت لغة العلم كما هى لغة الدين والأدب ، ولم يطرأ على العربية شيء يخلع عنها هذا الثوب الذى كساها به الإسلام ، فهى لغة صالحة لتكون لغة للعالمين ، بصلاح الإسلام دينا للعالمين [(١)] ، غير أن لغتنا تواجه معارك محتدمة بينها وبين أعدائها من أجل البقاء ، وكنا نحسب هؤلاء الأعداء من الخارج من أمثال المستشرقين لكن للأسف فجعت العربية فى أبناءها فكانت المصيبة أكبر لأنها أخذت تقاتل فى نفسها ، فما أصعبها من معركة ، لأنا نعرف أغراض المستشرقين ، فهم يكيدون للإسلام ويريدون إبادته تماما ، فيحاولون أن يزعزعوا أهم دعائمه وأركانه ، وهى اللغة العربية ، أما يا ترى ! ما هدف أبناءها أمثال شريف الشوباشى ؟!!

ما زعمه وذهب إليه شريف الشوباشى قديم جديد ، فليس هذا بغريب على واحد ثقافته أجنبية، وقد درس الإنجليزية وعشقها ، وذلك واضح من كلام أبيه أ. مفيد الشوباشى الذى قال عنه ابنه : «كان أفضل من يجيدون العربية فى مصر»[(٢)] ، وقال عنه أ. مصطفى عبد اللطيف : «للأستاذ محمد مفيد الشوباشى جولات مشهورة فى عالم الأدب والشعر والترجمة من أكثر من أربعين عاما ، وروايته الأخيرة : الخيط الأبيض ، من الروايات القيمة الموجهة» [(٣)].حيث كان –كما يقول شريف الشوباشى- : «كان يغضب منى لكثرة استخدامى للجملة الاسمية ... وكان يتهمنى بالتأثر باللغات الأجنبية»[(٤)] ، وهكذا فإن أول من نقد شريف

(١) العربية لغة العلوم والتقنية ٧.

(٢) لتحيا اللغة العربية ٢٠٣.

(٣) دراسات نقدية فى الأدب المعاصر أ. مصطفى عبد اللطيف السحرتى ٢٣ / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٧٩م.

(٤) لتحيا اللغة العربية ٢٠٣.

الشوباشى هو مفيد الشوباشى ، فنراه درس الإنجليزية ولم يدر عن العربية شيئاً، وهذا مما يؤسف ! أن يكون أولاد العلماء فى اللغة لا يعرفون شيئا عن اللغة ، ترى لماذا ؟ أهى عقدة الخواجة عند المصريين والتى يظهر آثارها فى اللغة : «وعقدة الخواجة والإحساس بالدونية أمام الآخر يطفوان ويتضاعفان بسبب ما أُصبنا به فى أرض العروبة والإسلام من الإحباط فى أكثر الميادين ، ورأينا لغة الأجنبى تزاحم لغتنا»[١] .ولننادى بأعلى صوت كل علماء اللغة ، إذا أردتم الإصلاح فابدؤوا من بيوتكم وأهالكيم يكن لكم ما تتمنون من الإصلاح عندئذ ولا نرى أحدا مثل شريف الشوباشى ينادى بالعامية ويستبيحها ، فيقول : « ... فمن اللازم أن يكون هدف التطوير هو تخليق لغة وسط ، بدأت تظهر بالفعل من خلال لغة الصحافة ، وخاصة منذ بداية القرن العشرين . ويجب السير فى هذا الاتجاه ، ومحاولة إيجاد صيغة تعتبر قاسما مشتركا أعظم بين كل اللهجات العربية»[٢] .وهكذا يرى شريف أن التطوير هو إيجاد لغة وسط ، ولا ندرى كيف ذلك ؟ هل يريد الازدواجية فى اللغة ؟ التى سماها هو الشيزوفرينيا ، كيف ذلك ؟ وهو يقول : «مع زيادة نسبة التعليم المضطردة فى العالم العربى سوف تتحول مشكلة الشيزوفرينيا إلى أزمة تضاف إلى أزمات العقل العربى فى القرن الحادى والعشرين»[٣] .ثم كيف يدعوا إلى لغة وسط وهو يقول : «بل إن المتعلمين من العرب يخلطون فى عقلهم الفصحى والدارجة وكأنهما لغة واحدة أو وسيلتان للتعبير بينهما تقارب شديد لكن الواقع أن الفارق بين الفصحى واللهجات يكاد يوازى الفارق بين لغات مختلفة ... ولو فكرنا قليلا بموضوعية يتضح لنا أن هذا الوضع غير طبيعى وأنه يكلف العقل العربى إرهاقا ذهنيا يحط من قدراته كما يشتت ملكاته الفكرية، ولأن الإنسان كما هو

---

(١) اللغة العربية ضرورة قومية ١٠.

(٢) لتحيا اللغة العربية ٢٠٠.

(٣) لتحيا اللغة العربية ١٥١.

معروف لا يفكر بطريقة مجردة ، وإنما من خلال كلمات تتشكل فى عقله ، فإن العربى مهدد بانفصام فى التفكير : هل يفكر بالفصحى أم بالعامية وأيا كانت الإجابة فمن المؤكد أن هناك تشويشا فى عقله لا يساعده على الوضوح الذهنى»[١] .

نقول له : ما هذا التناقض يا شوباشى ، أنت تقول الفرق بين العامية والفصحى كبير ، فماذا نفعل ؟ نتحدث بالعامى الفصيح ! وماذا يعنى العامى الفصيح ؟ أتنحت اللغتان لتكونا لغة واحدة مع وجود الفارق الكبير بينهما ؟!!! ثم ما هذه الاتهامات الصريحة التى توجهها للعقل البشرى العربى ، ألم يستطيع العربى أن يفرق بين لغته الأصلية وما هو دخيل عليه ؟! العرب بخير وعندهم طاقات هائلة ، ولكن عليهم استخدامها وتوجيهها التوجيه الصحيح ، يكن لهم ما يتمنون من إعادة مجدهم القديم فى كل المجالات ، وأول خطوة فى هذا التوجيه الصحيح العودة إلى اللغة الفصحى ، وهم قادرون عليها وعلى إحصاء كل جذورها ومعانيها ، وهذه إمكانات وهبها الله لهم ولولاها ما أعطاهم العربية وما خصهم الله بها ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] .

ثم إن لهذه اللغة الوسط الذى ينادى بها الشوباشى أضرارا كثيرة منها [٢]:

١ – إنها تهدم بناية التصانيف العربية بأسرها ، وتذهب بالكثير من جهود علمائنا المتقدمين ، لأنهم كانوا يتكلمون الفصحى ولا يعرفون شيئا عن الوسطى هذه ، وبالتالى الوسطى لا تعرف شيئا عن أعمالهم.

٢ – إن العرب سيضطرون معها إلى ترجمة القرآن الكريم إلى هذه الوسطى ، مما يفقده الكثير من سحره وإعجازه وتأثيره فى النفوس.

---

(١) السابق ١٥١ ، ١٥٢.

(٢) ملخصة من فقه اللغة العربية وخصائصها ١٦٩.

٣- كل قطر عربى سوف يعتمد على لهجته الخاصة به لأنه لا يعرف غيرها ، مما يؤدى إلى إضعاف التواصل بين الدول العربية وتفككها.

ويعقب د. إميل قائلا : «الذى نراه من محاسن الفصحى أكثر من مساوئها ، ومساوئ العامية أكثر من محاسنها ، وأنه إن كان من أهم مقومات الثقافة أن يتقن الإنسان عدة لغات ... فأحرى بالعربى أن يتعلم بالدرجة الأولى لغة تراثه وقرآنه وأداة تفاهمه مع مواطنى الدول العربية الأخرى»[١].

بقى أن نشير ونحن نتحدث عن علاقة اللغة بالفكر ، وأثر الثنائية العامية والفصحى فيه واللغة الوسطى التى ينادى بها الشوباشى إلى ثلاثة أمور:

١- بارتباط اللغة بالفكر تصبح معينا للتراث وقطعه من تاريخ الأمة ، وسجلا صادقا للكثير من آدابها ، وعلومها وضروب تفكيرها ، وهكذا نجد للغة العربية الفصحى دوراً أساسيا فى ربط حاضر الأمة بماضيها.

٢- كتابة الإنتاج الفكرى العربى باللغة الفصحى على مر العصور قد جعل هذه اللغة أكثر صلاحا من العامية ، لتدوين مختلف العلوم ، كما يسهل تبادل الإنتاج الفكرى بين الدول العربية كافة.

٣- اللغة تخلق نوعا من الشراكة فى الفكر والإحساس بين المتكلمين بها مما يجعلها أحد مقومات الوطن والقومية ، ومدعاة للوحدة الوطنية ، ورابطا قويا يجمع الدول العربية الناطقة بها[٢].

وها هو ماريوباى يتحدث عن أضرار اللغة المقترحة ، قائلا : « وتظهر آثار هذه الآراء بوضوح فى إهمال تدريس الهجاء وعلامات الترقيم والأصول النحوية فى مدارسنا الآن ، كما تظهر أيضا فى إعراض الجيل الجديد عن القراءة خاصة والكتابة أنه أسهل علينا أن نتحدث ، ولو نظرنا لهذه المشكلة العلمية نظرة موضوعية جادة

---

(١) السابق ١٧١.

(٢) فقه اللغة العربية ١٦١.

لاتضح لنا أنه بالرغم من الظواهر التى قد تدل على احتمال اختفاء لغة الكتابة ، إلا أن هذا الاختفاء لا يمكن أن يكون وشيك الوقوع ، ولا ينبغى أن نشجع أفراد هذا الجيل على اعتناق الأمية»[١] .

بالفعل نعم لأن اللغة الوسطى التى ينادى بها الشوباشى ليس لها حروف هجاء ولا نعلم عنها أى شيء فهى غيب لا يعلمه إلا الشوباشى ، أم هل الشوباشى ينادى بإلغاء اللغة المكتوبة ، التى هى المحافظة على الاستعمالات القديمة ، والتخلف عن مجاراة اللغة المنطوقة ؟ هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فإنه لما كانت الكتابة لا تملك ما يملكه المتكلمون من مناسبة وحركات ونغمة فى الصوت توضح الكلام الملفوظ ، فإنه لابد لها من أن تستخدم فى دقة قواعد النحو مفردات اللغة استخداما محكما فاللغة المكتوبة توضح الصيغ النحوية ، كما توضح قيمة المفردات وهى من هذه الناحية عظيمة القيمة»[٢] . الشوباشى ينادى بإلغاء التشكيل ، وهو له قيمة وفائدة عظيمة يحكيها هذا الموقف : «قال زهير لرجل : تعلم النحو ، قال وأى شيء أصنع بالنحو ؟ قال : إن بنى إسرائيل كفرت فى كلمة ، أنزل الله تعالى فى الإنجيل : أنا ولّدت عيسى ، فقرؤوها مخففة : ولَدت عيسى ، فكفروا ، وقال الله ﷻ فى الإنجيل لعيسى ﷺ : (أنت نبى وأنا ولدتك) مثقل فحرفته النصارى ، وقرأوا : أنت بني وأنا ولدتك مخفف»[٣] .هذه واحدة من قصص كثيرة لا تحصى ولا تعد ، تدلك على أهمية التشكيل فى العربية.

ونراه ينادى بإلغاء الجملة الفعلية وذلك لأنه : « يجد الجملة الاسمية أقرب إلى التعبير عن المعنى الذى يقصده»[٤] ولا ندرى من هو حتى يحكم على لغة كاملة

---

(١) لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها ماريوباى ١١٤ ، ١١٥ / ترجمة د. صلاح العربى / قسم النشر بالجامعة الأمريكية / القاهرة / ١٩٧٠م.

(٢) علم اللسان بقلم . أنطوان ماييه ٤٤٦ / دار نهضة مصر للطبع والنشر / القاهرة / بدون تاريخ.

(٣) الإبانة ١ / ١٧.

(٤) لتحيا اللغة العربية ٢٠٣.

برأيه ، ومع ذلك يرد عليه الشيخ على الجارم [ت١٣٦٨هـ] قائلا : « تقتضى العقلية العربية أن تكون الجملة الفعلية الأصل ، والغالب الكثير فى التعبير لأن العربى جرت سيلقته ودفعته فطرته إلى الاهتمام بالحدث فى الأحوال العادية الكثيرة ، وهى التى لا يريد فيها أن ينبه السامع إلى الاهتمام بما وقع منه الحدث ، أو التى لا يهتم هو فيها بمن وقع منه الحدث ، فالأساس عنده فى الإخبار أن يبدأ بالفعل ، فيقول : عدا الفرس ، ورعت الماشية ، وعاد المسافر ، وقد يلتجئ العربي إلى الجملة الاسمية ، إذا كان القصد إلى الفاعل وإلى الإسراع بإزالة الشك فيمن صدر منه الفعل ، فيبدأ بذكره أولا قبل أن يذكر الفعل لكى يخصصه به أو لكى يبعد الشبهة عن السامع ويمنعه أن يظن به الغلط أو التزيد»[١] .

ونراه ينكر كثرة الحروف الصوامت فى العربية ، وقلة الحركات ويقارن بينها وبين لغته التى عشقها الإنجليزية ، ولكن يعلل أحد العلماء لذلك قائلا : «ويُعلل الغنى فى صوامت هذه اللغات بكون اللغات السامية لغات اشتقاقية تقوم الصيغ فيها على نظام الجذور ، وهى فى معظمها تتكون من ثلاثة أصوات صامتة تعبر عن المعنى الأساسى ، ثم يحدد معنى الكلمة الدقيق ووظيفتها بإضافة الحركات ، وكذلك بإضافة مقاطع من حروف فى صدر الكلمة أو وسطها أو آخرها ، فالحروف الثلاثة (ك – ت – ب) مثلا هى الجذر الأساسى للكتابة»[٢] .

ونراه ينكر على العربية أن الكلمة الواحدة يمكن أن تكون جملة باحتوائها على الفعل والفاعل أليس هذا من أهم خصائص العربية وهو الإيجاز ؟ ! كما ينكر أن تكون كلمة واحدة تكتب بطريقة واحدة لها أكثر من عشر دلالات ، وكلمة فى لغة تشكل بالحركات لإعطاء هذه الدلالات للغة غنية ثرية دقيقة ، وتعبر عن قائلها ، فالحركة أحيانا تغنى عن جملة كاملة ، وهذه قوة مضافة إلى العربية ، ولم تتوفر فى أى

---

(١) الفعل زمانه وأبنيته د. إبراهيم السامرائى ٢٠٥ ، ٢٠٦ / ط ٤/ مؤسسة الرسالة / ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.
(٢) فى الأصوات اللغوية ١١٧ ، ١١٨ .

لغة أخرى ، ولا يسبب ذلك لبس ولا غموض على أصحاب اللغة الذين اهتموا بها وعرفوا دقائقها وعشقوها ، ثم ما الجديد الذى يريد اختصاره فى هذه الكلمة ؟!

ثم نراه يطالعنا بإلغاء القواعد الخاصة بالأرقام من تذكير وتأنيث ، لا ندرى لماذا ؟! ألعدم جدواه وفائدته ؟ نقول إن له فائدة كبيرة فى اللغة العربية قائمة على التمييز بين التذكير والتأنيث ، فلابد هنا من التمييز بالمغايرة على سنة اللغات جمعاء ، حيث يقضى الأمر بالمغايرة قصداً عند اختلاف الدلالة ، وقياسا على سنة المغايرة ، يجب أن يقال : ثلاث نساء إذا قيل ثلاثة رجال ، أو يجب أن يكون عدد (ثلاث أو أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان أو تسع أو عشر) دالاً على معدود مؤنث عند حذف المعدود ، ويستقيم العدد بالإضافة من ثلاثة إلى عشرة ، فيقال : ثلاث رجال ، وعشر رجال ، ويستقيم المضاف إليه بصيغته الجمع لأنه يدل على أفراد معدودين ، فإذا انتقلنا إلى المركب مع العشرة فالتمييز هنا هو الإعراب الصحيح لاسم المعدود ، وخمسة عشر رجلا أوفق للعدد المركب من خمسة عشر رجال ، ثم ننتقل إلى عشرين وثلاثين إلى التسعين فنقابل بين قولنا : عشر رجل، على الإضافة ، وقولنا : عشرون رجلا ، على التمييز ، فلا يتردد صاحب الذوق اللغوى فى اختيار التمييز وتفضيله على الإضافة»[(١)].

- ويطالب إلغاء المفعول وتنوينه ، ويرد عليه بما يأتى:

ونون الاسم الفريد المنصرف إذا اندرجت قائلا لا تقف

التنوين يختص بالاسم المنصرف لخفته ، ولأجل التنوين اللاحق بآخره سمي منصرفًا، فكأن التنوين لما دخل عليه أحدث فيه تصريفا ، والصريف صوت البكرة عند الاستقاء»[(٢)] والدلالة هى قوام اللغة ووظيفتها ، ومقياس كفايتها واتقائها عند

---

(١) أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ، عباس محمود العقاد ٨٢ / ط ٦ / دار المعارف.

(٢) شرح ملحة الإعراب للحريري ٢٤/ تعليق : كامل مصطفى الهنداوى / ط ١ / دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان / ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م.

المقارنة بين اللغات ، ولهذا كانت عوامل التعريف والتنكير وأدواتها فى مقدمة المقاييس التى تعرف بها درجة اللغة من الكفاية والارتقاء ، لأن التعريف والدلالة عمل واحد ... ويجب أن نفهم أن هذا من عمل القاعدة وليس من عمل المصادفة ، لأنه مطرد فيما يقابل هذه الحالة أو يناقضها»[١] . والتنوين تعريف وله أهميته كما وضح ذلك .

– وينادى بإلغاء المثنى لا لشيء إلا لأنه انقرض من جميع اللغات ، وهل هذا قياس يا شوباشى ؟! عرفنا أن اللغة العربية لها مميزاتها الخاصة بها ومعانيها الدالة على قوامها ، والتى تتميز بها عن جميع اللغات ومن ذلك المثنى فإن العربية تستعمله لإزالة اللبس ، ووضوح المعنى الذى يريده الشوباشي وليس من معاندة قواعد اللغة ، إذن فائدته أنه يزيل اللبس ويوضح المعنى ، ودقته فى أنه يحدد المراد بدقة ويضيف جمالا على لغتنا ودقتها بين اللغات.

– وينادى بإلغاء المؤنث ، والمؤنث له حكمته فى اللغة : «إن المتكلم لا يحتاج إلى تمييز بين المذكر والمؤنث لأن إشارة المتكلم إلى نفسه كافية للتعريف بجنسه ، ولكن ضمير المخاطب يحتاج إلى التمييز كما ميزته اللغة العربية ، فتقول للرجل : أنت كتبت بفتح التاء ، وتقول للمرأة أنت كتبت بكسرها»[٢] .

– وينادى بإلغاء الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة ولكن لها فائدة: «فالضمائر وأسماء الإشارة ، وأسماء الموصول ، والأعلام موجودة فى جميع لغات الحضارة ، ولكنها – فى اللغة العربية – توجد مميزة يحتاج الأمر إلى التمييز ، وبمقدار الحاجة إليه ، وكثيرا ما تأتى جزافا فى غيرها من اللغات»[٣] .

---

(١) أشتات مجتمعات ٧٧ ، ٧٩.

(٢) السابق ٧٨.

(٣) أشتات مجتمعات ٧٨.

- ولو أمعنا النظر فى كل ما نادى الشوباشى بإلغائه نجده من أهم مميزات اللغة العربية وخصائصها التى تختص بها بين لغات العالم وكأنه يريد أن يقضي على ما يميزها ، ولو استجبنا له لوجدنا لغتنا العربية مضطربة أشد الاضطراب ، ولا يكون ذلك إلا عند المرضى العقليين ، حيث أن هناك تجربة أجريت مقارنة بين مرضى الفصام «وهى الفئة الثانية من فئات الذهان أو الأمراض العقلية»[(١)] . وبين الأسوياء لمعرفة اضطراب اللغة والتفكير كمظاهر مميزة للمرضى العقليين ، وكانت النتيجة : «أن جميع الاختبارات التى وظفت لقياس فهم اللغة ، قد برهنت على حدوث اضطراب عام فى فهم اللغة لدى مرضى الفصام المزمن»[(٢)] .

أما عند الأسوياء فاللغة بيان ، «يقول علماء اللغة ورجال البلاغة والبيان العرب : إن العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم ، بل إن حياة العلم البيان ، وقال أحدهم : ليس لعيي مروءة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولو حك بنافوخه عنان السماء، وإذن فلو قلت حصيلة المرء من مفردات اللغة وصيغها وتراكيبها ، والتى تعتبر أدوات البيان ووسائله الأولى تضاءلت قدرته على الإفصاح بما احتواه فكره من معارف ، وعجز عن نقل ما يمكن أن تبدعه مواهبه من معان وأفكار ، وبالتالى تعذر أو تعثر إنتاجه وعطاؤه الفكرى لمجتمعه ، وتعذرت أو تعثرت قدرته على المشاركة فى البناء الحضارى»[(٣)] .

فشريف الشوباشى درس الإنجليزية ولم يدر عن لغته شيئا فاستباح العامية [الوسط] ونادى بها وأراد لها الانتشار والتعلم والكتابة وغيرها على حساب اللغة

---

(١) سيكولوجية اللغة والمرض العقلى د. جمعة سيد يوسف ١٩٨ / عالم المعرفة / الكويت / ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) السابق ٢٤٩ ، ٢٥٠.

(٣) الحصيلة اللغوية . أهميتها - مصادرها - وسائل تنميتها د. أحمد محمد المعتوق ٧٥/ عالم المعرفة / الكويت / ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

الفصحى ، ومن هنا رمى الفصحى بالصعوبة والتعقيد ، بينما هى لغة سهلة ميسرة ، يقول محمد المبارك : «فأشكال الألفاظ فى العربية هى من جهة أبنية وقوالب وهيئات ، ومن جهة أخرى : أوزان موسيقية تدركها الأذن بسهولة ويسر فيدرك السامع جزءاً من المعنى بمجرد إدراكه وزن الكلمة ، واتفاق الألفاظ فى الوزن دليل فى غالب الأحوال على الاتفاق فى قالب المعنى أو نوعه كالآلية أو المكانية ، أو التفضيل أو المفعولية ، وإن بين أوزان الألفاظ فى العربية ودلالالتها تناسبا وتوافقا»[(١)] .

ويدلك –أيضا– على سهولة اللغة الفصحى أن الطفل إذا نشأ بين أناس يتكلمون اللغة الفصحى يتعلمها تلقائيا بسهولة ويسر بدون أدنى معاناة : ترى الطفل أول ما يلْغَى ويتحرك لسانه بالكلام يكون ذلك منه بالحروف السهلة على النطق ، فإذا أدرك الأشياء أخذ يطلق عليها من هذه الحروف ما لا يخلو من مناسبة مع اسمها الموضوع لها فى اللغة التى فُتق عليها سمعه ، فإذا اتسع إدراكه وانطلق لسانه بالحروف الأخرى قلّد من هم حواليه بما يسمعه منهم من إطلاق الألفاظ على معانيها ، وهو فى ذلك ينتقل فى كلامه من لغو الأطفال إلى لثغة الوليد إلى تمرين الصبى، ثم إلى لهجة العشيرة ، فتهذيب المدرسة ، وهكذا تلقن اللغة[(٢)] ففى المقام الأول ينقل المحيط الإنسانى الذى يتصل به الطفل عادة اللغة التى سوف يُقبل الطفل على اكتسابها ويجسد هذا المحيط إذاً نظام القواعد الخاصة بالجماعة اللغوية ودوره دور أساسى على الصعيد اللغوى بالمعنى الدقيق ... يتطور الطفل خلال

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل فى التجديد والتوليد لمحمد المبارك ٢٨١/ دار الفكر.

(٢) مولد اللغة للشيخ أحمد رضا ٢٨ / تقديم د. نزار رضا / دار الرائد العربى / بيروت / لبنان / ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.

تعلمه التكلم فى بيئة فيزيائية واجتماعية لا تنفصل عنها اللغة على نحو ما ، وذلك باعتبار أن اللغة تعود مع مظاهرها الدلالية إلى هذه البيئة بالضرورة [١] .

– إذن فصعوبة اللغة وسهولتها نحن المسئولون عنها وليست اللغة ، ويصرح بذلك د. فتحى قائلا : «والحقيقة أن العيب ليس فى اللغة وإنما هو فى أهلها الذين يريدونها أن تُتعلم من غير تعلم ، وأن تُدرك من غير مجهود ، وأن يتعمقها الدارسون والمتلقون دون عناء أو مشقة وذلك ضرب من العبث»[٢] .

ـ ورماها بالتخلف بينما هى لغة التقدم ، فقد تقدم العلماء العرب فى الطب والهندسة والرياضيات والفلك وعلوم أخرى كثيرة : وواتتهم العربية ، وخاصة فى صنوف العلوم والأفكار الفلسفية بكل ما أرادوا من صور التعبير مهما كانت عميقة لمرونتها الشديدة واشتقاقاتها الكثيرة ، وقادت اللغة العربية العالم حضاريا وأدبيا وعلميا وفلسفيا طوال ستة قرون منذ القرن الثامن الميلادى ، وظلت علوم العرب وفلسفتهم تصب فى أوربا وجامعاتها منذ بدؤوا فى ترجمتها فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ومضوا يتعلمونها حتى القرن السابع عشر وأخذت تضيء لهم مسالكهم إلى علومهم الحديثة[٣] ، وفى القرن العشرين ينفتح العرب على علوم الغرب وينشطون فى ترجمة الطب والعلوم المختلفة إلى العربية ، ويضعون معاجم العلوم فرادى ، وجماعات كمعجم محمد شرف الطبى ١٩٢٦م، ويشتمل على أربعين ألف مصطلح طبى، ناهيك عما وضعته معاجم اللغة العربية فى القاهرة وسوريا وبغداد من عشرات المعاجم العلمية ولمجمع اللغة العربية القاهرى أربعة عشر معجما علميا وليس فى الجامعات المصرية علم غربى يدرس فيها الآن إلا وفى المجمع القاهرى

(١) اكتساب اللغة مارك ريشل ٢٦ ، ٢٧/ ترجمة د. كمال بكداشى / ط ١/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع / لبنان/ ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٢) اللغة العربية ضرورة قومية ٩٩.

(٣) السابق ٦٣.

معجم له يعرض مصطلحاته الغربية ومقابلتها العربية ، وواضح من ذلك كله أن للغة العربية تاريخًا حضاريا مجيداً ، وعت فيه منذ أربعة عشر قرنا كل ما كان لدى الأمم القديمة من حضارات وعلوم وفكر وفلسفة وأضافت إلى كل ذلك إضافات رائعة ، وقادت العالم قرونا حضاريا وعلميا [١] .

ــ وإذا كان هناك تغيير فى اللغة فهو من باب التطوير ، ولن يرصده واحد بل تقوم به هيئة كبيرة متمثلة فى المجامع اللغوية فى البلاد العربية فمهمة المجمع واضحة فى رصد الظواهر اللغوية الجديدة ومراقبة التعريب وحاجته فهى تصدر المعاجم المتنوعة والبحوث والمقالات المتعددة : ويوم أنشيء مجمع اللغة العربية نص فى مرسوم إنشائه عام ١٩٣٢ م على أن أهم أغراضه:

أ- أن يحافظ على سلامة اللغة وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر.

ب- أن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية[٢] .

وآخرها تعريب الطب بسوريا : يكاد تعريب التعليم العالى والجامعى ، ولاسيما العلوم الطبية ، يرتبط فى أذهان الناس بجامعة دمشق ، أم الجامعات السورية ، ويخيل إليهم أنها الجامعة الرائدة فى هذا المجال فى العصر الحديث [٣] .

والدعوة إلى العامية لم يقل بها الشوباشى وحده بل دعا إليها ويليام ١٨٨٢م وتوالت الاتهامات وكان من أغرب وأعجب ما وجهت به العربية فى مصر بعد الاحتلال البريطانى لها ١٨٨٢م ما جاء فى المحاضرة التى ألقاها فى حديقة الأزبكية مهندس المجارى الإنجليزى ويليام ويلكوس وأعلن فيها بكل تبجح أن

---

(١) اللغة العربية ضرورة قومية ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥.

(٢) تصدير الطبعة الأولى ، المعجم الوسيط د. إبراهيم مدكور ٩/ ط ٣/ مصر.

(٣) فى سبيل العربية د. محمد هيثم الخياط ٤٥ / ط ١ / دار الوفاء / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

الاستمساك باللغة العربية هو السبب فى هزيمة المصريين أمام المحتلين الإنجليز [١]؟!! وقيل أنه قال : لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين حتى الآن ؟ وأجاب عن هذا السؤال بأن السر فى تأخرهم هو اللغة العربية وأن المصريين لو اتخذوا لهم لغة إقليمية كما فعلت بريطانيا مثلا : مع اللغة اللاتينية التى أودعت المتاحف الآن لاستطاعوا أن يتفوقوا ويخترعوا ... وتابعه فى ذلك : القاضى الإنجليزى ويلمور عام ١٩٠١م ... وعبد العزيز فهمى [ت١٣٧٠هـ] زعيم الأحرار الدستوريين فى مصر أشد الناس حماسة فى دعوته إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية ... والمستشرق ماسينيون الذى دعى عام ١٩٢٩م إلى الكتابة بالحروف اللاتينية ... وسلامة موسى [ت١٣٧٨هـ] ... وأحمد لطفى السيد [ت١٣٨٢هـ] الذى دعا إلى هجر العربية... [٢] إلى أن وصل إلى الشوباشى.

ولم يسكت أبناء العربية المخلصون ، فرد عليهم شاعر النيل بقصيده عنوانها : اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها[٣].

إذن دعوى إلغاء الفصحى من أعدائنا من أعداء الدين فكيف نستجيب لعدونا ؟! وفتح هذا الباب يجر إلى موت الفصحى وبموتها تنغلق الأفهام أمام القرآن الكريم وأمام السنة النبوية المكرمة ، وهو هدف يبيت له أعداء الإسلام ويبذلون من أجله أوقاتهم وجهودهم، وذلك لأن : الخلفية اللغوية لأى لغة ليست مجرد أداة لترديد الأفكار فهى بالأحرى تقوم بتشكيل الأفكار التى توجه تصوراتنا الذهنية ، وتساعدنا على تحليل انطباعاتنا[٤] هذا ما قاله العالم هورف مستشرق ، إذن فهم

---

(١) اللغة العربية ضرورة قومية : ٩ . وينظر : من حديث اللغة والأدب . عبد العزيز مطر ١٦/ ط ١/ دار المعرفة / ١٩٦٢م.

(٢) اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة د. كارم السيد غنيم ٢٦ ، ٢٧ / مكتبة السباعى.

(٣) اللغة العربية ضرورة قومية ٨.

(٤) اللغة والمجتمع . ثريا عبد الله ٢٦ / دار المعارف.

مؤمنون بأهمية اللغة فبدؤوا بضربنا فى لغتنا لأنها فكرنا ! وينادى د. أحمد رضا قائلا : «إن اللغة مشتركة بين أبنائها كسائر المصالح المشتركة فيما بينهم فكما أن هذه تتعرض للفوضى إذا لم يكن لها نظام يحفظها ووازع يزعها عن الشذوذ عن النظام عند التعارض والتزاحم ، كذلك اللغة فإنها تحتاج إلى مثل هذا من الضوابط والقواعد التى هى نظام اللغة وشريعتها ... وأهل الحل والعقد فى اللغة هم أئمتها السابقون وأصحاب المجامع الصالحة من المتأخرين هم أولو الحق فى ضبط هذه القواعد وتهذيبها على سنن لا يخرج بها عن حدها ، ولا يمسخها فى وجهها واتجاهها القومى وميزاتها الخاصة وفى ذمتهم منع الفوضى وإقامة نظام اللغة على أركانه ... كل لغة إنما تعرف قوتها بمتانة أصولها وانتظام قواعدها وسعة بيانها»(١) . ولنستمع إلى أحد أبناء العربية يصور لنا ما يحدث لها : «آيس أعداؤها من قراعها وجها لوجه ، فراحوا يحتالون لذلك ومكروا مكراً كباراً وحاولوا أن ينفذوا إلى قلوب الناس وعقولهم بتهاويل أثاروا حولها نقعا من الضوضاء : طورا بالدعوة إلى إفساد اللغة باسم الإصلاح ، وتارة بالدعوة إلى أمية اللغة باسم التبسيط ، وثالثة بالدعوة إلى تهجين اللغة باسم التطور والنهضة ... وانتظر الناس أن يبصروا بعد ذلك كله شيئا من أمارات الإصلاح المزعوم ... ثم نظروا ، فإذا أقوال هؤلاء الأعداء: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩] ، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ [الأحزاب : ٢٥]... ولا جرم ! ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم : ٢٦] ولن تزال هذه العربية هدفا يزاول عَدِيهُا ما وسعه أن يرميه: [الرمل]

مُـقعِياً يَـردي صَفـاةً لَم تُـرَم … في ذُرى أَعيَطَ وَعرِ المُطَّلَـع

(١) مولد اللغة ٥٦ ، ٥٧.

وستظل هذه العربية ظاهرة عليه إن شاء الله»[١].

ولذلك أتصور وأتخيل قصة بالعامية أو بالحروف اللاتينية كيف تؤدى المعانى التى يؤديها الإعراب . ومن قال بصعوبة الفصحى ألم يسمع القصائد العربية المضبوطة بالإعراب المغناة ، والتى هى أفضل الأغانى على مستوى العالم العربى تقريبا ، ألم يسمع الأفلام والمسرحيات والمسلسلات الإسلامية المضبوطة ، ألم يقرأ كتبا وبحوثا مضبوطة بالإعراب ، وكيف أن هذه الأشياء حققت نجاحاً مبهراً عن غيرها ، ألم يسمع الرجال والنساء والأطفال الذين يقومون بإلقاء المسرحيات والأفلام والبرامج المنطوقة باللغة العربية ؟! ولذلك يحمد للإذاعات المصرية التى تبث فى معظم برامجها بالفصحى ، فمثلا: إذاعة القرآن الكريم تبث كل برامجها باللغة العربية الفصحى ، وكذلك إذاعة البرنامج العام ، فيها برامج : أسبوعيات طاهر أبوزيد – قال الفيلسوف – اللغة الشاعرة على هواء القاهرة – قطوف الأدب من كلام العرب – مقدمات التلاوة – من أقوال الرسول ﷺ قل ولا تقل – اضبط لغتك – نشرات الأخبار – خطاب على لسان كتاب . ويشكر لها أنها بعثت عدة خطابات من كتاب سيبويه ... كلها برامج طيبة ، لكن نسألها المزيد حرصا على هويتنا ولغتنا.

إذن اللغة الفصحى المضبوطة المعربة سهلة التعلم ولو حرص عليها البيت ودور التعليم منذ الحضانة ، وذلك لأن اللغة وظيفتها التعبير عن الأفكار والعواطف والرغبات... واللغة لا تستعمل للتعبير عن الأفكار بقدر ما تستعمل وسيلة للتعاون والترابط الاجتماعى [٢].

ولا تقتصر وظيفة اللغة على إمداد الفرد بالأفكار والمعلومات ونقل الأحاسيس

---

(١) فى سبيل العربية ٨ ، ٩.

(٢) دور الكلمة فى اللغة ٢٢ ، ٢٦.

إليه بل إنها تعمل على إثارة أفكار وانفعالات ومواقف جديدة ، وتدفعه إلى الحركة والتفكير ، وتوحى إليه بما يعمل على تفتيق ذهنه وتوسيع آفاق خياله وتنمية قدراته الإبداعية ... ويرى علماء التربية وعلماء النفس أن النمو العقلى للإنسان منوط بنموه اللغوى ، وأنه كلما تطورت واتسعت لغة هذا الإنسان ارتقت قدراته العقلية فنما ذكاؤه وقوى تفكيره[(١)] وإذا كانت اللغة عند الأمم وسيلة للتعبير عن الأغراض والأفكار ، فإنها بالنسبة لنا نحن العرب دعامة وحدتنا ، ومظهر رائع للتماثل الكامل بين الشعوب القاطنة بين الخليج والمحيط ، وأن الحد اللغوي للوطن العربي اليوم هو وحده الحد الصحيح للوطن الذى تتطلع الآمال إليه ، وهو الوطن الذى تحده شمالا لغة الأتراك وتحده شرقاً لغة الفرس ويمتد جنوبا فى بلاد العرب حتى البحر ، ويتسع غربا فى الشمال العربى الأفريقى حتى المحيط ، هذه الحدود الواسعة اليوم هى حدود اللغة العربية الواحدة ، وهى حدود وطننا الروحى الكبير بلا حدود ولا حواجز ، وإن قولنا اليوم أن الوطن العربى يمتد من الخليج إلى المحيط قول ينطبق أول ما ينطبق وأصدق ما ينطبق على وطن اللسان العربى المشترك ، ومن هنا وجب الربط بين الوعى القومى والهدف الوحدوى من جهة والوعى اللغوى من جهة ثانية [(٢)].

واللغة خزانة الفكر الإنسانى فإن خزائن العربية قد ادخرت من نفيس البيان الصحيح عن الفكر الإنسانى وعن النفوس الإنسانية ما يعجز سائر اللغات[(٣)] فمع أن اللغة العربية القرآنية فاجأت العرب الذين نزل فيهم القرآن بالمباينة بين ما ألفوه

---

(١) الحصيلة اللغوية ٣٦ ، ٣٧.

(٢) اللغة العربية فى التعليم العالى والبحث العلمى ، محاضرات تتناول التعريب فى الوطن العربى تدريسا وتأليفا ومصطلحاً د. مازن المبارك ٩ ، ١٠ / ط ٢/ دار النفائس / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

(٣) فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين عبد الله محمد بن سعيد رسلان ٦/ دار البخارى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

من قدرتهم على البيان وبين ما تميز به بيان القرآن من اقتدار إلا أن اللغة العربية برهنت على مرونة ذاتية ، وقدرة على قبول المعانى القرآنية الجديدة ، وقبول التحول من لغة تخاطب وخطابة وشعر إلى لغة تشريع وعلوم أيضا[١] ولأن لغتنا عبقرية : نعنى بعبقريتها إمكان ظهور المعانى فيها بأشكال مختلفة ملائمة لما يريد المتكلم حين يكون متمكنا من اللغة بليغا فيها ، كيفما كانت المعانى التى يريد أدائها على اختلاف المقامات لأن لكل مقام مقال ولا سبيل إلى البلاغة فى المقال إلا مع مراعاة مقتضى المقام[٢] فإذا وجدت غموضا فى قول قاله لك قائل فاعلم أن الغموض هو كذلك فى فكره . والعكس صحيح أنه إذا كانت الفكرة مضطربة في رأس صاحبها فلابد أن تجيء عباراته عنها بالدرجة نفسها من الاضطراب ، وأزيد على ذلك بأن الفكرة قد تكون متبلورة فى ذهن صاحبها محددة القول والعرض واضحة الملامح ، ولكن صاحب الفكرة عيي لا يكاد يبين فتتلعثم الألفاظ فى شدقيه وتتداخل الحروف فى نبض شفتيه ... لأن الألفاظ قد قصرت عن أداء المعنى وتأخرت عن الوفاء بالغرض وتلك غاية المعاناة والحرج الذى يصاب به أمثال هؤلاء التعساء[٣] واللغة نتاج المجتمع للملكة الكلامية وتجميع للتقاليد الضرورية التى أقرها الاجتماعى لتسمح للأفراد بتدريب ملكاتهم ، وبالنظر إليها ككل[٤] .

ولأن وظائف اللغة مهمة وكثيرة منها ما لخصه عالم اللغة البريطانى هلادى[٥].

---

(١) تعريب التعليم الجامعى ضرورة علمية إسلامية د. السيد أحمد فرج ٢٦/ ط ١ / دار الصحوة / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

(٢) أضواء على لغتنا السمحة بقلم محمد خليفة التونسى ٩/ ١٩٨٥م.

(٣) اللغة العربية ضرورة قومية ٣٩ ، ٤٠ .

(٤) فصول فى علم اللغة العام دى سوسير : ٣١ / ترجمة د. أحمد نعيم الكراعين / دار المعرفة الجامعية / الإسكندرية.

(٥) مستخلصة من : اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها ٤٢، ٤٣ .

١- الوظيفة اللغوية التى تعمل على التعامل مع البيئة لإحداث ظرف أو وضع معين.

٢- الوظيفة التى تعمل على تنظيم اللقاءات بين الأفراد كعبارات الموافقة والرفض .

٣- الوظيفة التى تعمل على المحافظة على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد .

٤- الوظيفة الإعلامية الإخبارية ، حيث تعبر عن الحقائق والأخبار .

٥- الوظيفة التربوية التعليمية.

٦- الوظيفة تعبر عن الانفعالات الشخصية من سرور وسعادة ..

٧- الوظيفة تعبر عن أمور خيالية أى من خلق العقل الإنسانى.

لهذا وغيره كثير لابد أن نحافظ على اللغة الفصحى ، ويوم أن تخلينا عن الفصحى تخلى عنا التقدم ، ويوم أن تركنا مساحة كبيرة للغات الأجنبية تقهقرت الفصحى إلى الوراء وأصبحنا مشتتين لا نعرف بأى لغة نتكلم ؟ أنتكلم بالفصحى أم بالعامية أم بهما معا أم بلغة وسط ؟ ولا شك أن هذا التدهور فى اللغة الفصيحة يترتب عليه تدهور فكرى وتدهور تربوى وتدهور فى بناء الشخصية العربية إذ كيف تربى إنسانا عربيا بمعزل عن لغته التى هى كيانه ، وبمعزل عن هويته التى هى معالم شخصيته وكيف تستسيغ فكر إنسان فى أعماقه البعيدة والقريبة دون لغة مستوية على ساقها، ناضجة فى جملها وتركيبها[1] فبدل من أن يدعوا الشوباشى إلى المقترحات الجيدة فى كيفية عودة الفصحى وتبوءها مكانها مرة أخرى لنستمتع بها وتستمتع بنا ، يطالعنا بقوله : يسقط سيبويه ، وليس الهدف سقوط سيبويه بل الهدف سقوط المئات من العلماء وسقوط القديم ، وسقوط المجامع اللغوية وسقوط الدور والمؤسسات التعليمية للغة العربية ، ويريد منا أن نقول : لتحيا اللغة

---

(١) اللغة العربية ضرورة قومية ٢٠.

الأجنبية ، لتحيا اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو اللاتينية أو الألمانية وتسقط العربية، ويبقى الشوباشى وأمثاله ، ولكن : هيهات هيهات وأنه يبقى العنوان لتحيا اللغة العربية : ليسقط الشوباشى وأمثاله ممن يريد ضياع اللغة العربية الفصحى ، وكل لغة عبارة عن نتاج لماضيها ، وبعض اللغات تظهر تقدما أكثر من غيرها بوصفها أدوات وصور للتفكير ... فالتفكير والإدراك يتحدان ويكونان قابلين للتوصيل من خلال اللغة فحسب والتفكير واللغة يعتمد كل منهما على الآخر ويتعذر الفصل بينهما والكلمات ليست أوصافا مفردة أو أسماء ولكنها فى نفس الوقت تشير لشيء معين وتضعه فئة متميزة من فئات التفكير(١) لذا وضع أجدادنا الكرام من العلماء حرصا على سحر جمالها الموسيقي الإشارات والعلامات التي تضبط النطق وتجعله يخرج من مخرجه الصحيح مما يؤدى إلى الأداء السليم للغة عند قراءتها فتجلوا أفكارها وتتحقق ، ومن أوجب الواجبات على العربى وعلى المسلم بالذات مهما كان موقعه ومهما كان جنسيته أن يتحرى الدقة فى نطق لغته العربية الفصحى ، فدينه وقوميته ووطنيته تفرض عليه هذا فرضا ، فإذا أهمل أو قصر بأي حجة كانت، فقد عصى ربه سبحانه وتعالى (٢) .

وأخيرًا وليس آخرًا نقول : فأين لغة الشوباشى التى يريدها من لغة عائشة – رضى الله عنها – الشاعرة ، حيث رُوي عنها أنها سمعت قول الحطيئة [ت٤٥هـ] :

فاغفر عليك سلام الله يا عمر

قالت: من هذا الناعى إلينا أمير المؤمنين ؟ قيل وكيف نعاه ؟ قالت : إن الحى لا يقال له عليك السلام ، وإنما يقال له: السلام عليك ولا يقال عليك السلام إلا

---

(١) موجز تاريخ علم اللغة فى الغرب د. هـ . روبنز ٢٨٦ / ترجمة د. أحمد عوض/ عالم المعرفة/ الكويت/ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

(٢) اللغة العربية أداءا ونطقا وإملاء وكتابة . فخري محمد صالح ٨ ، ٩ / ط١/ دار الوفاء/ ١٤٠٧ – ١٩٨٧ .

للميت [١].

(وعليكم أن تعربوا) كلمة قالها أعرابى لأحد اللغويين حين أخذ عليه اللحن فى القول [٢]. ونناديى بها نحن اليوم على جميع الأمة العربية : وعليكم أن تعربوا .

*****

(١) اللغة العربية ضرورة قومية ٤٩ .

(٢) من حديث اللغة والأدب ٤٦ .

الخاتــمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله ، ومن والاه ، وبعد ...

ففي منتهى رحلة طويلة مع موضوع البحث (القيمة الدلالية لحركات الإعراب بين القدماء والمحدثين) ، أسفرت تلك الرحلة عن النتائج التالية:

(١) تبوُّء الدلالية النحوية عند العرب مكاناً ومكانة كغيرها من الدلالات الأخرى ؛ الصوتية والصرفية والمعجمية .

(٢) لا يمكن إغفال دور الحركات في تشكيل المعنى مع أخواتها الحروف .

(٣) دعاوى تجديد العربية وتخفيفها وإبدالها هي دعاوى فردية ، تطلع علينا بين آن وآخر سرعان ما تنقشع كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ؛ وذلك لأصالة ورسوخ اللغة التي توجت بمقدسات عظيمة على رأسها القرآن الكريم .

*****

جريدة المصادر

جريدة المصادر

* الإبانة فى اللغة العربية. سلمة بن مسلم العوتبى الصحارى [ت أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجرى] / تح. د. عبد الكريم خليفة وآخرين/ ط١/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٢م.

* إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبى [ت ٥٩٠ هـ] لأبى شامة [ت ٥٥٦ هـ] / تح . إبراهيم عوض / مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى.

* ابن عباس - رضى الله عنهما - [ت ٦٨ هـ] مؤسس علوم العربية د. عبد الكريم بن محمد الحسن بكار ٣٧/ ط ١ / مكتبة السوارى للتوزيع / ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

* اتجاهات النقد الأدبى العربى د. محمد السعدى فرهود / ط٢ / دار الطباعة المحمدية بالأزهر / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

* إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى الحنبلى [ت ٦١٦ هـ] / تح. محمد إبراهيم سليم / مكتبة ابن سينا.

* إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأمانى والمسرات فى علوم القراءات ، للشيخ أحمد بن محمد البنا [ت ١١٧ هـ] / تح د. شعبان محمد إسماعيل / ط١/ مكتبة الكليات الأزهرية / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

* أثر الحديث النبوى فى التصويب اللغوى د. عبد الهادى أحمد السلمونى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

* إحيـاء النحـو. لإبـراهيم مـصطفى [ت ١٣٨٢ هــ - ١٩٦٢م] / ط٢ / القاهرة/ ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م.

* أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض لأبى سعيد الحسن ابن عبد الله السيرافى [ت ٣٦٨ هـ] / تح. د. محمد إبراهيم البنا / ط١ / دار الاعتصام / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

* إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العظيم ، وهو المعروف بتفسير أبى السعود [ت ٩٨٢ هـ] / دار العصور للطبع والنشر / ١٣٧٤ هـ - ١٩٢٨م.

* الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى [ت ٩١١ هــ] / ط١ / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.

* أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ، عباس محمود العقاد [ت ١٩٨٣ هـ - ١٩٦٤م] / ط ٦ / دار المعارف.

* أصالة الإعراب ودلالته على المعانى فى القرآن الكريم واللغة العربية ، د. محمد حسن حسن جبل / طنطا / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

* أصل العرب ولغتهم د. عبد الغفار حامد هلال / ط ١ / دار الطباعة المحمدية.

* الأصول دراسة أبستيمولوجية للفكر اللغوى عند العرب د. تمام حسان / دار الشئون الثقافية العامة / بغداد / ١٩٨٨م.

* أضواء على لغتنا السمحة بقلم محمد خليفة التونسى / ١٩٨٥م.

* إعراب الحديث النبوى . أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى [ت ٦١٦هـ] ، تح. عبد الإله نبهان / ط ٢ / دمشق / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

* إعراب القراءات السبع وعللها لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه [ت

٣٧٠ هـ] / تح. د . عبد الرحمن القيمى / الخانجى / القاهرة.

* إعراب القرآن المنسوب للزجاج [ت ٣١١ هـ] / تح. إبراهيم الإبيارى / ط٢ / دار الكتاب المصري.

* إعراب القرآن للنحاس [ت ٣٣٨ هـ] / تح. د. زهير غازى زاهد / ط ٣ / مكتبة النهضة العربية / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

* الإعراب سمة العربية الفصحى . د. محمد إبراهيم البنا / مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة / ج١ / العدد التاسع عشر.

* الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطى [ت ٩١١ هـ] / المكتبة التوفيقية.

* اكتساب اللغة. مارك ريشل / ترجمة د. كمال بشر / ط١ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

* إنباه الرواه على أنباه النحاة للقفطى [ت ٦٤٦ هـ] / تح. محمد أبو الفضل إبراهيم / مطبعة دار الكتب المصرية / ١٣٧١هـ.

* الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب . لعلى بن عدلان [ت ٦٦٦ هـ] تح. د. حاتم الضامن.

* الانتصاف من الإنصاف . محمد محيى عبد الحميد [١٣٩٣ هـ - ١٩٧٢م] / المكتبة العصرية / ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

* الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن أبى سعيد الأنبارى النحوى [ت ٥٧٧ هـ] المكتبة العصرية / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

* أنوار التنزيل وأسرار التأويل وهو المسمى تفسير البيضاوى [ت ٦٩١ هـ].

* الإيضاح فى علل النحو لأبى القاسم الزجاجى [ت ٣٣٧ هـ] تح. د. مازن المبارك / ط ٥/ دار النفائس / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

* البحث اللغوى عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر د. أحمد مختار عمر/ ط٤ / عالم الكتب / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

* البحر المحيط لأبى حيان [ت ٧٥٤ هـ] / ط ٢ / دار الفكر / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

* بحوث ومقالات فى اللغة . د. رمضان عبد التواب / ط١ / الخانجى / القاهرة / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م.

* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي [ت٩١١هـ] تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم / ط٢/ دار الفكر/ ١٣٩٩هـ - ١٩٩٩م .

* بلاغة الخطاب وعلم النفس . د. صلاح فضل / عالم المعرفة. العدد ١٦٤ / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

* بلاغة القصر . دراسة نقدية تحليلية د. عبد العزيز أبو سريع يس / ط١/ مطبعة السعادة / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

* بين العربية ولهجاتها والعبرية د. محمد عبد المجيد بحر / ط٢/ ١٩٧٧م.

* التأنيث فى اللغة العربية د. إبراهيم إبراهيم بركات / ط ١ / دار الوفاء / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

* تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة [ت ٢٧٦ هـ] / تح. السيد أحمد صقر / ط /٢/ دار التراث.

* تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدى [ت ١٢٠٥ هـ - ١٧٩٠م] تح. على شيرى [١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م] / دار الفكر / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

* تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى [ت ٣٩٣ هـ] تح. أحمد عبد الغفور عطار [١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م] / ط٣/ دار العلم للملايين / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

* تاريخ آداب العرب. مصطفى صادق الرافعى [ت ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م] / راجعه وضبطه: مهدى البحقيرى وعبد الله الباز / ط١/ مكتبة الإيمان / المنصورة/ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

* تاريخ اللغات السامية.أ. ولفنسون [أبو ذؤيب] [ت١٩٨٠م] دار القلم/ بيروت/ لبنان.

* تاريخ النحو . د/ على النجدى ناصف / دار المعارف / القاهرة.

* التبيان فى إعراب القرآن لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى [ت ٦١٦ هـ] / تح. على محمد البجاوى / دار الجيل / بيروت.

* تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لمكى الصقلى [ت ٥٠١ هـ] / ح. د. عبد العزيز مطر / القاهرة / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

* التطور اللغوى التاريخى د. إبراهيم السامرائى / ط٣ / دار الأندلس / ١٩٨٣م.

* التطور النحوى للغة العربية . برجشتراسر [ت١٩٣٢م] / أخرجه د/ رمضان عبد التواب / ط٤/ الخانجى/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ .

* تعريب التعليم الجامعى ضرورة علمية إسلامية. د. السيد فرج / ط١/ دار الهجرة / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

* تفسير القرآن العظيم لابن كثير [ت ٧٧٤ هـ] / مكتبة التراث الإسلامى .

* التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. للإمام فخر الدين محمد الرازى [ت ٦٠٤ هـ] / ط٣ / دار الفكر / بيروت / لبنان / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

* تفسير النسفى [ت ٥٣٧هـ] / دار إحياء الكتب العربية.

* تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى [ت ٣٧٠ هـ] / تح. د. عبد الله

درويش/ مراجعة. محمد على النجار / الدار المصرية للطبع والنشر.

* جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى [ت ٣١٠ هـ] / دار الريان للتراث / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

* الجامع لأحكام القرآن للقرطبى [ت ٦٧١ هـ] / ط ١ / دار الغد العربى / ١٩٩٠م – ١٤١٠ هـ.

* حاشية الصاوى على الجلالين ،لجلال الدين المحلى [ت ٦٨١ هـ] وجلال الدين السيوطى [ت ٩١١ هـ] / دار إحياء الكتب العربية.

* الحجة في القراءات السبع للإمام ابن خالويه [ت ٣٧٠ هـ] / تح. د.عبد العال سالم مكرم/ ط٦، مؤسسة الرسالة / ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على حسن الفارسى [ت ٣٧٧ هـ] / تح. على المجدى ناصف ود. عبد الفتاح شلبى / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

* الحركات العربية فى ضوء علم اللغة الحديث د. الموافى الرفاعى البيلى/ ط١ / التركى / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

* الحصيلة اللغوية: أهميتها – مصادرها – وسائل تنميتها د. أحمد المعتوق / عالم المعرفة / الكويت / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

* حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى. د. يوسف خليفة / دار الكاتب العربى للطباعة والنشر / القاهرة / ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.

* الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى [ت ٩٢ هـ] / تح. محمد على النجار / ط٢/ دار الكتب المصرية / ٩١٣م.

* خصائص لهجتي تميم وقريش د. الموافى الرفاعى البيلى / ط١/ مطبعة

السعادة / ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

* دراسات فى فقه العربية ، د. صلاح صالح أحمد عيطة / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

* دراسات فى فقه اللغة ، د. صبحى الصالح / ط ١٠/ دار العلم للملايين / بيروت / ١٤٠٢ هـ - ١٩٦٠م.

* دراسات نقدية فى الأدب المعاصر ، أ. عبد اللطيف السحرتى [ت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م] / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٧٩م.

* دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجانى [ت ٤٧١ هـ] صححه الشيخ . محمد عبده [ت ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥م] والسيد محمد رشيد رضا [ت ١٣٥٤ هـ] / ط٢ / مطبعة المنار / مصر / ١٣٣١هـ.

* دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي.

* دور البنية الصرفية فى وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها د. لطيفة إبراهيم النجار / ط١/ دار البشير / عمان / ١٩٩٤م.

* دور الصرف فى منهجى النحو والمعجم د. محمد خليفة الدفاع / جامعة قاريونس/ ١٩٩١م.

* دور الكلمة فى اللغة . ستيفن أولمان / ترجمة د. كمال محمد بشر / ط ١٠ / مكتبة الشباب / ١٩٨٧م.

* ذيل الأمالي والنوادر لأبى على القالى [ت ٣٥٦ هـ] / ط٢/ دار الكتب المصرية/ القاهرة/ ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م.

* الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى [ت ٥٩٢ هـ] / تح. د. شوقى ضيف/ ط٢ / دار المعارف.

* رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات د. عبد الفتاح إسماعيل شلبى / مكتبة نهضة مصر بالفجالة / ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م.

* روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى [ت ١٢٧٠ هـ] نشره. محمود شكرى الألوسى/ دار إحياء التراث / بيروت / لبنان.

* الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية لأبى حاتم بن حمدان الرازى [ت ٢٧٧ هـ - ٨٩٠م] / عارضة : حسين بن فيض الله الهمدانى / ط٢/ القاهرة / ١٩٥٧م.

* سر صناعة الإعراب لأبى الفتح عثمان بن جنى [ت ٣٩٢ هـ] ، تح/ مصطفى السقا وآخرين/ ط١/ مطبعة مصطفى البابى الحلبى/ ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م.

* سنن الدارمى [ت ٢٥٥ هـ - ٨٦٩م] / تح. خالد السبع العليمى ، وفواز أحمد / ط١/ دار الريان / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

* سيكولوجية اللغة والمرض العقلى د. جمعة سيد يوسف / عالم المعرفة / الكويت / ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

* شرح المفصل لابن يعيش [ت ٦٤٣ هـ] / مكتبة المتنبى / القاهرة.

* شرح المقرب لابن عصفور [ت ٦٦٩ هـ - ١٢٧١م] / تح. د. على محمد فاخر / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

* شرح ملحة الإعراب للحريري [ت ٥١٦هـ - ١١٢٢م] / تعليق. كامل الهنداوى / ط ١/ دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م.

* الصاحبى لابن فارس [ت ٣٩٥ هـ] / تح. السيد محمد صقر / مطبعة عيسى

البابى الحلبى / القاهرة.

* صبح الأعشى للقلقشندى [ت ٨٢١ هـ - ١٤١٨م] / طبعة مصورة عن دار الكتب الخديوية / سلسة الذخائر ١٣٢/ ٢٠٠٤م.

* صحيح مسلم [ت ٢٦١ هـ] بشرح النووي [ت ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧م] / ط١/ دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان/ ١٣٤٩هـ- ١٩٣٠م،

* طبقات النحويين واللغويين للزُّبيدى [ت ٣٧٩ هـ - ٩٨٩م] / تح. محمد أبو الفضل إبراهيم / ط٢/ دار المعارف.

* الظواهر اللغوية فى التراث النحوى : الظواهر التركيبية د. على أبو المكارم/ ط١/ القاهرة / ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م.

* العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب. يوهان فك / ترجمة د. رمضان عبد التواب / مكتبة الخانجى / مصر / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

* العربية لغة العلوم والتقنية د. عبد الصبور شاهين / ط٢/ دار الاعتصام / ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٧م.

* العلاقة بين العلامة الإعرابية والمعنى فى كتاب سيبويه د. إبراهيم بركات / مكتبة الخانجى/ مصر / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

* العلامة الإعرابية فى الجملة الاسمية بين القديم والحديث ، د. محمد حماسة عبد اللطيف / ط ١/ مكتبة أم القرى / الكويت / ١٩٨٤م.

* علم الدلالة . د/ أحمد مختار عمر / ط٤/ عالم الكتب .

* علم الدلالة. بيير جيرو / ترجمة د. منذ عياشيى / تقديم. مازن الوعر / دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر / ١٩٩٢م.

* علم اللسان بقلم . أنطوان ماييه / دار نهضة مصر للطبع والنشر / القاهرة /

بدون تاريخ.

* علم اللغة. أسسه ومناهجه . د. عبد الله ربيع و د. عبد الفتاح البركاوى / ط١/ مؤسسة الرسالة / ١٤٠٢ هـ.

* علم اللغة بين القديم والحديث.د. عبد الغفار حامد هلال/ ط ٢/ مطبعة الجبلاوي/ سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* عناصر النظرية النحوية فى كتاب سيبويه ، د. سعيد بحيرى / ط١/ الأنجلو المصرية / ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

* الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى [ت ٥٣٨هـ] / تح/ على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم / ط٣ / دار الفكر/ ١٣٩٩ - ١٩٧٩م

* فتح البارى بشرح صحيح البخارى [ت ٢٥٦ هـ - ٨٧٠م] لابن حجر العسقلانى [ت ٨٥٢ هـ - ١٤٤٩م مراجعة. طه عبد الرءوف سعد وآخرين / مكتبة الكليات الأزهرية / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

* الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، لسليمان بن عمر المشهور بالجمل [١٢٠٤هـ - ١٧٩٠م] / دار الفكر / ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م .

* فصول فى علم اللغة العام. دى سوسير / ترجمة د. أحمد نعيم الكراعين / دار المعرفة الجامعية / الإسكندرية.

* فصول فى فقه العربية د. رمضان عبد التواب / ط١/ دار روتابرينت للطباعة/ القاهرة / ١٩٧٧م.

* فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين . عبد الله محمد بن سعيد رسلان/ دار البخارى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

* الفعل زمانه وأبنيته ، د. إبراهيم السامرائى / ط٤/ مؤسسة الرسالة /

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

* فقه اللغات السامية . كارل بروكلمان / ترجمة: د/ رمضان عبد التواب / السعودية / ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

* فقه اللغة د. على عبد الواحد وافى / دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

* فقه اللغة العربية وخصائصها د. إميل بديع يعقوب / ط٢/ دار العلم للملايين/ ١٩٨٦م.

* فقه اللغة المقارن . إبراهيم السامرائى / ط٣ / دار العلم للملايين / ١٩٨٣م.

* فقه اللغة وخصائص العربية ، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل فى التجديد والتوليد ، محمد المبارك / دار الفكر.

* الفهرست لابن النديم [ت ٤٣٨ هـ - ١٤٠٧م] / تح. د. محمد عوض عبد الرءوف ود. إيمان السعيد جلال / الهيئة العامة لقصور الثقافة / القاهرة / ٢٠٠٦م.

* فى الأصوات اللغوية دراسة فى أصوات المد العربية د. غالب فضل المطلبى / منشورات وزارة الثقافة والإعلام / العراق / ١٩٨٤م.

* فى الدلالة اللغوية ، د. عبد الفتاح البركاوى / الجريسى / القاهرة.

* فى بناء الجملة الاسمية د. مصطفى إبراهيم على / ط٣ / ١٩٩٧م.

* فى سبيل العربية ، د. محمد هيثم الخياط / ط ١ / دار الوفاء / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

* فى ظلال القرآن ، سيد قطب [ت ١٩٦٦م] / ط١٣ / دار الشروق/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

* القاعدة اللغوية والقراءات المخالفة ، د. مجدى محمد حسين / الحضرى للطباعة.

* القراءات القرآنية ، د. إبراهيم أبو سكين / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

* القواعد النحوية على اللغة التميمية ، د. يسرية محمد إبراهيم حسن / ١٤١٩ هـ - ١٩٩م.

* الكتاب لسيبويه [ت ١٨٠ هـ - ٧٩٦ م] / تح. عبد السلام محمد هارون / ط٣/ الخانجى/ القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى [ت ٥٣٨ هـ] / ط١ / المطبعة البهية / ١٣٤٣ هـ .

* اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الدمشقى [ت بعد٨٨٠هـ] تح. عادل أحمد عبد الموجود وآخرين / ط١/ دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

* لتحيا اللغة العربية : يسقط سيبويه ، شريف الشوباشى / ط٣/ الناشر مدبولى الصغير / عربية للطباعة والنشر.

* اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها ، د. نايف خرما ، د. على حجاج / عالم المعرفة / الكويت / / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

* لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها ، ماريو باى / ترجمة د. صلاح العربى/ قسم النشر بالجامعة الأمريكية / القاهرة / ١٩٧٠م.

* لغات العالم الحية والميتة ، زياد الملا / ط١/ الأهالى للطباعة والنشر / ١٩٩٩م.

* اللغة ، د.ج. فندريس / تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص /

القاهرة / ١٩٥٠م.

* لغة تميم ، دراسة تاريخية وصفية ، د. ضاحى عبد الباقي/ القاهرة / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

* اللغة العربية أداءً ونطقاً وإملاء وكتابة ، د. فخرى محمد صالح / ط ١/ دار الوفاء / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

* اللغة العربية ضرورة قومية ، د. فتحى أحمد عامر / القاهرة / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

* اللغة العربية فى التعليم العالى والبحث العلمى ، محاضرات تتناول التعريب فى الوطن العربى تدريسا وتأليفا ومصطلحا ، د. مازن المبارك / ط٢/ دار النفائس / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

* اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان / ط٢/ الهيئة العامة للكتاب / ١٩٧٩م.

* اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة ، د. كارم السيد غنيم / مكتبة السباعى.

* اللغة والمجتمع ، ثريا عبد الله / دار المعارف .

* ما خالف ظاهر القواعد النحوية في القرآن الكريم ، رد شبهات ودحض مفتريات، د.المهدي [ت ١٤٢٥هـ] إبراهيم عبد العال / مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، عدد ١٧/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

* مبحث التقديم في كتاب دلائل الإعجاز، د. محمد السعدي فرهود / ط١/ دار الطباعة المحمدية/ القاهرة/ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

* محاضرات في فقه العربية . د/ صلاح صالح أحمد عيطة / ط١/ ١٤٠٦هـ -

١٩٨٦ م.

* محاضرات في مصادر علوم العربية د. عبد الفتاح البركاوي / ط١/ القاهرة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

* المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جنى [ت ٣٩٢ هـ] / تح. على النجدى ناصف وآخرين / القاهرة / ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م.

* المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية [ت ٥٤٢ هـ - ١١٤٨م]/ تح. عبد السلام عبد الشافى محمد / ط ١/ دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤١٣ هـ - ١٩٣٣م.

* المختصر فى أصوات اللغة العربية ، دراسة نظرية وتطبيقية ، د. محمد حسن حسن جبل / ط٢ / دار الصحابة / طنطا / ٢٠٠٠م.

* المرتجل لابن الخشاب [ت ٥٦٧ هـ - ١١٧٢م] / تح. على حيدر / منشورات دار الحكمة / دمشق / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.

* المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى [ت ٩١١ هـ] شرح محمد أحمد المولى وآخرين / ط٣ / دار التراث / القاهرة.

* مستويات التحليل اللغوي ، دراسة نظرية وتطبيقية في سورة الفاتحة ، د.عبد المنعم عبد الله حسن / ط١/ مطبعة السعادة / ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

* معانى القرآن للفراء [ت٢٠٧هـ] / تح/ أحمد يوسف نجاتى و محمد على النجار / دار السرور / بيروت/ لبنان.

* معانى القرآن وإعرابه للزجاج [ت ٣١١ هـ] / تح. د. عبد الجليل عبد شلبى/ ط١/ عالم الكتب / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

* المعجم الوسيط / ط٣ / مجمع اللغة العربية / ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

* المعنى اللغوى ، د. جبل / طبعة مكتبة الآداب.

* مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى [ت ٧٦١ هـ - ١٣٦٠م] ، محمد محيى الدين عبد الحميد / مطبعة المدنى.

* مقاييس اللغة لابن فارس [ت ٣٩٥ هـ] تح/ عبد السلام هارون / ط١/ دار الجيل / بيروت / ١٤١١١ هـ - ١٩٩١م.

* المقتضب للمبرد [ت ٢٨٦ هـ - ٨٩٩م] / تح. محمد عبد الخالق عضيمة / عالم الكتب بيروت.

* مقدمة فى علم الدلالة ، د. الموافى الرفاعى البيلى / ط١/ الشروق / ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

* مقدمة فى فقه اللغة العربية واللغات السامية ، د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوى / ط٢/ الجريسى / القاهرة/ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ .

* المقنع فى رسم مصاحف الأمصار لأبى عمرو الدانى [ت ٤٤٤ هـ] / تح. محمد الصادق قمحاوى / مكتبة الكليات الأزهرية / القاهرة.

* من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس [ت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨] / ط ٧/ الأنجلو المصرية / ١٩٨٥م.

* من حديث اللغة والأدب ، عبد العزيز مطر / ط١/ دار المعرفة / ١٩٦٢م.

* من قضايا فقه اللسان مقدمة وبحوث فى علم الدلالة العربى ، د. الموافى الرفاعى البيلى / ط ٣/ ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

* موجز تاريخ علم اللغة فى الغرب ، د. هـ. روبنز / ترجمة د. أحمد عوض / عالم المعرفة / الكويت / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

* الموطأ للإمام مالك [ت ١٧٩ هـ - ٧٩٥ م] / تخريج . محمد فؤاد عبد

الباقى/ ط ٢/ دار الحديث / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

* مولد اللغة للشيخ أحمد رضا / تقديم د. نزار رضا / دار الرائد العربى / بيروت / لبنان / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

* النحو العربى والدرس الحديث ، د. عبده الراجحى.

* النحو والدلالة ، د. عبد الحليم عبد الحليم النجار / مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة / العدد ١٩ / الجزء الثانى / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

* النحو والدلالة ، محمد حماسة عبد اللطيف / مطبعة المدينة / القاهرة/ ط١/ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

* نحو وعى لغوى ، د. مازن المبارك / ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

* النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ، محمد أحمد عرفة / مطبعة السعادة / مصر.

* النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى [ت ٨٣٣ هـ - ١٢٤٩م] صححه وراجعه على محمد الضباع / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان.

* نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية ، د. مصطفى حميدة / ط١ / الشرق المصرية العالمية / لونج مان/ القاهرة / ١٩٩٧م.

* نظام الجملة فى شعر المعلقات د. محمود نحلة.

* نظرية التبعية فى التحليل اللغوى ، د. سعيد البحيرى / ط١/ الأنجلو المصرية / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

* نظرية تشومسكى اللغوية . جون ليونز / ترجمة د. حلمى خليل / ط١/ دار المعرفة الجامعية / الإسكندرية / ١٩٨٨م.

* نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث ، د. نهاد الموسى / ط٢/ دار البشير / الأردن / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

* نقد الاستغراب فى الدراسات اللغوية ، د. محمد حسن حسن جبل / التركى.

* النقط لأبى عمرو الدانى [ت ٤٤٤ هـ] مع المقنع فى رسم مصاحف الأمصار/ تح. محمد الصادق قمحاوى / مكتبة الكليات الأزهرية.

* النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير [ت ٦٠٦ هـ]/ تح. طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحى / دار إحياء الكتب.

* النهر الماد لأبى حيان [ت ٧٥٤ هـ] مطبوع على هامش البحر المحيط / ط ٢/ دار الفكر / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

*****

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

*****